وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإقليم الجنوبى
الإدارة العامة للثقافة
إدارة إحياء التراث

اختصار
القدح المعلى فى التاريخ المحلى

لابن سعيد أبى الحسن على بن موسى
٦١٠ هـ — ٦٨٥ هـ

اختصره
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل

بتحقيق
إبراهيم الأبيارى

قرئ على
الدكتور طه حسين

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٩٥٩

قيل لحكيم : ما خيرُ مالك ترجو به عظيم الأجر ؟

قال : قاربتُ أن أُدركه في سِفْرٍ أخرجتُه للناس ، انتفعوا بما فيه ، ولم أرزأهم عليه درهماً ولا دينارا .

إبراهيم الأبياري

فبراير سنة ١٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه كلمة لن ينال « آبنَ سعيد » منها شىء ، فهى لهذا الكتاب خالصة من دونه ، قصدت فيها أن أعرِّف بالكتاب جاهداً فى آستقصاء ما حوله ، مهملا الحديث عن صاحبه إلى لحق سيكون جزءا ثانيا ، ينتظم الحديث عن آل سعيد جملة ، يجمع ما لهم جمعا شاملا ، وسيكون « علىّ بن موسى » لا شك أوفرهم خبرا . لهذا رأيت التعريف به فى ظل هذا التقديم اقتطاعا لترجمة أُحب أن تكون متصلة ، وأُحبها مع هذا الاتصال أن تكون حلقة من حلقات أُسرة يتّسق حديثها بآتساق حلقاتها ، لا سيما والأخبار يُملى بعضها بعضا ، وتتولّد فروعها عن أصولها .

*
* *

ابن سعيد وكتاب القدح

ما من شك فى أن لابن سعيد أبى الحسن على بن موسى (٦١٠ هـ — ٦٨٥ هـ) كتابا اسمه « القدح المعلى » .

ذكره ابن رشيد الفهرى أبو عبد الله محمد بن عمر (٦٥٧ هـ — ٧٢١ هـ) فى رحلته[١] ، ولم يزد على هذه الفقرة ، كما لم يقف عليها بأخرى .

وذكره ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمانى (٧١٣ هـ — ٧٧٦ هـ) فى كتابه « الإحاطة » ناقلا عنه فى موضعين[٢] ، ولم يزد هو الآخر على هذه الفقرة .

وذكره المقرى أحمد بن محمد التلمسانى (— ١٠٤١ هـ) فى كتابه «نفح الطيب» ناقلا عنه فى موضعين أيضا ، وسماه كما سماه آبن رشيد وآبن الخطيب .

---

(١) رحلة ابن رشيد (لوحة ١٠١) مصورة الجامعة العربية .

(٢) الإحاطة (١ : ٢٢٠ ، ٢٤٤) طبعة دار المعارف .

وتحمل مخطوطة تونس اسم الكتاب فى ثنايا كلام جاء فى صفحة زائدة على الكتاب تفيد حَبْسه على خزانة الجامع الأعظم بتونس باسم صاحب كرسيها ، وليس معها مزيد عما فات ، مع ما نعرف من أن الحبس — الوقف — فيه تفصيل ضابط واستطراد مميز[1] .

ثم نجد ابن الخطيب يضع كتاباً على نهج كتاب ابن سعيد ، ويسميه « التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى »[2] ويخصه برجال عصره ، كما خص « ابن سعيد » كتابه .

وهذا إن وكَّد أن «القدح المعلى» لابن سعيد ، لا يوكد لنا أن اسمه ليس عليه مزيد ، وإن كان لا ينفى أن يكون الاسم فقرة واحدة ، كما ساقه من ساقه على هذا النحو .

وبعد هذا نجد مخطوطة باريس تحمل الورقة الأولى منها اسم الكتاب مزيدا عليه فقرة أخرى للتقفية ، وهى « فى التاريخ المحلى »[3] .

ويقف «بروكلمان» مع كتاب لابن سعيد ذكره المقريزى[4] باسم «المحلى بالأشعار» ويرجح أن يكون هذا الكتاب هو « القدح المعلى فى التاريخ المحلى » . فيذكر هو الآخر «القدح» اسما ذا فقرتين ، كما جاءت به المخطوطة الباريسية[5] .

*
* *

وإن الناظر فى مؤلفات « ابن سعيد » يكاد يرى الكثرة من أسماء كتبه من ذوات الفقرتين ، من ذلك :

(١) تفريج الظلام وترصيع العالم بالأعلام — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٢) الحلة السيراء فى طبقات الشعراء — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٣) حيا المحل وجنى النحل — ذكره القلقشندى فى صبح الأعشى — ٢ : ٩٣ ، ١٤ : ١٩١

---

(١) انظر الورقة الأولى من مخطوطة تونس .

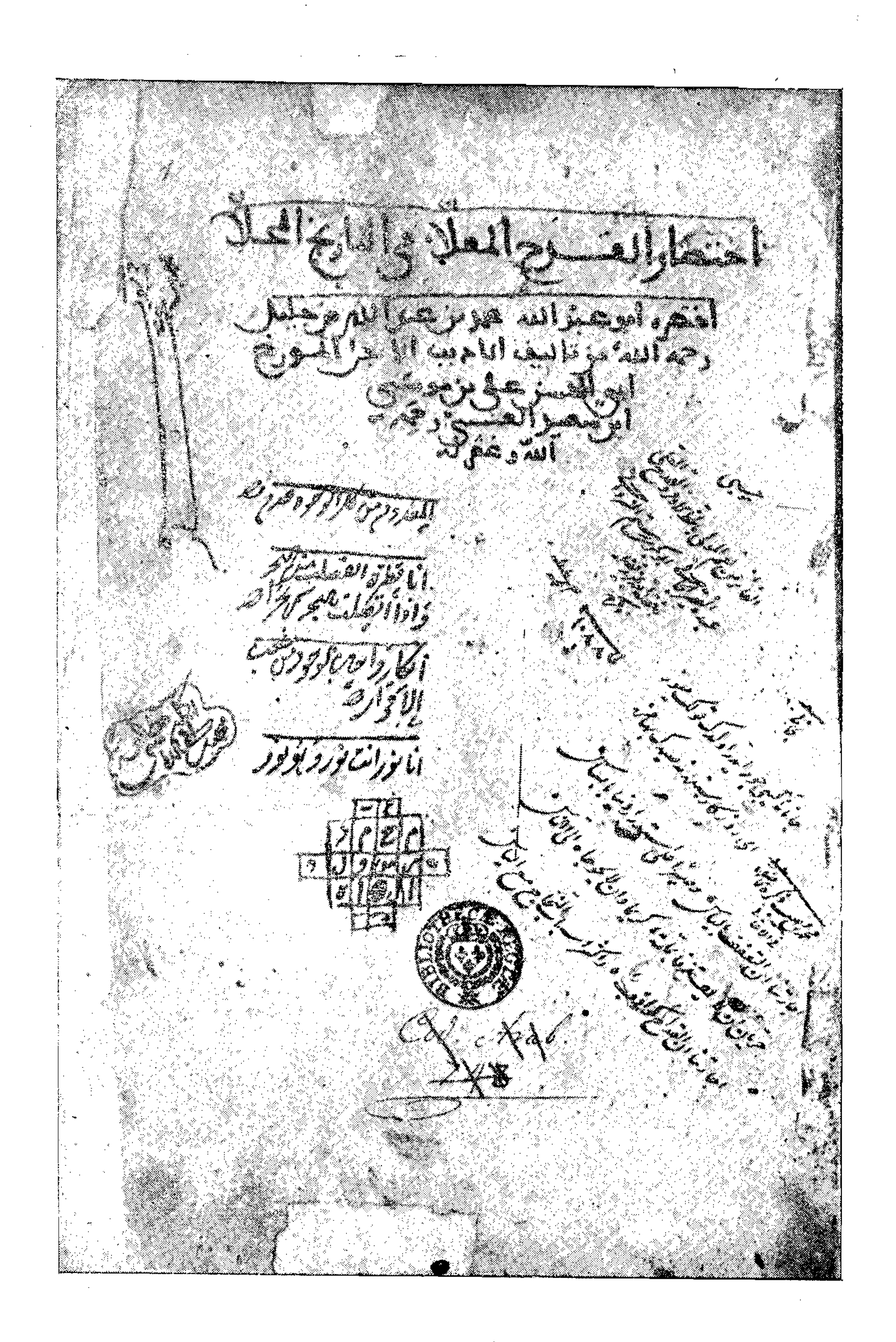
(٢) انظر الإحاطة (١ : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٤٨ ، ٣٣٧ ، ٣٥٣ ، ٥٠٢) ونفح الطيب (٨ : ٣٣١) .

(٣) انظر الورقة الأولى من مخطوطة باريس .

(٤) الخطط (١ : ٤٨٥ ، ٢ : ١٨١) .

(٥) Brockelman (I, P, 337)

الورقة الأولى من مخطوطة تونس



اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى

اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل

رحمه الله من تأليف الأديب الأجل المؤرخ

أبي الحسن علي بن موسى

ابن سعيد العنسي رحمه

الله وعفا له

الورقة الأولى من مخطوطة باريس

(٤) الحدود المورّدة فى محاسن الأوزان المولدة — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٥) رايات المبرزين وغايات المميزين — طبعة مدريد بتحقيق الدكتور جرثيا جومث.

(٦) رقم الحلل فى معرفة الملل والدول — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٧) السمر المذاب فى طبقات الخطباء والكتاب — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٨) الشجرة المثمرة بالأعلام المشتهرة — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٩) الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد — ذكره ابن الخطيب فى الإحاطة (١ : ٢٢٢) والمقرى فى النفح (١ : ١٧٨ ، ٣ : ٣٨) والسيوطى فى حسن المحاضرة — والسخاوى فى الإعلان بالتوبيخ (١٢٨)

(١٠) عدة المستنجز وعقلة المستوفز — ذكره المقرى فى النفح (٣ : ١٣)

(١١) عنوان المرقصات والمطربات — طبع الجزائر سنة ١٩٤٩ م .

(١٢) الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة — بتحقيق — طبع دار المعارف — القاهرة .

(١٣) كنوز المطالب فى آل أبى طالب — ذكره ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى — (٢ : ٤٥٣)

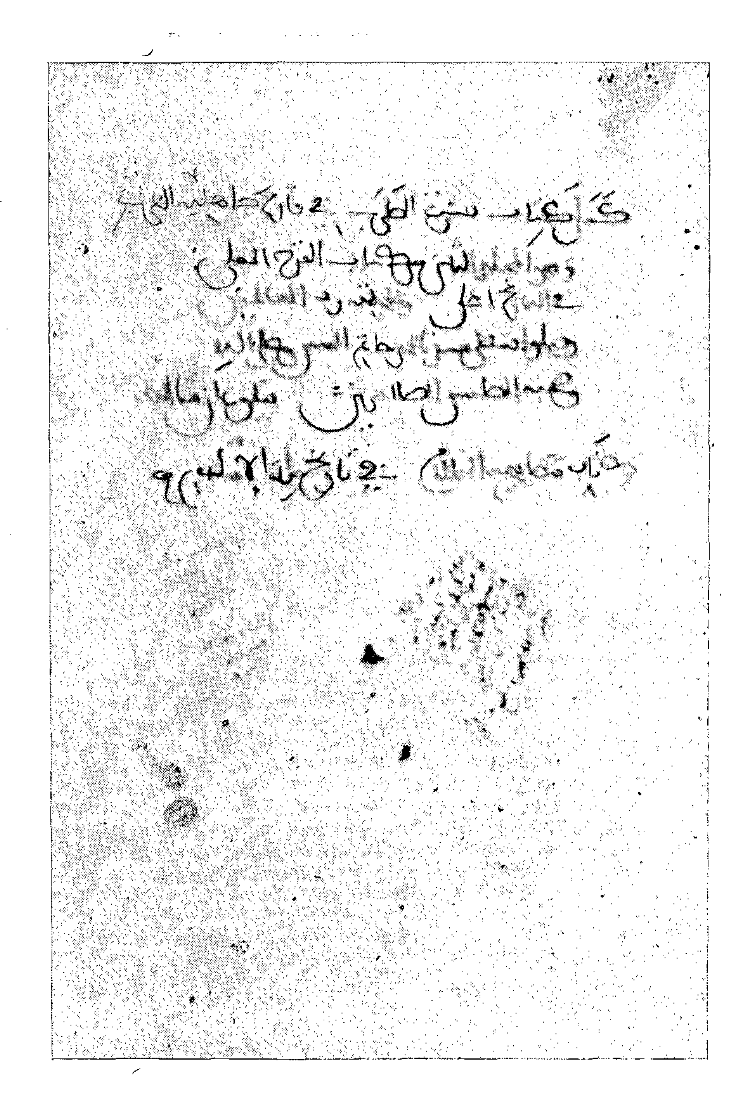
(١٤) لذة الأحلام فى تاريخ أمم الأعجام — ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (رقم ٦٧٥٢)

(١٥) المشرق فى حلى المشرق — منه مخطوطة برقم ٢٥٣٢ تاريخ — تيمور — دار الكتب المصرية .

(١٦) مصابيح الظلام فى تاريخ ملة الإسلام . وهو الجزء الثانى من كتاب القدح[١].

---

(١) انظر اللوحة (203 a) من مخطوطة توبجن .



(30 A)

(١٧) المعرب عن تاريخ سيرة أهل المغرب — ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون برقم (٢٣١٦) .

(١٨) المغرب فى حلى المغرب — طبع بتحقيق الدكتور شوقى ضيف — دار المعارف — القاهرة .

(١٩) المقتطف من أزاهر الطرف — منه مخطوطة بمكتبة سوهاج برقم ٣٣ — أدب .

(٢٠) المهاد فى أوضاع البلاد — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٢١) نتائج القرائح فى مختار المراثى والمدائح — ذكره حاجى خليفة برقم (١٣٥٥٨) .

(٢٢) نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب — منه مخطوطة بمكتبة توبنجن بألمانيا . وهو المجلد الثانى من كتاب القدح . وقد صوره معهد المخطوطات للجامعة العربية بالقاهرة .

(٢٣) النفحة المسكية فى الرحلة المكية — ذكره المقرى فى النفح (٣ : ٤٠)

(٢٤) وشى الحلل فى معرفة الملل والدول = رقم الحلل

*
* *

كما يجد منها شيئا ذا فقرة أو ما يشبه الفقرة ، من ذلك :

(١) جنى النحل — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

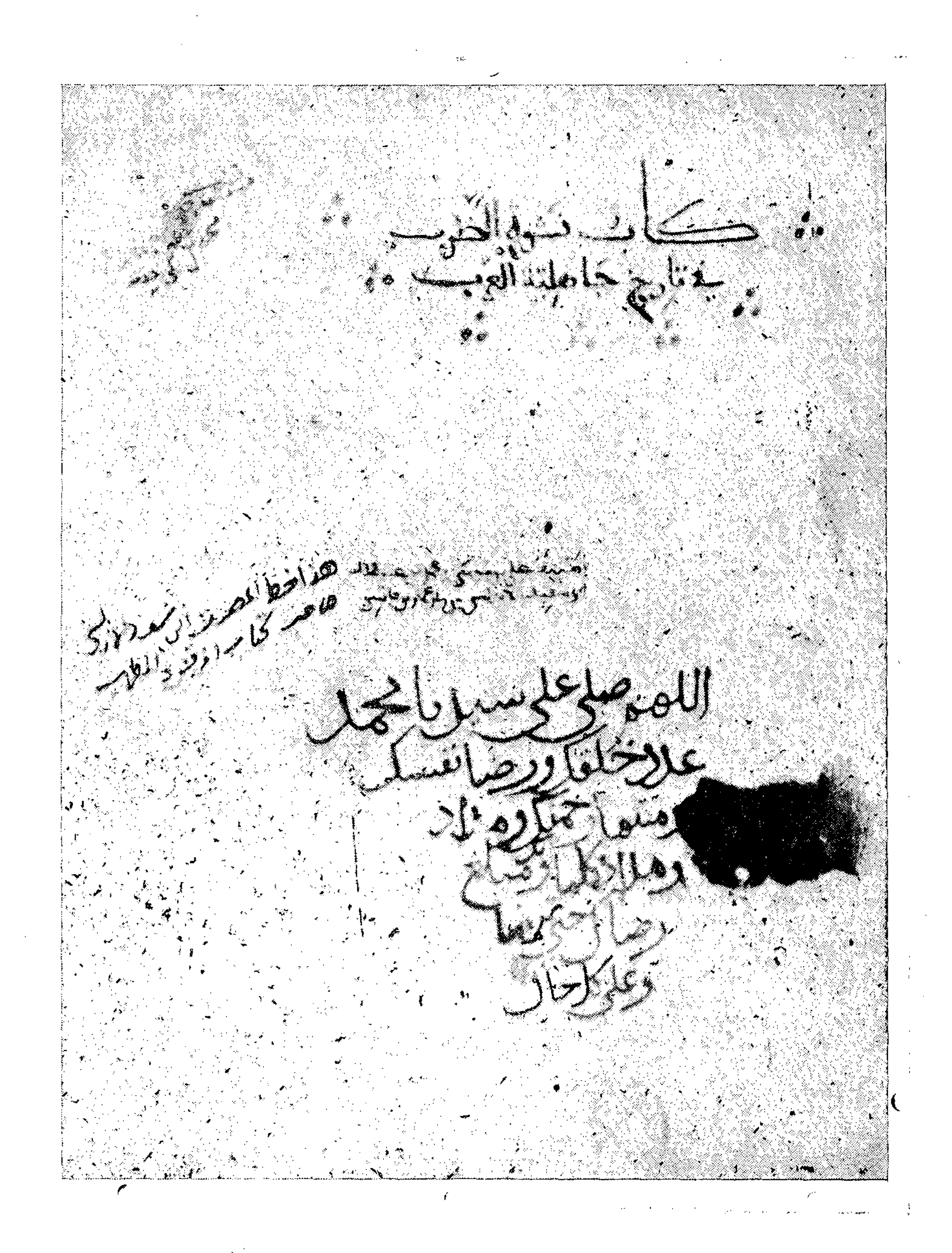
(٢) حلى الرسائل — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٣) ريحانة الأدب — « « « — « ١٠١ — وحاجى خليفة فى كشف الظنون برقم (١١٠٨٧) .

(٤) الزراميات — ذكره ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى .

(٥) غنج المحاضرة — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

(٦) اللمعة البرقية — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١



كتاب نشوة الطرب
في تاريخ جاهلية العرب

اللهم صلي على سيدنا محمد
عدد خلقك ورضا نفسك

(٧) ملوك الشعر — ذكره ابن شاكر فى الفوات (٢ : ٩) والمقرى فى النفح (١ : ٦٥٧) طبعة أوربة .

(٨) ملوك الكلام — ذكره ابن رشيد فى رحلته — ورقة ١٠١

*
* *

غير أنا مع هـذه الكتب ذات الفقرة غير مطمئنين ، ولسنا على يقين أن المؤلف لم يقف عندها ، يسوقنا إلى الشك اجتزاء ابن رشـيد فى أسمـاء بعض ما أورد منها بفقرة واحدة ، على حين يسوقها المقرى ذات فقرتين ، من ذلك :

١ — النفحة المسكية — ٢ — المقتطف — ٣ — الطالع السعيد
فقد ساقها ابن رشيد هكذا ذات فقرة وأكملها المقرى ، كما مر بك .

ولكن منها أشياء ذكرها ابن رشيد ، وذكرها ابن الخطيب ، وذكرها المقرى ، وذكرها ابن تغرى بردى ، وذكرها حاجى خليفة ، مقتصرين فى تسميتها على فقرة واحدة ، من ذلك :

(١) القـدح المعلى .

(٢) ملوك الشعر .

(٣) ملوك الـكلام .

(٤) الغراميات .

(٥) جنى النحل .

(٦) غنج المحاضرة .

(٧) اللمعة البرقية .

منها ما اتفق عليه ثلاثة ، وذلك مثل «القدح المعلى» ، فقد اتفق عليه ابن الخطيب ، وابن رشيد ، والمقرى ، ومنها ما اتفق عليه اثنان ، وذلك مثل « الغراميات » فقـد اتفق عليه ابن تغرى بردى ، وحاجى خليفة . ومنها ما جاء غير متفق عليه ، وهى سائر ما ذكرنا من ذوات الفقرة الواحدة .

*
* *

ونلاحظ أن «القدح» مقصود فيه إلى جمع رجالات الأدب، لم يُقصد فيه إلى غيرهم. وإلى هذا تشير المقدمة حيث تقول : « من أخبار أدباء عصرنا هـذا ومن عنه يؤخذ وإليه يسند ، مكللة بشذور النثر ، موشحة بنفيس الشعر » . يسوق المؤلف بين يدى كل ترجمة نبذة لا تمعن فى التاريخ ، ولـكن تمهد لشئ من النثر ولآخر من الشعر .

وما تكاد تلك الإشارة التى تضمها المقدمة ، وذلك المساق الذى ساق المؤلف عليه تراجمه ، يبعدانا عن الإيمان بتلك الكلمة التى حملتها المخطوطة الباريسية ، مزيدةً على العنوان ، حتى تردنا إلى الإيمان به تلك النقول التى فاضت بها « الإحاطة » وفاض بها « القدح » نقلا عن « التاج المحلى » ، الذى وضعه مؤلفه ابن الخطيب يساجل به ابن سعيد[1] .

فإنا نرى «ابن الخطيب» يجمع ما بين التاريخ والأدب، يكاد يطغى الأدب على التاريخ مرة ، ويطغى التاريخ على الأدب أخرى ، وهو بهذا وذاك يرى كتابه مساجلة لكتاب ابن سعيد ، قد ساقه على نهجه ، وما رأى نفسه مخالفا .

*
* *

ولقد عودنا «ابن سعيد» فيما ثبت له من مقدمات، يسمى فيها كتابه، أن يسوق الاسم كاملا لا يجتزئ ، ويبسط نهجه فيه وغايته .

يقول فى مقدمته لكتابه « رايات المبرزين »[2] : « وسميته رايات المبرزين ، وغايات المميزين » . ويقول فى مقدمته لكتابه «الغصون اليانعة» : « فهذا كتاب الغصون اليانعة ، فى محاسن شعراء المائة السابعة ، وهو الثامن للكتب التى اشتمل عليها : جامع طبقات الشعراء »[3] .

ونحن فى مقدمة هذا الكتاب نفقد ما عودنا إياه «ابن سعيد» ، فلا نقرأ له فيها إلا تلك النبذة القصيرة التى تحدد الغرض من الكتاب فى اختصار ، والتى سقناها قبل .

---

(1) الإحاطة (١ : ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٤٨ و ٣٣٧٣ و٣٥٣ و٥٠٢ طبعة دار المعارف ، ٢ : ١٨٢ و ١٩٥ و ١٩٨ و ٢٠٠ و ٢٠١ مطبعة مصر) . ونفح الطيب (٨ : ٣٣١ و ٣٣٦ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٧ و ٣٧٠ ، ٩ : ٣٠٣ طبعة المكتبة التجارية) .

(2) رايات المبرزين (ص ٦) طبعة مدريد .

(3) الغصون (ص ١)

وكنا نخاف أن تكون كثرة مؤلفات «ابن سعيد» ، وضياع وفرة منها ، قد أدخلا عليها الاضطراب فزووج بين بعضها ، وفسد منها بعضها ، فنال اسم هذا الكتاب شئ من هذا وذاك ، و بقى مظهره يشير إليه ذلك الخلاف بين من ذكروه فقرة واحدة ، و بين من ذكروه فقرتين .

*
* *

و إذا كتاب « نشوة الطرب » تقع مخطوطته لنا ، يحملها إلى مصر صديق له خطوات مشكورة فى هذا الميدان العلمى ، هو الدكتور « صلاح المنجد » مدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة ، و إذا هذه المخطوطة ترد الأمور إلى نصابها ، وتقطع فى الأمر قطع جهيزة .

لم يكن كتاب « نشوة الطرب » كتابا مستقلا لابن سعيد ، كما كنا نظن قبل أن نراه ، و إنما هو جزء من أجزاء «القدح المعلى» ، وأنه هو الجزء الثانى منه ، و إذا عبارة الفراغ منه فى آخره تنص بعد هذا على اسم الكتاب الشامل الذى هو « القدح » نصا كاملا مبينا ، و إذا هذه العبارة تقول : « كمل كتاب نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب ، وهو المجلد الثانى من كتاب القدح المعلى فى التاريخ المحلى . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين »[1] .

إذن فلقد جلت هذه العبارة اسم الكتاب ، وجلت عنه شيئا آخر ، هو أن الكتاب مجلدات : مجلد أول لا يدرى ما اسمه ، وهو لا شك عن شىء يسبق الجاهلية .

وتزيد العبارة هذه الجملة : « يتلوه إن شاء الله كتاب : مصابيح الظلام فى تاريخ الإسلام »[1] .

وهذه عبارة كما تدل على التجزئة ، تدل على تسلسل الموضوع ، وأن ابن سعيد يتناوله عصرا عصرا ، وأمة بعد أمة .

*
* *

وما ندرى أين يقع الحديث عن الأندلس ورجاله من كتاب « القدح » وفى أى جزء هو ، وما اسم هذا الجزء ، وهل هو كتاب مستقل ذو اسم مستقل ، أم هو جزء من جزء .

فالذى لا شك فيه أن الكتاب بأجزائه اسمه : القدح ، ولكل جزء اسم كما رأيت ، فنشوة الطرب جزء ، ومصابيح الظلام جزء ، والحديث عن الأندلس جزء ، ولكن ترى ما يكون اسم هذا الجزء ؟ فمجىء النسخة التى بين أيدينا تحمل اسم « القدح » مرة و « اختصار القدح » أخرى ، شىء يثير شكا سنمضى فى جلائه :

(1) انظر اللوحة الأخيرة (303 a) من كتاب : « نشوة الطرب » .

القدح
واختصار القدح

فهذه النسخة الباريسية التى حملت إلينا الاسم مخالفا لهذا الإجماع قد حملت إلينا شيئا آخر ، فلقد جعلت الكتاب اختصارا للقدح ، ولم تشأ أن تجعله « القدح » نفسه .

ولقد كنا على أن نُسيغها فى يسر ، لولا أن ردّتنا المعارضات إلى شك ، فلقد نَقل ابن الخطيب عن «القدح» ، وكذلك نقل المقرى فى « النفح » :

نقل ابن الخطيب عن « القدح » فى موضعين ، أولها وهو يترجم لأحمد بن محمد بن أبى الخليل مفرج الأموى ، يقول ابن الخطيب :

« ذكره أبو الحسن بن سعيد فى : القدح المعلى ، وقال : « جوّال بالبلاد المشرقية والمغربية ، جالسته بإشبيلية بعد عودته من رحلته ، فرأينه متعلقا بالأدب ، مرتاحا إليه ارتياح البحترى لحلب ، وكان غير متظاهر بقول الشعر ، إلا أن أصحابه يسمعون منه ، ويروون عنه . وحملت عليه فى بعض الأوقات فقيدت عنه هذه الأبيات — وذكر أبياتا أربعة ساقها كما وردت فى القدح — ثم قال : وكثيرا ما يطنب على دمشق ويصف محاسنها ، فما انفصل عنى إلا وقد امتلأ خاطرى من شكلها ، فأتمنى أن أحل مواطنها إلى أن أبلغ الأمل قبل المنون :

ولو أنى نظرت بألف عين لما استوفت محاسنها العيون»[1]

* * *

وإليك ما جاء فى القدح «أو اختصاره» لتقيس نصًّا بنص ، يقول ابن سعيد :

" أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الإشبيلى . يُعرف بابن الرومية . جوّال بالبلاد المغربية والمشرقية. جالسته بإشبيلية بعد عودته من رحلته ، فرأيته متعلقا بالأدب، مرتاحا إليه ارتياح البحترى لحلب وعلمه الذى اشتهر به علم أنواع الحشائش، ويقال إنه أظهر جملة منها بالمغرب ، ووقف على أسمائها وصورها بالمشرق .

وكان غير متظاهر بقول الشعر إلا أن أصحابه يسمعون منه ويروون عنه ، وحملته عليه فى بعض الأوقات فقال تكفيك فيه هذه الأبيات — ثم ذكر الأبيات الأربعة —

---

(1) الإحاطة (١ : ٢٢٠)

وكان كثيرا ما يطنب فى الثناء على دمشق و يصف محاسنها ، فلا أنفصل عنه إلا وقد امتلأ خاطرى من شكلها ، فأتمنى أن أحل مواطنها إلى أن بلغ الله الأمل والأمانى قبل المنون :

وإنى لو نظرت بألف عين   لما استوفت محاسنها العيون »

* * *

وثانى الموضعين اللذين نقل فيهما ابن الخطيب عن القدح ، حيث يترجم لأحمد بن محمد ابن طلحة ، فهو يقول :

« قال صاحب القدح المعلى : من بيت مشهور بجزيرة شقر من عمل بلنسيه . كتب عن ولاة الأمر من بنى عبد المؤمن ، ثم استكتبه ابن هود حين تغلب على الأندلس وربما استوزره ، وهو ممن كان والدى يكثر مجالسته ، و بينهما مُزاورة . ولم أستفد منه إلا ما كنت أحفظ من مجالسته .

سمعته يوما يقول : تقيمون القيامة بحبيب والبحترى والمتنبى ، وفى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون ولا المتأخرون . فانبرى إليه شخص له همة و إقدام ، فقال : يا أبا جعفر ، أين برهان ذلك ؟ فما أظنك تعنى إلا نفسك . فقال : ما أعنى إلا نفسى ، ولم لا ، وأنا الذى أقول — وذكر أبياتا ثلاثة جاءت فى القدح — فلم يُنصفوه فى الاستحسان ، وردّوه فى الغيظ كما كان . فقلت له : يا سيدى ، هذا والله السحر الحلال ، وما سمعت من شعراء عصرنا مثله ، فبالله إلاّ ما لازمتنى وزودتنى من هـذا النمط . فقال : لله دَرّك ودَرّ أبيك من مُنصف آبن مُنصف ، اسمع وافتح أذنيك ، ثم أنشد — وذكر أبياتا ثلاثة جاءت فى القدح — فقلت : يا لله أعِد وزِد . فأعاد والارتياح قد ملأ عِطفه ، والتيه قد رَفع أنفه ، ثم قال — وذكر بيتين ذكرهما القدح — فقلت : ما على هذا مزيد فى الاستحسان ، فعسى أن يكون المزيد فى الإنشاد . فزاد ارتياحه وأنشد — وذكر بيتين ذكرهما القدح — فقلت : إيه ، زادك الله إحسانا ، فزاد — وأورد بيتين وردا فى القدح — فقلت : فما تكرر و يطول فإنه مملول ، إلا ما أوردته أيضا ، فإنه كنسيم الحياة وما أن يمل ، فبالله إلا زدتنى وتفضلت على بالإعادة فأعاد وأنشد — وأورد بيتين أوردهما القدح » (١) .

* * *

(١) الإحاطة (١ : ٢٤٤) .

وهذا ما جاء فى القدح أو اختصاره ، وهو النص الذى بين أيدينا :

« أبو جعفر أحمد بن طلحة . من بيت مشهور بجزيرة شقر من عمل بلنسية . كتب عن ولاة الأمر من بنى عبد المؤمن ، ثم استكتبه ابن هود حين تغلب على الأندلس ، وربما استوزره فى بعض الأحيان . وهو ممن كان والدى يكثر مجالسته ، وبينهما مزاورة كثيرة . ولم أستفد منه إلا ما كنت أحفظه من مجالسه .

وكان شديد التهور كثير الطيش ، ذاهبا بنفسه كل مذهب . سمعته مرة يقول وهو فى محفل : تقيمون القيامة بحبيب والبحترى والمتنبى ، وفى عصركم من يهتدى إلى مالم يهتدوا إليه . فانبرى له شخص له خفة وإقدام وقال : يا أبا جعفر ، فأرنا برهان ذلك ، وما أظنك إلا تعنى نفسك . قال : ما أعنى إلا نفسى ، ولم لا ؟ وأنا الذى أقول ما لم يهتد إليه متقدم ولا يهتدى لمثله متأخر — ثم ساق الأبيات الثلاثة التى نقلها ابن الخطيب فلم ينصفوه فى الاستحسان ، وردوه فى الغيظ إلى أشد ما كان . فقلت له : يا سيدى ، هذا والله السحر الحلال ، وما سمعت من شعراء عصرنا مثله ، فبالله إلا ما زدتنى من هذا النمط . فقال : لله در أبيك من منصف ابن منصف ، اسمع وافتح أذنيك ، ثم أنشدنى قوله — وذكر الأبيات الثلاثة التى ينقلها ابن الخطيب — فقلت : بالله أعد وزدنى . فأعاد والارتياح قد ملأ عطفه ، واليقين قد رفع أنفه ، ثم زاد قوله — وذكر البيتين اللذين نقلهما ابن الخطيب — فقلت : ما على هذا مزيد فى الإحسان ، فعسى أن يكون المزيد فى الإنشاد . فزاد ارتياحه وأنشد — وذكر البيتين للذين نقلهما ابن الخطيب — فقلت له : إيه ، زادك الله إحسانا . فزاد — وذكر البيتين اللذين نقلهما ابن الخطيب — فقلت : كل ما يكرر ويطول فإنه مملول ، إلا ما أوردته آنفا ، فإنه كنسيم الحياة ما إن يمل ، فبالله ألا تفضلت بالإعادة والزيادة . فأعاد ثم قال : وهذا حسبك لئلا تكثر المعانى عليك فلا تقوم بحق فهمها وإنصافها ، ثم أنشد إذ ذاك — وذكر البيتين اللذين نقلهما ابن الخطيب — فقلت : ملأ الله سمعك بكل بشرى ، فمازالت المحاسن على من قبلك تترى[1] » .

* * *

(١) القدح (ص ١١٤ و ١١٥) .

وينقل «المقرى» فى «النفح» عن «القدح» أيضا فى موضعين ، هو فى أولها ينقل شيئا من ترجمة أبى عبد الله بن العطار القرطبي ، وإليك ما نقله المقرى :

« قال ابن سعيد : هو حلو المنازع ، ظريف المقاطع والمطالع ، مطبوع النوادر ، موصوف بالأديب الشاعر .

مازجته بالإسكندرية ، وبهذه الحضرة العلية ؛ وما زال يدين بالانفراد ، والتجول فى البلاد ؛ حتى قضى مناه ، وألقى بهذه المدينة عصاه ؛ لا يخطر الهم له ببال ، ولا يبيت إلا على وَعد من وصال .

وله حين سمع ما ارتجلته فى السكين بالإسكندرية ، حين داعبنى باختلاسها القاضى زين القضاة ابن الريفى وقال : ما لى إليه سبيل ، حتى يحضر مصرى نبيل :

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب ... على يده قطع وفيــه نِصابُ
ستَندُبه الأقلام عنـد عِثارها ... وَيبكيه إن يَعْدُ الصواب كتاب

فقال :

أُحاجيـك ما شئٌ إذا ما سرقتَه ... وفيه نصابٌ ليس يلزمك القَطع
على أنّ فيـه القَطعَ والحدّ ثابت ... ولا حدّ فيـه هكذا حكم الشرع

انتهى كلام ابن سعيد من كتابه « القدح المعلى فيما أظن »[٢] .

وقول المقرى « فيما أظن » عبارة لها دلالتها ، فهى تفيدنا أن المقرى لم ينقـل عن «القدح» ولم يكن يملكه ، إذ لو كان يملكه لرجع إليه ليستوثق ، وإنما كان يملى عن ناقل ، أهمل المصدر الذى ينقل عنه ، ورده المقرى إلى أصله بذاكرته الواعية ، ولم يكن متأكدا ، ولكنه كان فى شك فأثبت هذا الذى نال .

وإليك ماجاء فى القدح :

«حلو المنازع، ظريف المطالع والمقاطع، مطبوع النوادر، موصوف بالأديب الشاعر.

مازجته بالإسكندرية ، وبهذه الحضرة العلية ، وهو الآن مرتب تحت إحسانها ، مخصوص لاعتقادها وحنانها . وما زال يؤمن بالانفراد ، والتجول فى البلاد ، حتى قضى

---

(١) القدح (ص ١١٤ — ١١٥) (٢) النفح (٢ : ٣٢٥) مطبعة السعادة .

مناه ، وألق بهذه المدينة العظيمة عصاه ، لا يخطر الهم له ببال ، ولا يبيت إلا على وعد من وصال ، وأظنه لخلوه من الخيال ، لا يطرقه طيف خيال .

ولما سمع ما ارتجلته فى السكين بالإسكندرية ، حين داعبنى باختلاسها زين القضاة ابن القاضى الريفى ، وقال : ما إليها سبيل ، حتى يحضر لك فيها معنى نبيل :

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الأقلام عند عثارها ويبكيه إن يعد الصواب كتاب

زاد فيه فاستحق ، وإن كان مسبوقا فقد سبق :

أحاجيك ما شيء إذا ما سرقته وفيه نصاب ليس يلزمك القطع
على أن فيه القطع والحد ثابت ولا حد فيه هكذا حكم الشرع »[1]

أما ثانى الموضعين اللذين نقل فيهما المقرى عن القدح ، فهو حين ترجم لابن الأبار عبد الله القضاعى يقول :

« وقال ابن سعيد فى القدح المعلى فى حقه — أى حق ابن الأبار :

كاتب مشهور ، وشاعر مذكور ، كتب عن ولاة بلنسية ، وورد رسولا حين أخذ بخنق تلك الجهات ، وأنشد قصيدته السينية :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وعارض جمع من الشعراء ، ما بين محظى ومحروم ، إذ أغرى الناس بحفظها إغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم ، إلا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء ، بأسباب الخدمة ، فقلصت عنه تلك النعمة ، وأخرج عن تلك العناية ، فارتحل إلى بجاية ، وهو الآن عاطل من الرتب ، خال من حلى الأدب ، مشتغل بالتصنيف فى فنونه ، مستقل منه بواجبه ومسنونه ، ولى معه مجالسات آنق من خلق الشباب ، أو أبهج من الروض عند نزول السحاب ،

---

(٢) اختصار القدح (ص ٢١٥)

ومما أنشدنيه من شعره :

يا حبّذا بحديقة دولاب ... سكنتْ إلى حركاته الألبابُ

غنّى ولم يطرب وسقّ وَهْو لم ... يشرب ومنه العُود والأكواب

لا يدّعى لتالف الهواء أو الهوى ... ماكنت فى تصديقه أرتاب

وكأنه ممّا شدا مُستهتر ... وكأنه مما بكى أوّاب

وكأنه بنقاره ومداره ... فلك كواكبه لها أذناب[1]

والمقرى هنا واثق غير ظان فيما نقل عن « القدح »

*
* *

وهذا نص ما فى القدح :

« كاتب مشهور ، وشاعر مذكور ، كتب عن ولاة بالنسبة إلى أن كان آخر من كتب عن منهج زيان بن أبى الحملات ، ووفد رسولا عنه إلى هذه الحضرة العلية حين أخذ النصارى بمخنق تلك الجهات ، واستصرخ مولانا الأمير المفدى — سقى الله عهده صوب العهاد ، بقصيدته التى سارت بها الركبان فى أقطار البلاد :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ... إن السبيل إلى منتجاتها درسا

وعارضها كثير من الشعراء ما بين محظى ومحروم ، وأغرى الناس بحفظها إغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم ، واختار المقام تحت الإحسان الأميرى فلم يقل بالإياب ، وصار صاحب العلامة فى بيت الكتاب ، إلا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة وقلصت عنه ظل تلك النعمة ، فأخر عن تلك الناية ، فارتحل بحت إحسان دار إلى بجاية ، وهو الآن عاطل من الرتب ، خال من حلى الأدب ، مشتغل بالتصنيف فى فنونه ، مثقل بواجبه ومسنونه .

ولى معه مجالسات آنق من خلق الشباب ، وأبهج من الروض غب نزول السحاب ، ولم أجتمع به إلا فى هذه الحضرة العلية ، وبقيت من فوائده فى النفس بقية .

---

(1) النفح (٤ : ٢٨٢) مطبعة السعادة .

مما أنشدنيه من محرر نظامه، فأطلته فى هذا الكتاب كالزهر من أكمامه ، قوله » .

ثم ساق مقطوعتين إحداهما نونية والأخرى بائية كلتاهما ذات ثلاثة أبيات،ثم ساق هذه المقطوعة التى نقلها المقرى[1] .

***

و بعد هذه المعارضة التى سقنا أمثلتها بين « القدح » و بين كتابين نقلا عنه ، هما : الإحاطة، والنفح، نحب أن نسوق نقلا آخر، حملته صفحات اندست على مخطوطة «الغصون» ولم تكن منها ، ورأى المتصلون بمخطوطة الغصون أنها من كتاب لابن سعيد لم يبينوه[2] ، ونرى نحن الآن أنها من القدح، من نسخة أخرى من نسخ القدح، التى لم تخالف مخطوطتى تونس وباريس ، إلا فيما تخالف فيه النسخة النسخة ، فيما اتفقت كلها على إيراده .

وهذه الصفحات الاثنتا عشرة التى تتصل كلها بترجمة «ابن همشك» جاءت غير متعاقبة فرتبناها ، وها هى ذى مصورة عن أصلها[3] .

ومانحب أن ننقل بإعادة الصفحات المقابلة من الأصل، ولكننا نجتزئ بالإشارة إليها لترجع اليها مقابلة[4] .

وستجد ستًّا من هذه الصفحات الأثنتى عشرة لها مايقابلها على قرب من الأصل قربا وثيقا ، كما ستجد ستا أخرى ، هى لاشك تتمة لترجمة «ابن همشك» .

***

ونحب أن نقف هنا وقفة نناقش معها هـذه المقابلات ، ما جاء منها مشتركا بين الإحاطة و بين الأصل ، وما جاء منها مشتركا بين النفح و بين الأصل ، ثم ما حملته تلك الصفحات الاثنتا عشرة من ترجمة لابن همشك اتفقت مع الأصـل فى ست وأربت عليه بست . وهى فيما أربت به لم تورد كثيرا مما ورد فى الأصل، منه ما يكون خلال الحديث

---

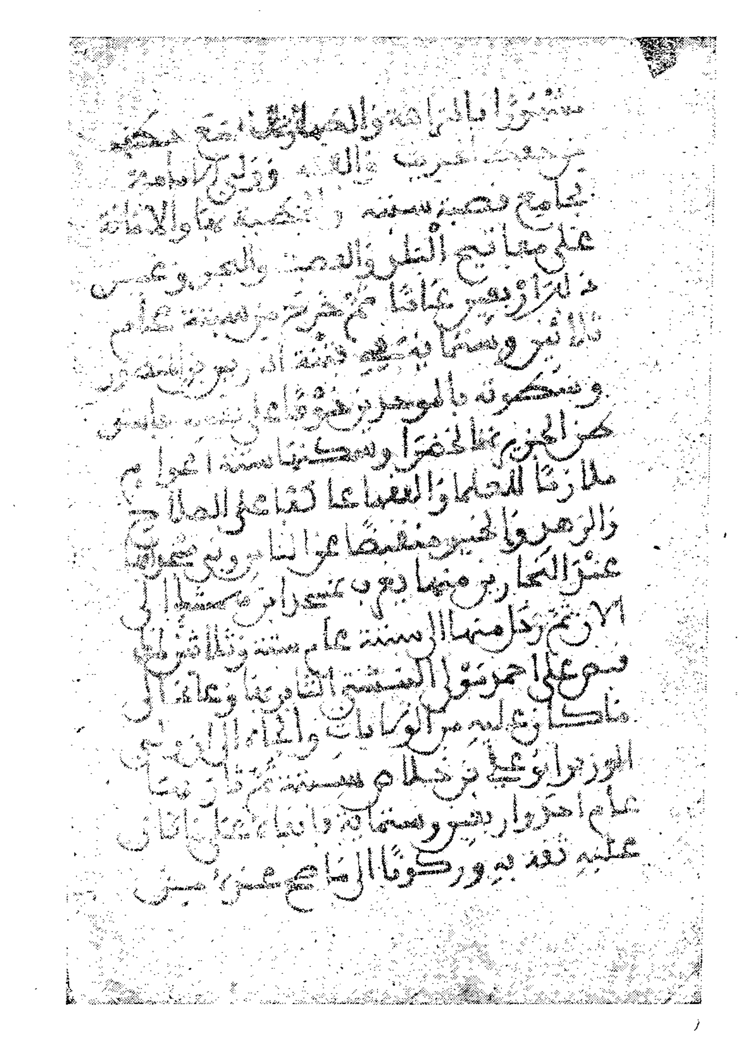
(١) اختصار القدح (ص ١٩) .

(٢) انظر الغصون اليانعة (ص س) من المقدمة . طبعة دار المعارف .

(٣) انظر صفحات (١ — ٦) من القدح المصورة .

(٤) انظر ترجمة ابن همشك (ص ٩٨ — ١٠٧) من القدح .

١ — صفحات من القدح



٢ — صفحات من القدح

ثم خرج من سبتة بعد اختباره
بهم وصيانة تعرف
[illegible] منها تعاني [illegible]
ملازما لجامع الزيتونة ومداوما
على الصلوات وتلاوة القرآن
[illegible] الى ان توفي على تلك الحال
عشر لرمضان المعظم عام ستة
ثمانية وشهد جنازته جمع عظيم
والعامة ولم يتخلف عنه كبير
وله المستظهرية وتيسير [illegible]
كتابه وانبعوه ثناء جميلا وكان رحمه الله

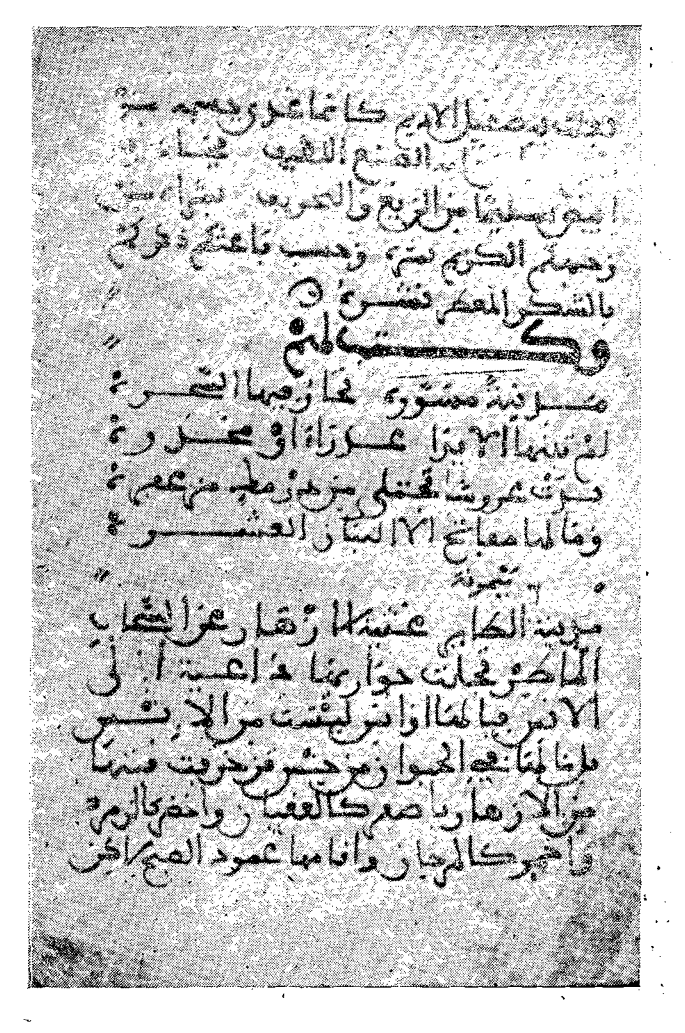
ومنهم ابو عبد الله المذكور
ايضا [illegible]
وقادت بهما [illegible] بالجزيرة الخضراء في [illegible]
اسمهما وقرا بها [illegible] وكان حسن الصوت
في [illegible] التلاوة له من اهل الفضل

٣ — صفحات من القدح

والزكاء والفطنة والرهاء كثير المشار له
جميل المعاشرة جامعا لانواع العلوم والاداب
[illegible] امالة وجاهه [illegible]
[illegible] والامر [illegible]
[illegible] والرحمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible] واحرى على [illegible]
[illegible]
[illegible]

ومنهم [illegible] من [illegible]
[illegible]
[illegible]

٤ — صفحات من القدح



٥ — صفحات من القدح

٦ — صفحات من القدح

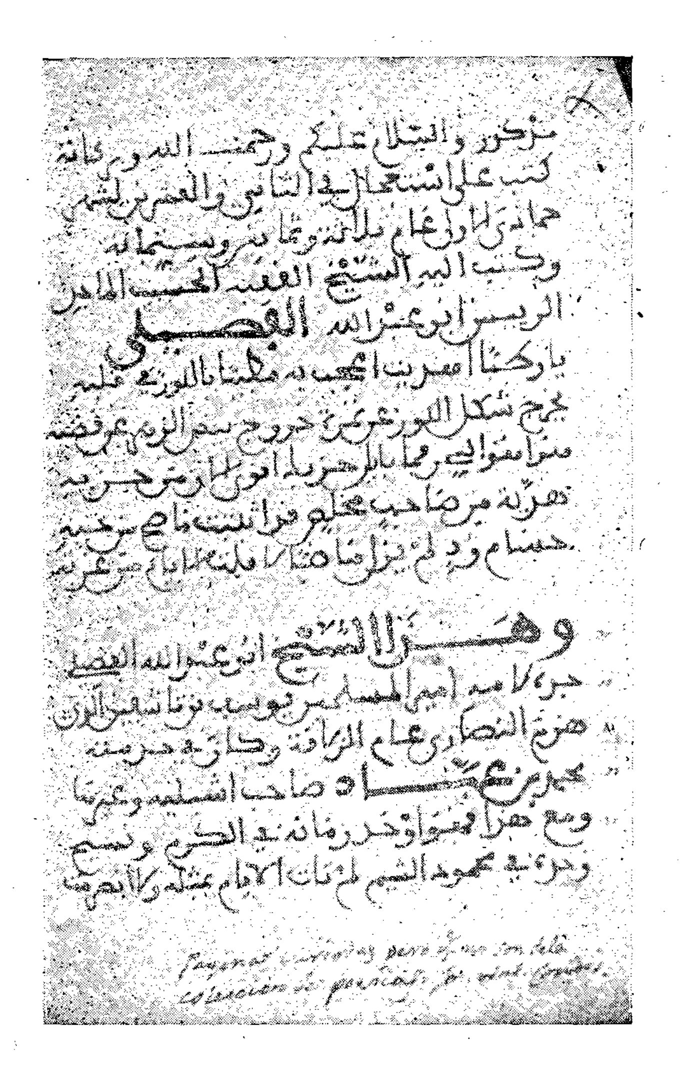
٧ — صفحات من القدح

٨ — صفحات من القدح

٩ — صفحات من "القدح

١٠ — صفحات من القدح

١١ — صفحات من القدح



١٢ — صفحات من القدح

الوارد هنا وهناك ، والذى قد يكون مرده إلى مغايرة الأصول ، ومنه ما يكون منفصلا عن هذا ، ومرده الى أن هذه الصفحات لم تستوعب الترجمة كلها ، أو أن هذه الصفحات المفقودة هى التى تحمل هذه الزيادة .

*
* *

وأنت ترى معى أن ما جاء فى الإحاطة أو النفح ، نقلا عن «القدح» لا عن «اختصاره» كما أشار إلى ذلك الناقلان : ابن الخطيب ، والمقرى — يكاد يملى أن ما بين أيدينا هو القدح لا اختصاره ، بل هو يكاد يؤكد هذا بما حمل الأصل من عبارات لم ترد فى الإحاطة والنفح ، وزاد هو بها .

غير أنا لا نكاد نمضى إلى غير تلك الصفحات الست حتى يُنقض دليلنا ما كان ظنا ، ثم ما كان تأكيدا . فإن هذه الصفحات الست الأخيرة التى تحمل هذه الزيادة الكبيرة ، والتى دلت الست الأولى باتفاقها مع الأصل على أنها من القدح ، تدلنا على أن ما بين أيدينا هو المختصر لا النص الكامل .

ولكن ما بال «الإحاطة» ، ثم ما بال «النفح» ، وهما ينقلان عن القدح نفسه ، لم يخالفا فى نهجهما منهج الأصل الذى بين أيدينا ، هذه المخالفة التى تحملها تلك الصفحات .

لو أن شيئا ولو قليلا وقع فيهما لانتفى كل شك ، واستقر الرأى على أن الذى نملكه هو اختصار القدح لا القدح نفسه .

ولكن دليلا واحدا لا يقوى على قهر دليلين لا شك فيهما ، وهذا الدليل يكاد تدفعه الظنة بأن هذه الصفحات — وإن اتفقت فى بعض وزادت فى بعض — قد تكون من كتاب آخر من كتب ابن سعيد التى ضلت ، وغير بعيد أن يترجم تراجم مكررة ، كما ترجم لأبى العباس الغسانى فى الرايات وفى القدح[1] ، وكما ترجم للرئيس أبى عثمان القرشى فى المغرب وفى القدح[2] ، وكما ترجم لأبى الحسن سهل بن مالك فى المغرب والقدح[3] ،

(١) انظر الرايات (ص ١٠٨) والقدح (ص ١٢ — ١٩) .

(٢) المغرب (٢ : ٤٦٩) والقدح (٢١ — ٤١) .

(٣) المغرب (٢ : ١٠٥) والقدح (٦٠ — ٦٨) .

وكما ترجم لأبي بكر الصابوني في المغرب والرايات والقدح[1]، وكما ترجم لابن سهل في المغرب والرايات والقدح[2]، وكما ترجم لأبي الحجاج البياسي في المغرب والقدح[3]، وكما ترجم لأبي جعفر بن طلحة في المغرب والقدح[4]، وكما ترجم لابن البناء الإشبيلي في المغرب والقدح[5]، وكما ترجم للداني في المغرب والقدح[6]، وكما ترجم للغساني في المغرب والقدح[7]، وكما ترجم للزهري القرطبي في المغرب والقدح[8]، وكما ترجم للشلوبيني في المغرب والقدح[ ]، وكما ترجم للدباج الإشبيلي في الرايات والقدح[10]، وكما ترجم للأعلم البطليوسي في المغرب والقدح[11]، وكما ترجم للهيثم الإشبيلي في الرايات والمغرب والقدح[12]، وكما ترجم لابن عتبة الإشبيلي في الرايات والمغرب والقدح[13]، وكما ترجم للأبدي في المغرب والقدح[14]، وكما ترجم لابن جحدر الإشبيلي في المغرب والقدح[15]، وكما ترجم للطرياني في المغرب والقدح[16].

*
* *

---

(١) المغرب (١ : ٢٣) والرايات (ص : ٢) والقدح (٦٩ — ٧٢)

(٢) المغرب (١ : ٢٦٤) والرايات (ص : ٢٢) والقدح (٧٣ — ٨٨)

(٣) المغرب (١ : ٢٠٥ و ٤٢٧ ، ٢ : ٧٣) والقدح (٩٤ — ٩٥)

(٤) المغرب (٢ : ١٣٦) والقدح (١١٤ — ١١٧)

(٥) المغرب (١ : ٢٤٩) والقدح (١١٨ — ١١٩)

(٦) المغرب (٢ : ٤٠٦) والقدح (١٢٣ — ١٢٥)

(٧) المغرب (١ : ٤٣١) والقدح (١٣٠ — ١٣١)

(٨) المغرب (١ : ١٢٠) والقدح (ص ١٣٥)

(٩) المغرب (٢ : ١٢٩) والقدح (١٥٢ — ١٥٤)

(١٠) الرايات (ص ١٦) والقدح (١٥٥ — ١٥٦)

(١١) المغرب (١ : ٣٦٩) والقدح (ص ١٥٧)

(١٢) الرايات (ص ١٨) والمغرب (١ : ٢٥٨) والقدح (١٥٨ — ١٦٠)

(١٣) الرايات (ص ٢١) والمغرب (١ : ٢٥٨) والقدح (١٦١ — ١٦٤)

(١٤) المغرب (١ : ٣٣٨) والقدح (١٦٨ — ١٦٩)

(١٥) المغرب (١ : ٢٦٢) والقدح (ص ١٧٢)

(١٦) المغرب (١ : ٢٩٤) والقدح (ص ٢٠٢)

فهذه كثرة من تراجم ألمّ بها ابن سعيد فى أكثر من كتاب له ، وإن اختلف نوع الإلمام. وإن الذى يحمل على أن نجعل ترجمة «ابن همشك» من «القدح». ويثير هذا الظن ، ما جاء فى تلك الصفحات ، وما جاء فى القدح ، من تشابه كثير واتصال طويل ، يكاد يخالف غيره من مواضع التشابه الأخرى فى التراجم المكررة .

وتكون تلك الصفحات الست الزائدة شيئا من الزيادة التى حملت مثله النسخة التونسية فى موضع[1] ، وحملت مثله النسخة الباريسية فى موضع آخر[2] .

وعلى هذا التقدير يكون هذا الدليل الذى أثارته هذه الصفحات الاثنتا عشرة من أن الكتاب الذى بين أيدينا « اختصار القدح » لا « القدح » غير قائم ، ويرتد دليلا مؤيدا للدليلين الآخرين اللذين يشهدان بغير هذا .

*
* *

ونعود إلى مقدمة الكتاب ، فنجدها ليس فيها تصريح لابن سعيد باسم الكتاب — كما عودنا — ولا بيان بنهجه ، فهو حين قدم لكتابه «الرايات» يقول : «وسميته برايات المبرزين وغايات المميزين[3] » ، ثم يمضى يعرف بمنهجه فى الكتاب بعد أن صرح باسم المُهدى إليه فيقول : « وقسمته قسمين : القسم الأول يختص بجزيرة الأندلس ، والقسم الثانى ببر العدوة » .

وكذلك فعل حين قدم للغصون فنراه يقول : « فهذا كتاب الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة » ثم يمضى يبين أقسام الكتاب فيقول : « وترتيب هـذا الكتاب على ثلاثة أقسام : الأول فى تراجم الذين تحققت سنو وفاتهم .... الخ[4] » .

وقد نعتذر عن ابن سعيد فى سكوته عن نهج الكتاب وترتيبه بأن الكتاب هنا ليس مثل الكتابين السابقين ينتظم أقساما يحتاج معها إلى بيان ، بل هو جملة من تراجم عصره

---

(1) انظر الصفحات (٢٠٣ — ٢٠٦) .
(2) انظر الصفحات (٢١٤ — ٢١٨) .
(3) انظر مقدمة الرايات (٥ — ٧) .
(4) انظر مقدمة الغصون (١ — ٢) .

ويكفيه ما قد قال : « فهذه نبذة خاقانية المسالك والمقصد ، من أخبار أدباء عصرنا هذا ومن عنه يؤخذ وإليه يسند » . ولكننا لا نستطيع أن نجد العذر عنه في سكوته عن اسم الكتاب .

ولعل هذا الطيف من الشك هو الذي حدا المرحوم الدكتور « زكي حسن » إلى أن يجعل هذه المقدمة لغير ابن سعيد ويضمها إلى مختصر للكتاب، وهو «أبو عبد الله بن خليل».

ولكنك لا نكاد نبعد قليلا في المقدمة حتى نجد صاحبها يهدى عمله إلى أبي زكريا ، ابن المستنصر الحفصي أبي عبد الله .

ونحن نعلم أن المستنصر بن عبد الله محمد ، ولي خلافة تونس سنة ٦٤٧ هـ ، وبقي خليفة حتى مات سنة ٦٧٥ هـ .

ونعلم أن ابن زكريا يحيي ولي خلافة تونس بعد وفاة أبيه ، وبقي خليفة حتى مات سنة ٦٧٨ هـ .

ونعلم أن ابن سعيد وفد عليه وفادتين الأولى مآبه من الحج سنة ٦٥٢ هـ ، وبقي في ظله يخدمه مع صديقه أبي العباس التيفاشي حتى سنة ٦٦٦ هـ . ثم رحل عنه إلى المشرق وعاد إليه ثانية ، وبقي في تونس حتى وافاه أجله سنة ٦٨٥ هـ .

ونعلم أن إمرة أبي زكريا كانت مدة خلافة والده أبي عبد الله ، أي ما بين سنتي ٦٤٧ هـ ، وسنة ٦٧٥ هـ ، وهي السنة التي ولي فيها أبو زكريا خلافة تونس .

ونفيد من هذا أن الكتاب ألفه ابن سعيد في خلافة أبي عبد الله ، حين كان ابنه أبو زكريا أميرا ، لا ندرى إذا كان ألفه له في زورته الأولى لتونس ، أي ما بين سنتي : (٦٥٢ هـ) و (٦٦٦ هـ) . أو في زورته الثانية مبكرا قبل أن يوافي الأجل أبا عبد الله .

لهذا نرى ان المقدمة لابن سعيد ، فبعيد أن يضم المؤلف والمختصر عصر واحد ، وبعيد أن يهدى المختصر إلى أمير يعيش صاحب الأصل المختصر عنه في ظله .

غير أننا لا نكاد نستقرئ الكتاب حتى نجد بين من ترجم لهم ابن سعيد «أبا جعفر أحمد ابن طلحة » ولقد نقل ابن الخطيب شيئا عنه ، وذكر أن نقله هذا من القدح[1]، ونجد ابن سعيد آخر ترجمته لابن طلحة يقول ، وهو يذكر خبر مقتله : « وذلك فى سنة إحدى وثمانين وستمائة » .

أما سائر التراجم فى الكتاب فتكاد تنحصر وفيات أصحابها ما بين سنتى ٦٢٥هـ و ٦٤٦هـ .

وإنك لتسأل معنا : كيف يهدى ابن سعيد كتابا لأمير انتهت إمرته بسنة ٦٧٥ هـ ؟ ثم كيف يهدى إليه كتابا جاوزت ترجمته فيه سنين الإمرة وسنين الخلافة ؟

وإنى لأكاد أجيب بأن «ابن سعيد» الذى أهدى كتابه «القدح» لأبى زكريا الأمير ، ليس بمنكر عليه أن يزيد فيه ما دام الكتاب بين يديه .

* * *

ولكنا لا نكاد نفرغ من هذا حتى نجد شيئا فى ترجمة « ابن يامن »[2] . يجعلنا نقف قليلا ، فالمؤلف يقول فى صدر الترجمة : « وهو عندى أظرف من عاشرته بالمغرب من أهل الأدب » ثم يقول : «وكانت معاشرتى إياه بهذه الحضرة» .

ثم يمضى قليلا فيقول : « ومما اشترك فيه مع الحاج ابن سعيد ومع أبى العباس الغسانى » .

ثم يمضى بعد هذا ويقول : « وخرجا — يعنى الحاج ابن سعيد وابن يامن — مع أبى العباس الغسانى إلى جنة بالجزيرة . . . . فقال أبو الحسن — وهو يريد الحاج ابن سعيد » .

ومن ثم يذكر المؤلف فى ترجمة «الغسانى»[3] «الحاج أبا الحسن» مرة أخرى ، وقد كتب إليه الغسانى شعرا .

---

(١) القدح (١١٤ — ١١٧) الإحاطة (١ : ٢٤٤ — ٢٤٥)
(٢) القدح (٥٢ — ٥٩) .
(٣) القدح (ص ١٧) .

والحاج ابن سعيد أبو الحسن، هو لا شك رجلنا المعنيّ هنا: أبو الحسن على بن موسى ابن سعيد .

إذن كيف يحدث المؤلف عن نفسه بهذا الأسلوب،وهو الذى يقول فى الكتاب : « قلت ، وأنشدنى ، وأخذت عنه ، وقابلته » .

ترى هل نحن أمام دليل ينقض علينا ما ذهبنا إليه ورجحناه من أن الكتاب لابن سعيد، وأنه هو القدح لا اختصاره؟ وأن هذا الذى بين أيدينا هنا فى ترجمة «ابن يامن» لون من ألوان الاختصار ؟

لقد جمعنا شعر ابن سعيد فلم نجد له هذا البيت الذى ساقه يعارض به أبا العباس وابن يامن ، وهو :

كأن الماء قد أمسى سماء فصاغ له من الشفق الدرارى

ولم نجد لابن يامن ترجمة فى موضع آخر تكشف عن هذا ، وتصدير الترجمة هنا لا يختلف عن غيره من التصديرات الأخرى التى امتلأ بها الكتاب . والمؤلف معاصر لابن يامن ، ما فى ذلك شك ، يحدث عنه فى التصدير صريحا كما قدمت لك . ثم إن الكتاب ملىء بما يثبته لابن سعيد لا تكاد تخلو ترجمة من إشارة إلى ذلك .

ثم ما بال المختصر فعلها فى واحدة وكان المجال أمامه متسعا والمشاكلات لهذه كثيرة، وما باله وقف عند هذه ولم يتجاوزها إلى غيرها .

لقد قدم المؤلف فى ترجمة « ابن يامن » رجلا هو أبو عبد الله بن أبى الحسين ، شاعرا عارض « ابن يامن » .

وهذا الرجل له ذكر فى أخبار ابن سعيد ، ولابن سعيد شعر إليه[1] ، اجتمع عليه أبو العباس الغسانى .

(1) القدح (١٠ — ١١) .

ترى هل نحن أمام تحريف فى المخطوطتين، فهؤلاء ثلاثة اجتمعوا فى عصر المؤلف ، وكان بينهم اتصال فى القول ، هم : أبو عبد الله بن أبى الحسين ، وأبو القاسم بن يامن ، وأبو العباس الغسانى ، كما كان بين اثنين منهم و بين المؤلف اتصال ، وهما : ابن أبى الحسين ، والغسانى .

والذى يعنينا هنا ذلك الاتصال الذى كان بينهم ، والذى نقل « القدح » لنا فى صدر ترجمة «ابن يامن» شيئا منه بين «ابن يامن» و بين «ابن أبى الحسين» ، والذى أكاد أظن أنه تمهيد لما بعده ، مما جاءت المخطوطتان فيه متفقتين على شىء لعله تحريف .

و إن صح هذا الظن فلعل « أبا عبد الله بن أبى الحسين » هو أبو عبد الله محمد بن أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد ، كتب هنا باسمه لا بكنيته ، ولعل العبارة الأولى على ظننا : « ومما اشترك فيه مع الحاج ابن سعيد » تعنى أبا عبد الله هذا ، ولعل العبارة الثانية على ظننا : « فقال ابن أبى الحسين » .

و إن صح هذا استقامت لنا الأدلة كلها ، و إن لم يصح فتكاد تخرجنا هذه الترجمة — أعنى ترجمة ابن يامن — إلى شىء آخر ، هو أن هذه الترجمة تحمل شيئا دخل على «القدح» وليس منه ، أو لعل هذا الشىء الذى دخل على الكتاب كان حاشية لبعض القارئين ، انضاف بعد إلى النسخة ، لا سيما والحديث الذى يحمل هذا الاضطراب جاء متصلا ، و إقتطاعه لا يضير الترجمة ، بل هى متصلة دونه .

*
* *

ونحن بعد هذا كله بين يدى ترجمة جاءت فى صدر الكتاب بعد المقدمة ، تترجم لابن سعيد ، ذات تصدير على غرار غيره من الكتاب ، ثم ذات سياق لا تحس أنه غريب عن سواه ، واتساق يكاد يكون مع ما عداه .

والطريف فى هذه الترجمة أنها لم يُشر فيها إلى سنة وفاة صاحبها ، شأنها شأن تراجم أخرى سكت فيها المؤلف عن وفاة أصحابها(١) ، وهو الذى كان حريصا مع تراجم أخرى ، إن فاته سنة الوفاة أن يشير إلى انقطاع أخبار المترجم عنه ، أو بُعده منه ، وأنه لم يَعُد يسمع عنه شيئا .

(١) انظر تراجم : الغسانى (١٢ — ١٩) وابن حازم (٢٠ — ٢٧) والقرشى (٢٨ — ٤١) والمخزومى (٤٢ — ٥٢) وابن يامن (٥٣ — ٥٩) وابن مالك (٦٠ — ٦٥) وابن الخيال (٦٦ — ٦٨) وغيرها .

أما الترجمة التى سكت فيها ابن سعيد عن ذكر الوفاة ، فما نشك أنه خلف صاحبها حيًّا ومضى هو ، ولو غير ذلك لذكره إشارة أو تلميحا .

والملحوظ على هذه التراجم، التى لم تؤرخ فيها وفاة ، أنها تبدو كالمبتورة لا يحس معها بوقفة لانتهاء ، وكذلك جاءت ترجمة ابن سعيد .

ولكن عذر المؤلف حين يسكت عن أن يؤرخ عن بعض من لم يؤرخ لهم كان عن إحدى اثنتين كما قدمنا :

أولاهما — عن معاصرة لم تنته وعمر محدود يمنع مثلها .

ثانيتهما — عن جهل من المؤلف بما صارت إليه حال المترجم له لبعده عنه .

ولو سلمنا أن هذه الترجمة كانت لمختصر اختصر الكتاب ، فهو كذلك بين اثنتين :

الأولى — أن يكون معاصرا لابن سعيد ، وما نظن معاصرا يعنى نفسه باختصار كتاب وصاحبه حى ، ويهديه عنه إلى أمير يعيش صاحب الكتاب فى ظله .

الثانية — أن يكون متأخرا عن ابن سعيد . وما نظن ابن سعيد بالذى يجهل تاريخ وفاته ، وما نظن مختصرا للقدح متصلا بالكتاب ، يجهل المؤلف ويجهل المظان التى كتبت عنه ، وقد فاضت بها الكتب التى ترجمت لابن سعيد ، وما أكثرها .

*
* *

إذن بقلم من كتبت هذه الترجمة ، بعد أن نفينا أن تكون لكاتب معاصر أو متأخر .

لقد أغرانا أسلوبها المسجوع وكلامها المتخير بأن تكون لكاتب ممن هذه شنشنتهم كالعمرى[1] (٧٠٠ هـ — ٧٤٩ هـ) وابن الخطيب[2] (٧١٣ هـ — ٧٧٦ هـ) ممن ترجموا لابن سعيد ، وظننا هذه الترجمة عن واحد منهما ، مهملين جانبا إغفالها تاريخ

---

(١) انظر مسالك الأبصار (جـ ٨ ق ٢ ص ٣٨٢ — ٣٨٨) المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ معارف عامة .

(٢) انظر الإحاطة (ص ٧٨) مخطوطة الاسكوريال مصورة دار الكتب المصرية برقم ١٣٨٤٧

الوفاة ، فوجدنا الأسلوب غير الأسلوب والنهج غير النهج ، ورجعنا نشاكل بها كلام ابن سعيد فى تصديره ، فوجدناها شيئا لا يكاد يهدى .

وغير بدع أن يترجم الشيخ لنفسه، ولقد فعلها ابن سعيد فأورد لنفسه ترجمة فى المغرب[1] ، وغير ابن سعيد من المغاربة نفر آخرون، منهم ابن الإمام فقد ترجم لنفسه فى «سمط الجمان» ، و«الحجارى» فقد ترجم لنفسه فى «المسهب» ، و«ابن القطاع» فقد ترجم لنفسه فى « الدرة الخطيرة[2] » و «ابن الخطيب» فقد ترجم لنفسه فى «الإحاطة[3]» .

وغير ابن سعيد من المشارقة : السخاوى ، فقد ترجم لنفسه فى « الضوء اللامع » ، و «ابن حجر » فقد ترجم لنفسه فى « رفع الإصر » .

وغير بعيد أن تكون هذه الترجمة هنا هى لابن سعيد أيضا ، كتبها عن نفسه لهذا الكتاب «القدح» أو لغيره ، وما أميلنا إلى أن تكون من تراجم ، «الطالع السعيد فى أخبار بنى سعيد» ، لهذا وقف ابن سعيد عن أن يمضى فيما مضى فيه مع غيره يذكر تاريخ وفاتهم ، ولهذا اجتزأ فيها ابن سعيد بما يجترئ عندما يترجم للأحياء المعاصرين .

ولكن شيئا يكاد يشككنا فى هذا الاتجاه ، ألا وهو كيف يجوز لمترجم أن يمدح نفسه هذا المديح الذى يمدح به ابن سعيد نفسه .

* * *

والآن فلنلتفت إلى مؤلف الكتاب فى ضوء ما أثارته مخطوطة تونس حين نسبته إلى محمد بن عبد الملك ، جد ابن سعيد .

والخطب فى ذلك يسير ، فنحن نعرف أن الكتاب كتب بقلم رجل من رجالات القرن السابع الهجرى ، وأنه أهداه إلى أبى زكريا يحيى الهنتانى الحفصى . الذى كانت وفاته سنة ٦٧٨ ه . وأن أدنى من ذكر فيه سنا هو أبو القاسم بن حسان الإشبيلى ، الذى كانت وفاته سنة خمس وعشرين وسبعمائة[4] ، وأن أعلى من ذكر سنا هو أبو جعفر ، أحمد بن طلحة ، الذى كانت وفاته سنة إحد وثمانين وستمائة[5] .

---

(١) انظر المغرب

(٢) انظر النفح (٣ : ٢٩)

(٣) انظر الإحاطة

(٤) القدح (١٤٩ — ١٥٠)

(٥) القدح (١١٤ — ١١٧)

وما أدرك محمد بن عبد الملك القرن السابع ولاقاربه ، فلقد كانت وفاته سنة ٥٨٩ هـ .

ولكن كيف جاء هذا الوهم إلى المخطوطة التونسية ، فدُون مرتين ، إحداهما جاءت فى صدر الكتاب ، والثانية جاءت فى تضاعيف هذا الإشهاد الذى حبست به النسخة على الجامع الأعظم بتونس[١] .

أما ثانيتهما فدفعها يسير ، لأنها لا شك استمليت من الأولى مع اختصار .

غير أن هذا شىء جدير بالاعتبار ، فلم يكن يضير الناسخ شيئا أن يكتب الاسم كاملا كما جاء فى صدر الكتاب ، لا سيما وهو يوثق وثيقة ، وما أولى الوثائق بالإيضاح وأبعدها عن اللبس والغموض ، فيكتبه : «قد حبس هذا الكتاب المسمى بالقدح المعلى لابن عبد الملك» على حين قد صدر الكتاب كاملا «لابن الشيخ الفقيد أبى عبد الله محمد بن عبد الملك سعيد» .

فاجتراء الناسخ بما اجترأ به شبه دليل على توقفه وتشككه ، ورأى نفسه حين فعل ما فعل واختصر ما اختصر قد تحال من ورطته شيئا ما ، فكتب الاسم مصدرا إياه بكنية ، قد تعم الابن الأدنى ومن هو لحاً ، أى قد يندرج تحتها « على » نفسه ، أو مَن هو من ولد عبد الملك .

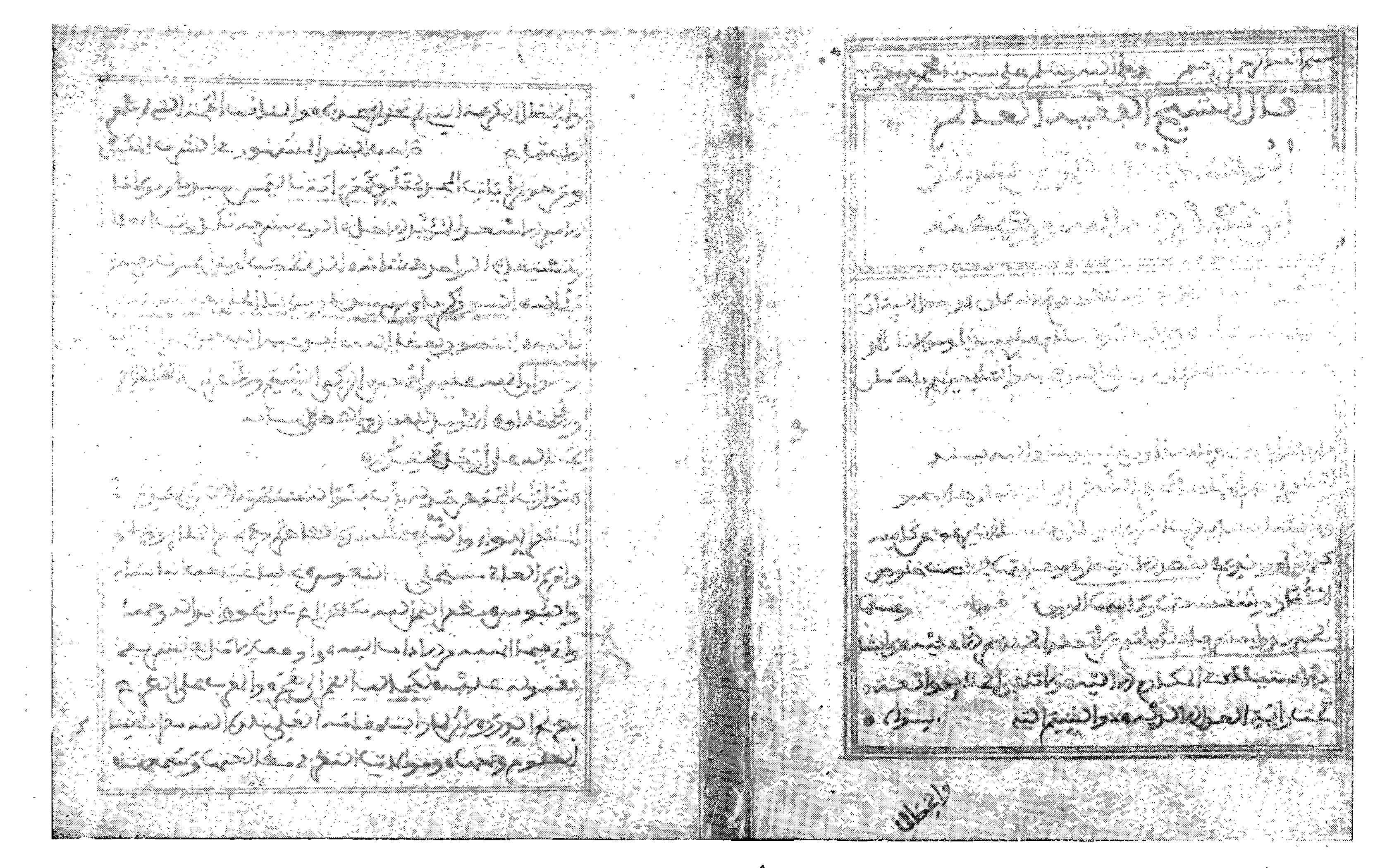
ما نشك أن الناسخ اختصر الاسم لهذا ، وهو يظن أنه قد فعل شيئا يرده إلى بعض الاطمئنان ، حين لم يقو على غيره يرده إلى الاطمئنان كله ، إذ كانت أقل نظر فى الكتاب تخلص الكتاب من هذا الشك .

ثم إن هذا التعليل الذى سقناه مع الثانية يكاد يدفعنا إلى مثله مع الأولى ، أعنى ما جاء فى صدر الكتاب .

وأكبر الظن أن مخطوطة تونس صورة عن نسخة أخرى تسبقها ، فتاريخ نسخها سنة ١٢٥٦ هـ ، وأين القرن الثالث عشر من القرن السابع ، قرون ستة بعيد أن تمر دون أن يكون الكتاب نسخ مرة ومرة .

---

(١) انظر اللوحة الأولى والثانية من مخطوطة تونس .



الصفحتان الأولى والثانية من مخطوطة تونس

وأكبر الظن أن النسخة الأولى كانت تحمل الاسم كاملا «أبو الحسن على بن موسى ابن محمد بن عبد الملك بن سعيد» . فعدا الناسخ سهوا عن بعض الاسم إلى بعضه، وما أكثر ما يقع هذا ، بجاء هذا التحريف .

أو لعل النسخة المنقول عنها كانت تحمل مع الاسم طمسا أو شبه طمس ، ولم يكن الناسخ ذا بصر ، فعدا عنه الناسخ غير معنٍّ نفسه .

و بقيت النسخة المنقولة على حالها تلك حتى القرن الثانى عشر الهجرى ، فيَكل مَلِكُ تونس إلى من يدبج له عليها صيغة الحبس أو الوقف ، فيقف من النسخة الموقف الذى أدلينا فيه برأى .

*
* *

وقبل أن نمضى فى مناقشة الكتاب الذى بين أيدينا ، هل هو القدح أم اختصاره ، يجب أن نعود قليلا إلى ما قدمناه . فالقدح المعلى ، كما كتب ابن سعيد آخر كتابه «نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب» ، كتاب شامل جامع لمجلدات ليست دون أربعة إن لم تكن أكثر ، لكل مجلد منها اسم متميز كاشف عما ينتظم . وإن صح إن ابن سعيد امتد بكتابه «القدح» إلى الأندلس فخصها بمجلد ، وما نشك فى ذلك ، فما من شك أن هذا المجلد كان يحمل اسما كتلك الأسماء التى وزعها ابن سعيد على مجلدين من القدح ، صرح بهما ، وهما : «نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب» وثانيهما «مصابيح الظلام فى تاريخ ملة الإسلام» .

ولكن ناقلا له خطره مثل «ابن الخطيب» فى «الإحاطة» ، وآخر لا يقل عن الأول تحفظا ، وهو «المقرى» فى «النفح» ، ينقلان عن كتاب اسمه «القدح المعلى» .

وما نظن أنهما أهملا الاسم الخاص إلى الاسم العام ، إلا إذا مالاَ إلى التوسع الملبس ، وليس يلجأ إلى ذلك مثل ابن الخطيب والمقرى ، دون أية إشارة كاشفة .

وهكذا يترك ابن سعيد لنا كتبه تحمل اللبس دائما ، سقنا شيئا من هذا فى مقدمتنا لكتاب «الغصون اليانعة» واليوم نعرض لمثله فى مقدمة هذا الكتاب .

ونحن هنا بين دليلين لا يلين أحدهما للآخر ، أولهما هـذا الذى حمله كتاب «نشوة الطرب» وثانيهما هذا الذى ساقه ابن الخطيب والمقرى .

هذه مشكلة لا نملك فيها رأيا قاطعا ، فلعل الزمن الذى أسعف بكتاب «نشوة الطرب» وهو الثانى من الموسوعة ، يسعف بما قبله وما بعده ، عندها يملك المتكلم أن يقول :

هذا ، ونهج الموسوعة التى تحمل اسم «القدح المعلى فى التاريخ المحلى» ، التى ظفرنا منها باسمى مجلدين ، ووقع لنا من هذين المجلدين مجلد ، هو «نشوة الطرب» ، وكشف لنا هذا المجلد عن أسلوب خاص يكاد يكون هو أسلوب الموسوعة ، يستوى فيه ما سبق ، ولا يبعد عنه ما لحق .

وليس منه — دون شك — أسلوب « القدح » الذى بين أيدينا بل هو نهج جديد بخط آخر ، ولو كان منه لحمل اسما خاصا يميز . كما حمل الجزآن الآخران .

ترى : هل وقف ابن سعيد عند مرحلة أو مرحلتين من الموسوعة الأولى ، ثم خلع اسما قديما على مؤلف حديث ، لمشاكلة قامت فى ذهنه . وهذا ما نميل إليه ، لما قدمنا من أن ناقلين لها خطرهما نقلا عنه وسمّياه باسمه .

أم أن الكتاب الذى بين أيدينا وُجد غفلا من اسمه ، ثم حمل هذا الاسم عفو الخاطر ، وهذا ما ندفعه لقرب عهد هذين الناقلين اللذين سميناهما من عهد الكتاب وعهد مؤلفه .

ولكن هل نُرد إلى ما نستبعده ، ونرى هذه المخالفة بين هذا الجزء الخاص بالأندلس ، و بين نهج الكتاب العام جملة ، ما يجعل هذا الكتاب اختصارا حقا ، اختار مختصره ما اختار ، ثم ألف بين هذا المختار ، فكان هذا الكتاب الذى جاء على نمطه آخره يخالف نمط الكتاب العام .

ولكن أين تلك النقول التى جاءت صريحة عن القدح ، وعن مختصره ؟

---

(١) انظر الصفحتين المختارتين من « نشوة الطرب » .

ولكنا الآن بين كتابين ، كل منها يسمى القدح ، هذا الأول الذى هو موسوعة جامعة ، وهذا الثانى ، الذى هو كتاب خاص ، والذى سنحدثك حديثه ، هل هو «القدح» أم هو اختصاره .

* *
*

وإذا صح أن هذا الكتاب الذى بين أيدينا هو «القدح» ، فمن أنى له بهذه التسمية التى حملتها مخطوطة باريس ، وهل للقدح اختصار ؟ وهل مختصره إن صح أن له اختصارا ، هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل ؟ .

لقد انفردت مخطوطة باريس وحدها بهذه العبارة التى حملتها فى ورقتها الأولى : « اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى » ثم تقفى بهذه العبارة : « اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل ، رحمه الله . من تأليف الأديب الأجل المؤرخ أبى الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى . رحمه الله وغفر له » .

ثم تزيد فى الركن الأيمن من الصفحة الأولى بخط فارسى مجود : «الفائز من نعم المولى بالحظ الأوفى والقدح المعلى عبده الفقير الجانى ، أبو بكر بن رستم الشروانى ، خصه الله بمزيد فضله وكرمه » . ثم كتب تحتها : « فى سنة ١٠٨٨ هـ »(١) .

أما عن مخطوطة تونس ، وهى متأخرة التاريخ عن مخطوطة باريس بنحو من قرنين ، فلم تدن بشئ من هذا الذى حملته مخطوطة باريس ، وكانت عنه بمعزل ، والنص هو هو ، يزيد عنه ويكمله فى بعض المواضع . وكأن قرنين سبقا لم يكتبا الشيوع لهذا الاسم الذى حملته مخطوطة باريس أن يشيع ويلتفت إليه .

---

(١) الورقة الأولى من مخطوطة باريس .

١ — صفحة من نشوة الطرب

٧ — صفحة من نشوة الطرب

وأما المظان الأخرى التى سبقت تاريخ مخطوطة باريس ، وذكرت مؤلفات ابن سعيد ، أو نقلت عنها ، وآخرها النفح للمقرى (١٠٤١ هـ) ، فلم تذكر هى الأخرى هذا الاختصار ولم تشر إليه .

وكأن ظهور هذا الاسم الجديد « اختصار القدح » كان بين سنتى (١٠٤١ هـ) و (١٠٨٨ هـ) . ولا يعنينا ما سجله فهرست المكتبة الأهلية بباريس من أن مُختصِر القدح هو المُهديه إلى أبى زكريا يحيى الحفصى ، ولا ما أثبته عنه الدكتور «زكى حسن» فى تقديمه لكتاب «المغرب»[١] ، فقد قلنا كلمتنا فى ذلك[٢] .

والغريب أننا لا نحس أثرا لهذا المُختصِر الذى اكتفى بذكر اسمه على الورقة الأولى ، وترك لنا هذا اللبس المبهم . فهو لم يدون لعمله مُقدمة يشرح فيها ما فعل ويدل بها على نفسه ، شأن غيره ممن يتناولون مثل هذه الأعمال ، وهو لم يترك خلال صفحات الكتاب ولا أسطره شيئا مما يشير من قرب أو بعد إلى أنه اجتزأ هنا واختصر هناك ، كما فعل «البلفيقى» مثلا حين اقتضب «تحفة القادم» لابن الأبار[٣] .

ثم هو لم يتوج اسمه بلقب يميزه نعرفه به بين المتصلين بالحياة الأدبية أو التاريخية .

لكن مخطوطة باريس بما حملت ، وعلى الرغم مما قيل ، لن تكون إلا صدى لشئ وقع ، وبعيد أن يكون شيئا ابتدع دون حقيقة أولى .

غير أنى أشك فى شئ ، أشك أن الورقة الأولى ليست من كتابها الذى وضعت له ، وإنما ضمت إلى القدح ولم تضم إلى الاختصار ، ودليلى على هذا أنها بخط غير خط الكتاب ، وأنها لا تضم وراءها تلك المقدمة التى يجب أن تكون للمختصر ، وأن ما انضمت عليه هو القدح وليس الاختصار .

ولكنى لا أنهى الحديث قبل أن أثير شيئا يخالجنى ، هو ظن ، ولكن الظنون لا تضير بما هى قد تُنير :

---

(١) المغرب (م ٢٠) القسم الخاص بمصر .

(٢) انظر (ص ٦) من هذه المقدمة .

(٣) المقتضب من تحفة القادم .

هل يكون بعيدا أن قارئا ألمّ بمخطوطة من القدح تنقص ورقتها الأولى، وكان على علم بأن لابن سعيد كتابا اسمه القدح ، وكان على يقين من أن هذا المجموع شئ منه ، ولكن شيئين رداه عن أن يكون ما يقرأ هو القدح :

أما أحدهما ، فما فى المقدمة من كلمة تثير شكا وهى « فهذه نبذة . . . انتخبتها بقصد الاختصار» .

أما ثانيتهما، فهى تلك الترجمة التى جاءت عن ابن سعيد ، وكان فى ظنه أن المؤلف لا يترجم لنفسه .

من أجل هذه وتلك ظن الكاتب « اختصار القدح » لا « القدح نفسه » . ولعل هذا القارئ كان « أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل » ولعله لم يشأ أن يمر بهذا دون أن يدونه، فكتب اسم الكتاب كما ظن، ولما كان هو صاحب ذلك الظن مهره باسمه، لا على أنه مختصر بل على أنه مستدرك. ثم تتداولت المخطوطة الأيدى فتستحيل الأمور إلى هذا الوضع الأخير، ويصبح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل ، بعد قليل هو صاحب الاختصار.

* *
*

والآن نعود بك قليلا الى هاتين المخطوطتين : الباريسية والتونسية .

أما الأولى فقد عثرت عليها فى زورة لى إلى باريس ، فطلبت تصويرها وحملتها معى لأخرجها .

وما كدت أصل القاهرة ، حتى بدأت أعمل فيها جاهدا ، ولكنى توقفت مع خط ردئ لايكاديبين ، ونقص معيب مشين ، وتمنيت لو أن لهذه النسخة الفريدة أخرى .

ويزورنى صديق من المغرب كريم ، وكان قد علم همّى بإخراج القدح ، فاذا هو يحمل معه شريطا لمخطوطة أخرى ، هى مخطوطة تونس التى حدثتك عن شيء منها .

واذا بين يدى مخطوطة طيبة صحيحة ، تكمل نقصا، وتجلو غامضا، وتكشف عن لبس، فرددت إلى مقنع ، ومضيت أنجز مابدأت .

وقد عرفتك بمخطوطة باريس ومخطوطة تونس، ووضعت تحت بصرك لوحات منهما تراها مع هذه المقدمة .

وقد جعلت معتمدى نسخة باريس ، أشرت إلى صفحاتها فى جانب صفحات هذا الكتاب ، لأربط بين شىء وشىء .

وبعد فها هو ذا «القدح المعلى» بين يديك، تقرؤه فى حروف جلية ، بعد أن قرأته أنا فى حروف غامضة لا تُبين ، قد استقام لك النص أو كاد . وما أحرصنى على أن أعرف ما لم أعرف ، وأهتدى بهدى الرائين .

بقى علىّ شكر ، هو خير ما يُختتم به الحديث ، أهديه خالصا لأستاذى الكبير ، السيد الدكتور طه حسين ، حين تفضّل فسمع ، وحين تفضل فأجاز .

إبراهيم الأبيارى

[illegible] العرب بالصعيد [illegible]

فارس [illegible]

مصر [illegible]

العرب [illegible]

[illegible] في ارض العرب [illegible]

[illegible] الجاهلية [illegible]

[illegible]

[illegible]

هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان

قال ابن حزم [illegible]

[illegible]

[illegible] فاما معاوية بن بكر بن هوازن فالباقي من العرب [illegible]

[illegible] صعصعة [illegible]

[illegible] فلما صعصعة [illegible]

[illegible]

عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن

[illegible]

[illegible]

فاما هلال بن عامر [illegible] فافترقوا على

[illegible]

الصفحة الأولى من مخطوطة باريس

2

الثراء هجر او المغرب عن الشرق بمرج البحرين تاركا ارات ما قام به
خلده الله مترنا بانشاء العلى وجمعها وحواشي النظر ممكنا لعقد
[illegible] احيا انواع الادب ووجوهه والعاكف على النجم بفنونه
وشجونه ومن قدم نفسه في علم عيونه من مصنوبه فانه لم يلقاحا
الخواطر في مشكلات الامور اشوة في شبه الترتيب عن البحار وبحار
وساور الفكر وراع وزاحم الثقة منه ما يخص به الجليس ومنع من
الهاجر ما شغله كل بعير وربه بنباهة مختصرة في الحلم النسق
والدر المنتثر واني فيما سرحت فيه لعترف بالعجز والقصور والتقصير
وراغب في الاغضاء عن هزيلة الشيء ومن الله الاستعانة وهو ولي
التوفيق عليه التوكل في الهداية الى سواء الطريق الفقيه
العالم ابو القاسم ابن الشقاء ابي عمران بن عمر في نائيه نجعة وله
فتاوى جمة علامة الاعلام وراوية الحاسبة والامثال سائل الاعيان
ومعرفة ومتبحر في العالم ومصنفه ان ذكر التفسير فمنه الزمخشري
او التاريخ فالنجم بن او التصوف فالجنيد والسرية دال الذي كتب
الاخبار وجاء الاقطار وطاف ذكره شرقا وغربا وطار ذرك
جلله حكته فالموصل والماطلب وزار الزوراء فاز راما ورأى
الاهرام فطوف عينه اهراما ونشر اجداله في عمر فراح لعود وجد
في ديواني تأدبه ومشي على اختيارها حرصى والاسكندرية
خير ما عثر في فيها وصح عن انه في رياره وحط عن كاهله جميع
الاوزار وساح في الارض سنين وجاور بكور سنين وسار مابين عبد
وقزوين في عنوان تغريبي ومشى بينا جلس الحار الصعلوك واقرا
يلبس شعار الرف وله في النظم والنثر كلام متين كالذي ويحلى
نزامر عنه ومرا مراويما الله في نصل بستر يرتاع ناهه وعالم اغاظ
الاشجار تاريخ الباكر فرحه

كانما النهر صفحة كتبت اسطرها والنسيم منشئها
لما ابانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرأها

وكان والبنا لما في موقته الحضرانية علم [illegible] قال ابن يخرج في يوم جمعة

الصفحة الثانية من مخطوطة باريس

والعز سعود حظنا واعلى العيس منيف
ان تنزل الدار الامي منتصر في ناظريه
ذكر البعض احلا سطوني سمعيا
خير عليا دار له فقد البعض خليا
وابي محمود الامر ضعا حيث العزيز

ثم وصل الكرنا صه عن قرب مع نيق اجتماع به حتى صح من حدان العوباد والتجيب وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وستماية وكان كاتبه العسكر محمد بن محمود وهما اشتهر من شعر محمود الذي كتب على ما سلبه الله الناصر من بلاد السود

ولم يبق مصر حرما تحته رايات ابن محمود
ثم لا تقدم فيما مثل اقدام الاسود
تحوم الحكم موائدنا ومن دار الخلود

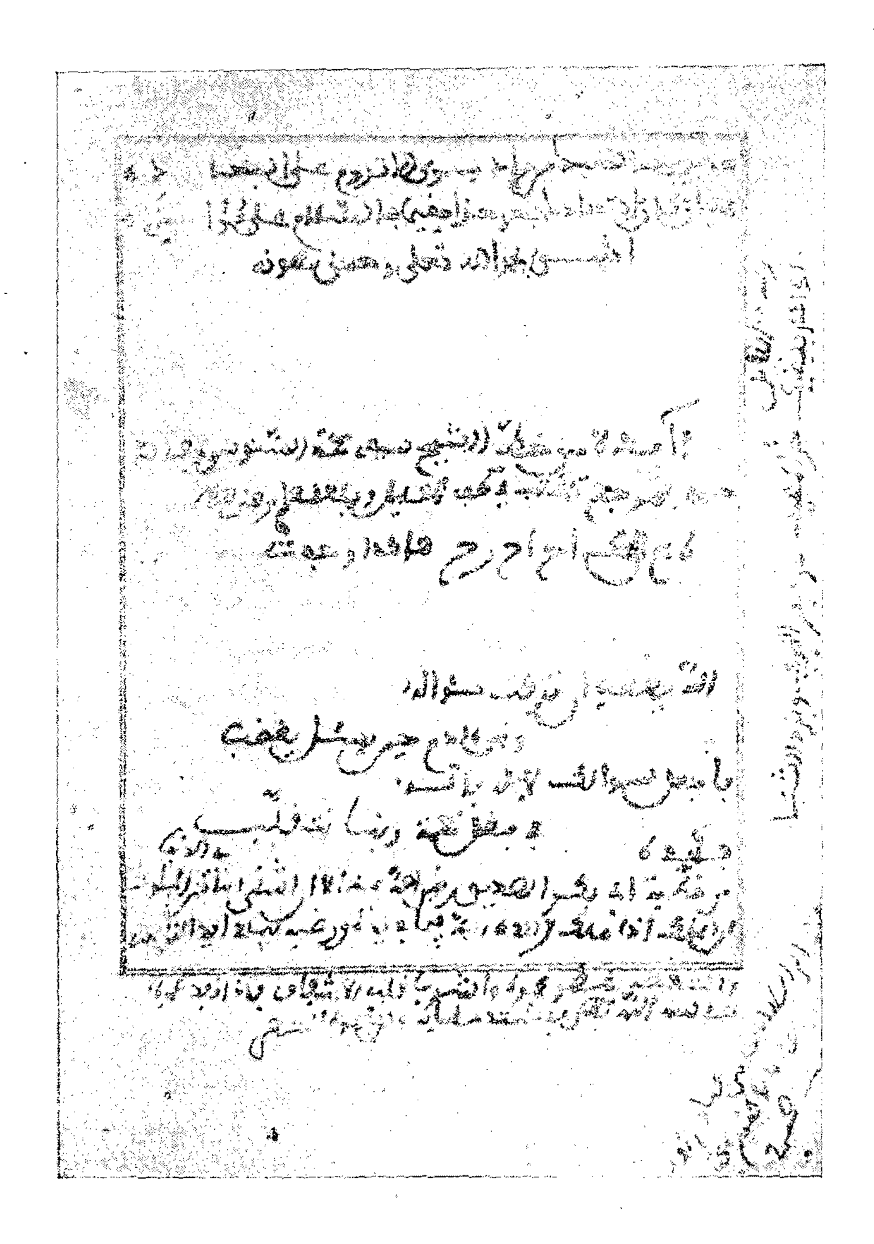
وقوله في وادي بوجة

ابا محمد عزا لكم حوت جانبا له بحيث النعيم
اصبر كما عطانا الله انا عملت واعزوا الله عز النعيم

كمل والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

الصفحة الأخيرة من مخطوطة باريس

صفحة من مخطوطة تونس



الصفحة الأخيرة من مخطوطة تونس

/ بسم الله الرحمن الرحيم [2A]

وبه نستعين . وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم تسليما

أما بعد حمد الله الذى فضّل بالنُّطق نوعَ الإنسان، وجعل البيان حِلية اللّسان ؛ والصلاة [والسلام][1] على سيدنا محمد نبيّه المبعوث بمحكمة القرآن، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

فهذه نُبذة خاقانيّة[2] المَسلَك والمَقْصِد ، من أخبار أُدباء عصرنا هذا ومن عنه يُؤخذ وإليه يُسند ؛ مُكلّلة بشُذور النثر ، موشّحة بنَفيس الشّعر ، تَعبَق ريّاها كنفح السحر[3] . إلى مثل أخبارها يَصبو الحَليم ، ولِفَضلها يَقع التَّسليم ، وبإنشادها يَطرب الكريم ، ولعُذوبة مَساغها[4] يَرغب عن كأسه النَّديم . انتخبتُها بقَصْد الاختصار ، وهذّبتها فخَلَصت خُلوص النُّضار ، وشَعشعتُها[5] وكأسُها الورَق خمرا ، وأطلعتُها وغَسَقُها الحِبْر بَدرا ؛ مُتشرّفا بذلك بآسم من لا تُعقد الخَناصر إلّا عليه ، ولا يُشار بالآستيلاء على المكارم إلّا إليه ، ولا تُلْفَى الخلائقُ راتعةً تحت راية العَدل إلّا لديه ؛ ذى الشِّيم التى لم يُخَصّ بها سواه ، والخصائل الكريمة التى لم تُجز لمن عداه ، والمَناقب الجَمّة التى لم تَؤُم [فى][6] الآجتماع إلّا إياه . صاحب البَند المشهور فى الشرف المَكين، ومَن هو لرايات المجد مُتلقٍّ كعَرابة[7] باليمين[8] ؛ سيدنا ومولانا

(1) التكلة من ت .

(2) خاقانية : نسبة إلى ابن خاقان ، أبى نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله بن خاقان بن عبدالله القيسى الإشبيلى ، صاحب كتاب قلائد العقيان ، ومطمح الأنفس . ذكره ابن دحية فى المطرب فقال : « إنى لقيت جماعة من أصحابه وحدثونى عنه بتصانيفه وعجائبه . وكان خليع العذار فى دنياه . لكن كلامه كالسحر الحلال والماء الزلال » . قتل مذبوحا سنة تسع وعشرين وخمسمائة . (وفيات الأعيان — المطرب) .

(3) السحر، بالفتح وبالتحريك ، بمعنى .

(4) فى الأصلين : « مساقها » وما أثبتناه ألصق بالسياق .

(5) شعشعتها : مزجتها .

(6) تكملة يقتضيها السياق .

(7) هو عرابة بن أوس بن قيظى الأوسى الحارثى الأنصارى . أحد الأجواد المشهورين . أسلم صغيرا . انظر الإصابة (٧ : ٤٦٦) والأغانى .

(8) يشير إلى قول الشماخ فى عرابة :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

الأمير الأسعد المؤيد الأجلّ ، الذى بشرفه تكمل رتب المعالى وتستقلّ[1] ؛ الواحدُ فى جلالة شانه ، الذى تُخصب أرضُ الجدب من فيض بنانه ؛ أبو زكريا[2] ابن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين ، أبى عبد الله[3] ، من الأمراء الراشدين ، رضوانُ الله عليهم أجمعين ؛ الذاكى الشّيم والأعراق ، العالى الهمم والأخلاق ؛ المُؤمَّل للفضل والفضلُ لسانُه ويدُه ، الدّانى بجلاله على أن جلّ محتِده : ٥

[بسيط]

تَوارث المجدَ عن جدٍّ له وأبٍ   بنَوْا له منه طَوْداً ليس ينهدمُ

لا زال مُظفَّر اللّواء والعَلَم ، مُمَكَّنة يدُه الطاهرة من جميع الخلائق والأمم ؛ وأمره العلىّ مُسْتَحلّى مَوقعُه من النفوس ، مُجلياً غياهب البأساء والبُوس ، مُظفَّراً بيُمن الله بكل مَن زاغ عن الحق وأبدى له وجهاً عَبُوس[4] .

وإنى فيما أنتقيه من الآداب إليه ، وأُوقف الإبل فى تشرُّفى بقُبُولى[5] عليه ؛ كجالب التمر إلى هَجَر[6] ، أو المُعزب عن الضَّرْع بصَريح الدِّرَر[7] ؛ لكن لمّا رأيتُ مقامه العلِىّ — خلّده الله — مُغرًى باقتناء[8] العُلوم وجمعها ، ومُوالاة النظر فى مُطالعتها وسمعها ؛ لاسيما أنواع الأدب[9] وضُروبه ، والعاكف على التهمّم[10] بفنُونه وشُعوبه ، ومن قصر ١٠ [2B]

(١) تستقل : ترتفع وتعلو .

(٢) هو أبو زكريا الثانى يحيى بن محمد بن أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص الهنتانى . وجده أبو زكريا الأول أول من استقل بالملك من ملوك الدولة الحفصية بتونس سنة ٦٢٥ هـ . وقد أنشأ مدارس عدة ودارا للكتب جمع فيها ٣٦,٠٠٠ مجلدا . وكانت وفاته بتونس سنة ٦٤٧ هـ . ولابن سعيد فيه مدائح ذكرها المقرى فى النفح (٣ : ٣٠) وقد ولى أبو زكريا الثانى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٦٦٥ هـ . وبقى فى الملك إلى أن خلع عنه سنة ٦١٨ هـ . (زنباور : ١١٥ — وابن خلدون ٦ : ٢٩٦) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص الهنتانى . من ملوك الدولة الحفصية بتونس . بويع له فيها بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٧ هـ . وكانت وفاته بتونس سنة ٦٧٥ هـ . (دول الإسلام للذهبى ٢ : ٦٣٦) .

(٤) الوجه فى الوقف على المنون بالفتح إثبات الألف .

(٥) قبل قبولا ، بمعنى أقبل .

(٦) هجر : قصبة بلاد البحرين . يقال إنها معدن التمر . وهذا مثل . ويروى : كمستبضع التمر إلى هجر . يضرب لمن يحمل الشىء إلى حيث يسترخص .

(٧) المعزب : الذاهب المبتعد . والضرع : مدر اللبن . والدرر : جمع درة : وهى اللبن إذا كثر وسال . والصريح : اللبن ذهبت رغوته . أى كمن يجتزئ بالشىء عن أصله .

(٨) ب : «بإنشاء» .

(٩) ب : « الآداب » والضمير لا يستقيم بها .

(١٠) تهمم بالشىء : طلبه .

نفسه على عِلْم مجهوله من مَنسوبه — فإنّ فى ذلك لِقاحاً للخَواطر ، وفى مُشكلات الأمور أسوة بحَلاء شُبَه الرِّيَب عن البصائر ، ونَخطرات وَساوس الفِكْر رادع وزاجر — ألّفت منه ما يُؤنَس به الجليس ، ويُمتّع من المُحاضرة بآشتماله كُل رئيس ، ويُذرى بنباهة مَقصده على المِسك الفتيق [1] والدُّر النَّفيس .

وإنى فيما شرعتُ فيه لمُعترف بالعجز والقُصور والتقصير ، وراغب فى الإغضاء عن هَذْرى الكثير ، ومن الله الاستعانة وهو ولىّ التوفيق ، وعليه التوكُّل فهو الهادى إلى سواء الطريق .

(1) المسك ، الفتيق : الذى تستخرج رائحته شىء تدخله عليه .

١ — آبن سعيد أبو الحسن على

التعريف به

الفقيه الحاج أبو الحسن ، آبن الفقيه أبي عمران بن سَعيد .

بحرٌ لا يُمتطَى ثَبجه[1] ، ولا تُخاض لُججه . علّامة الأَعلام ، وراوية الجاهلية والإسلام . مالك عِنان البَيان ومُصرِّفه ، ومُسنَد حديث العالم ومُصنَّفه[2] . إن ذُكر التفسير نُسى الزَّمخشرى[3] ، أو التاريخ فَمن الطَّبرىّ[4] ، أو التصوفُ فأين الجُنَيد[5] والسَّرىّ[6] . ذاك الذى رَكب الأخطار ، وجاب الأقطار ، وطاب ذكره شرقًا وغربًا وطار ؛ دَرّ له حَلْب حَلَب ، وبالموصل وصل إلى ما طَلَب ؛ وزار الزَّوراء[7] فازدراها ، ورأى الرَّىّ[8] فقلّت فى عينه إذ رآها . ولكم أَجال فى حِمَى حِمْص فراخَ لَهْوه ، وجَرّ على جَيْرون[9] ذَيل زَهْوه ؛ ومِصْر على آحتقارها هو مُصِرّ[10] ، والإسكندرية خبرها عنده ريحٌ فيها صِرّ[11] .

٥

---

(١) ثبج كل شىء : معظمه ووسطه وأعلاه .

(٢) يشير إلى « مسند أحمد » وهو كتاب فى الحديث لأحمد بن حنبل جامع ، وإلى « المصنف فى غريب الحديث » لأبى عبيد . يريد أنه قد جمع بين مسند الحديث وغريبه ، فأغنى غناء ابن حنبل وأبى عبيد .

(٣) هو محمود بن عمر ، من أئمة اللغة والتفسير والأدب . ولد فى زمخشر ، من قرى خوارزم . وكتابه « الكشاف » فى التفسير مطبوع ، وكانت وفاته سنة ٥٣٨ ﻫ . كما كان مولده سنة ٤٦٧ ﻫ .

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى . مورخ ، مفسر . ولد فى آمل طبرستان سنة ٢٢٤ ﻫ . وتوفى ببغداد سنة ٣١٠ ﻫ . وكتابه « تاريخ الأمم والرسل والملوك » معروف . وقد طبع أكثر من طبعة .

(٥) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى . صوفى . مولده ونشأته ببغداد . وكانت وفاته بها سنة ٢٨٧ ﻫ . (طبقات الصوفية) .

(٦) هو أبو الحسن السرى بن المغلس السقطى . من معروفى المتصوفة . ولد ببغداد . وبها توفى سنة ٢٥١ﻫ . وهو خال الجنيد المتقدم . (طبقات الصوفية) .

(٧) الزوراء : مدينة أبى جعفر المنصور ، وهى فى الجانب الغربى من بغداد .

(٨) الرى : قصبة بلاد الجبل . (٩) جيرون : دمشق .

(١٠) مصر : من أصر على الشىء ، إذا عزم عليه فلم يرجع عنه . وهو يشير إلى قوله :

لقيــت بمصر أشــد البوار ركوب الحمــار وكحــل الغبار
وخالــفنى مكار يفــوق الريا ح لا يعرف الرفق مهما استطار

وإلى قوله ، فى وصف مصر : « ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التى تكدر العين بسوادها ، ويضيق الصدر بضيق أوضاعها » . (نفح الطيب) .

(١١) الصر ، بالكسر : شدة البرد .

ومع هذا فإنه حجّ وزار ، وحطّ عن كاهله جميعَ الأوزار ؛ وساح فى الأرض سنين ، وجاور بطُور سنين[1] ؛ وسار ما بين عَبَّادان[2] وقزوين ، وعُمـان[3] ونَصِيبين[4] ؛ ومشى حينا يلبس أطمار الصُّعلوك ، وآخرَ يلبس شِعار الملوك .

شعره فى شنيل

وله فى النَّظم والنثر خاطر يتّقد كالتِّبر ، وتُجتلى فرائده كعقود[5] الدُّرّ .

٥ فمن أول ما قاله فى فضل شَنِّيل ، ماء غَرْناطة[6] ، وعاين أغصان الأشجار تميل على الماء ثم ترجع :

[مخلع البسيط]

كأنما النهرُ صفحةٌ كُتِبت أسطرها والنسيمُ مُنْشِؤها[7]
لما أبانت عن حُسن مَنظرها مالت عليها الغُصون تقرؤها

[3 A]
شعر له فى ثور قد أصاب طالبا

وكان والياً بالجزيرة الخضراء فى عام أَحد وثلاثين ، فخرج فى يوم جمعة / راكباً مُتنزها مع جُملة من طلبتها وأعيانها ، طالبا منه الحُضور معهم بخارج سور المدينة فى وليمة كانت ١٠ لهم آحتفل فيها بعضُهم ، فندَّ ثَوْرٌ من الثيران التى أُحضِرت للوليمة وندَّ الناسُ[8] أمامه ، وآتقاه بعضُ الطلبة براحته فأثّر فيها الثورُ بطَرف رَوْقه[9] ، فقال آرتجالا :

[خفيف]

إنّ عينَ الكمال لم تلقَ غيّا[10] يوم جاء الزمانُ شيئاً فريّا[11]
ثار ثورُ السماء[12] فى الأرض لمّا أن رأى منـك نيّرا قمريّا
١٥ جعـل النَّطح بين رَوْقيه بأساً فتلقَّيته بخمس[13] الثُّريّا

(١) طور سنين ، أو طور سيناء : جبل . وبه سميت البقعة .

(٢) عبادان : تحت البصرة قرب البحر .

(٣) كذا فى ت . وفى ب : « غمدان » ، وهو قصر بصنعاء .

(٤) نصيبين : من بلاد الجزيرة بين الموصل والشام .

(٥) ت : « كقلائد » .

(٦) ت : « فى نهر شنيل بغرناطة » .

(٧) انظر القسم الثانى .

(٨) ت : « وفر » .

(٩) الروق : القرن .

(١٠) ب : « عينا » .

(١١) انظر القسم الثانى .

(١٢) ثور السماء : برج من بروجها .

(١٣) الثريا : من الكواكب . يشبه الكف بأصابعها الخمس بالثريا .

ذلك الكفُّ(١) كفَّ عنها فأَبْقِ ... أثراً فيمن أرادك حيّا
بِرِئتْ راحةٌ قضتْ بٱرتياح ... وَوَقَى اللهُ حُسْنَ ذاك المُحَيّا

شعره إلى صاحب شرب دواء

وبعث إلى صاحب من أصحابه، وقد عرف أنه شرب دواء :

[كامل]

هُنِّئتَ عاقبةَ الدواء فإنها ... تَصْحيفُها وبها الحياةُ تروقُ(٢)
فالجوّ يَحسُن صَحْوه إلّا إذا ... هَطلت رُعودٌ بالحَيَا وبُروق
يا شمسَ آفاقِ المُروءة لا بدَا ... أبداً لضدّكَ فى الزمان شُروق
وبقيتَ فوق الحاسدين بمُكْنَة ... أبداً على رَغم العدوّ تفُوق

٥

يا سيدى ، خيرُ ما يُتحف يومَ شُربِ الدواء، ما يملأ العينَ بهجة ، والأنفَ نفحة ، ويُسرِّى فى طلب السرّاء :

[متقارب]

١٠

فخُذها أزاهرَ روضٍ غَدتْ ... فألسُنها لكمُ فى ثَناءِ(٣)
عساها تُشافه أرجاءكم ... نيابةَ خلٍّ صَدُوق الإخاء

ثم أتبعها مُعظِّمكم من الحمام المُفْتِن(٤)، بأزواجٍ تُستبدع وتُستحسن ، تبدو فتُعجِب ، وتَشدو(٥) فتُطرِب ، قد لبست رداء الجمال ، وخصَّها الله فى لحنها وفنّها بالكمال ، ثم شفع ذلك بعشرة من اليمام، قد لبست من صنعة صَنعاء رِداءً يروق الأنام ، وفى إثر ذلك فَرُّوج إن ذُبح رَبح(٦) ، وإلّا أُبقى وانتفع به فى السَّماع والعِيان. وفى ذَيل جميع ذلك مطيّة للقدم [التى طالما](٧) خطت فى المنافع ، وعمرت بخُطاها أركان الديار البلاقع :

١٥

[كامل]

فإذا نظرتَ فنُونَ ما أهديتُه ... فٱشهد أخى أنّى المحبُّ المُخلِصُ(٨)
أبداً أَدُلّ على مكارم خُلْقكم ... لكمالها لا كان خِلٌّ يَنْقُص

(١) المعروف أن « الكف » أنثى .

(٢) أى « عافية » تصحيف « عاقبة » وانظر القسم الثانى .

(٣) انظر القسم الثانى .

(٤) أفتن وفتن : بمعنى ، أجاز أهل اللغة اللغتين ، وأبى الأصمعى « أفتن » .

(٥) ت : « وتظهر » . (٦) أى زاد ونما .

(٧) هنا كلمة طمست أكثر حروفها فى ب . وهى جلية فى ت .

(٨) انظر القسم الثانى .

[3] B من معارضاته فى وادى المنصورة

وسافر مع والده فى البريّة التى بين وادى المَنصورة[١] ولُورقة[٢] من/ بلاد الأندلس ، وهى [مجرّ][٣] العَوالى ، ومجرى السوابق لغارات الرُّوم ، فقال له أجزوتّم :

[طويل]

وَمُجهـلة مَعروفةٍ بتوحُّشٍ يَصـير بها قلبُ الشُّجاع جَبانَا

٥ فقال :

[طويل]

تَرى الآل فيها خافقاً مُتعطِّشاً يَمُد إلى لَفح الهجير لِسانَا
لبستْ بها شمسُ الظَّهيرة حُلَّة مُذهَّبة حيث الهجيرُ كَسانا
وقد ثار من وَقع السنابك قَسطلٌ تخال لتلك النار منه دُخانا
ولا سِمْع إلا وهو سامٍ[٤] مُذلَّل يُراقبُ أنْ يلقى الحِمام عِيانا

١٠ فقال له رحمه الله : هذا طِراز يَعجز عنه أبوك ! وأعجب ما فى الشأن نظمه فى هذا المكان .

بينه وبين ابن محارب وقد حجبه

ولما وصل إلى الإسكندرية يؤمّل الحجاز ، كان بها ناظر الديوان ابن محارب ، فثَقف[٥] كُتبه حتى يأخذ منها الوكالة[٦] والزكاة . فطرق منزلَه وهو يقرأ بعضَ الكُتُب ، فاحتجب عنه وأُخبر أنه قال : لقد يَصْرعوننا هؤلاء المغاربة ! فكتب إليه :

١٥ [مجتث]

يا ذا الحجـاب ترَفّق ففى حيـاتى حِجابُ[٧]
إنّ سُـدّ بابُك عنّى فكم إلى الله باب
وإن أكن مَغربيًّا فلى معانٍ غِراب
كُتْب التأدُّب تُمْلِى وعنك يُروى الصواب
٢٠ ولا تُصيخ لِمثـلى أهـكذا الآداب

---

(١) المنصورة (Almanzora) : نهر فى وادى بيرة (Vera) . (انظر Baedekers. p. 155)

(٢) لورقة : من أعمال تدمير . (٣) تكملة من ت .

(٤) السمع ، بالكسر : هو الذئب من الضبع . وسام ، أى متطلع .

(٥) ثقف : حذق . (٦) مكان هذه الكلمة «الوكالة» بياض فى ت .

(٧) انظر القسم الثانى .

فأجاب : [مجتث]

ٱدخُل فُدِيت رفيقاً فليس دونك بابُ

وكلّ مارُمْتَ يُقضَى وبالنَّجاح الجــواب

سِوى ضرائب مَلْكٍ فــذٌ ونهنّ(١) ضِراب

بينه و بين أبى العباس الغسانى

ووصله من تونس إلى المشرق قصيدة من الأخ الأودّ أبى العبّاس الغسّانى(٢) كاتب القلم الأعلى ، يجاوبه بقصيدة ، منها ما يُقصر عن قوله حلاوة وٱنطباعا :

٥

[كامل]

أطلعتَ فى ليــل التشوُّق أنجُمَا لمّــا بعثتَ مُسائلًا ومُسلِّمَا

لولا كتابك ظَلْتُ فيــه حائرًا حيث ٱتجهتُ رأيتُ جُنحًا مُظْلِما

وافَى وأُفْقِى حالكٌ فأناره وأُوام شَــوْقِى مُؤلم فشفى الظَّما

١٠

أَودعتُــه قلبى ففاح نَســيمُه فكأنمــا نَدٌّ بجَمْــرٍ ضُرِّما

فرددتُه فى ناظرى فكأنمــا زهرُ الرِّياض ســـقيتَه ماءَ السما

فرددتُه فى مِسْمعى فكأنمــا طيرٌ أمال الغُصنَ حين ترنمــا

ما طِرسُـــه إلّا بجَمرٍ ساطعٍ رَقَم العِــذارُ بصَفْحتيه أَرَقَمــا

إيهٍ أبا العبّاس بعــدك لم أزل مهما تُدَرْ مشمولةٌ مُتجهِّما

١٥

مُتمنِّعا من شُربهــا إذ خِلْتُهــا سمًّا إذا ما خِلتَ كأســك عَلْقما

ولقد بكيتُ فلم أجد فى الجفن ما أبكى به إذ كنتُ أُبكيت الدّما

[4 A]

ولقد علمتُ بأنّ شوقك جاذبٌ مهما رأيت مكانىَ المتوهَّما

أوَ مَا تدُل على الوفاء رسالةٌ قطعتْ على حال التقاطع خِضْرِما(٣)

---

(١) ضراب ، أى مغالبة وجهد . (٢) انظر النفح (٣ : ٧٥) . وستأتى ترجمته (ص ١٢) من هذا الكتاب .

(٣) الخضرم : البحر الواسع الكثير الماء .

وله إلى أبي المجد

وكتب من حضرة تونس إلى أبي المجد[١] ابن الوزير جد العالم كمال الدين بن العديم[٢]، صَدْر صُدور الشام[٣]، وما رأى أقوم بحُقوق الأُخوة منه : [بسيط]

عرِّج على حَلَبٍ إن كُنت ذا طَلَبٍ ... للعِـلْم والحِـلْمِ والعَلْياء والأَدَبِ

واْقرى السلامَ بها من بعد لَثْم ثَرَى ... أرجائها الأرِجاتِ الأُفق والطُّنُب

على الوَزير أبى المَجد الذى خُلِقت ... أخلاقُ سُؤدده من عُنصر الشُّهب

٥

وقُل له يا كريمَ الأصل ما فعلتْ ... تلك العهودُ التى زُرَّت على الحَسَب[٤]

هل تذكُرَنّ ليالينا التى سَلَفَتْ ... بالنَّيرَّين ووجهُ الأُنس لم يَغِب

وخَلسةً قد قَطعنا بالقصير لها ... وقتاً يطُوِّل ذكراه مدى طَرب

وفى حَماةَ وفى قَصر المعَرة والـ ... أيّامُ غافلة عن مُوجب السَّبب

وله فى وداعه

ووَدّعه مرةً فقال : [طويل]

لئن نَذَروا صوماً لأول أَوْبةٍ ... فَنَذْرِى صَوْمى منذُ يوم[٥] ذَهابِهِ

إلى أنْ يَمُنّ اللهَ لى بلقائه ... فأجعـلَ يومَ[٦] الفطر يومَ إيابه

وله وقد زار معه مشاهد دمشق

وزار معه المشاهد الخارجة عن دمشق، وفى خدمتهم المماليكُ بمناطق الذهب، كالولدان فى الجنان؛ فأدركته خشية وخرج عن الدنيا، وألزمه ذلك وعاهده عليه، ومضى إلى حلب. فبلغه أنه عاد إلى ما كان عليه من اتخاذ المماليك، وذلك شئ لا بد لمن يخدُم السلطان منه، فكتب إليه : [مخلع البسيط]

١٥

يابن سَعيد إليك شوقى ... شوقَك للغُصن والكَثيب

نقضتَ بعـد البِعاد عهدى ... فارجع إلى الله من قريب

فأجابه :

يابن الكمال اْطَّرح عِتاباً ... فى الشَّوق للغُصن والكَثيب

٢٠

(١) هو أبو المجد محمد بن عبد الله، ابن الوزير الكاتب أبى عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهانى.

(٢) هو كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلى، المعروف بابن العديم. مؤرخ، محدث، كاتب. ولد سنة ٥٨٨ هـ. وكانت وفاته سنة ٦٦٦ هـ.

(٣) ت : «صدر الدين».

(٤) زرت : شدت.

(٥) انظر القسم الثانى.

(٦) ت : «عيد».

واسأل إلى الله[١] أنْ يُعافِى ‏ من مُقلة الشادن الرَّبيبِ
تُبنا كلانا وسوف نَنْسى ‏ لكنّنى عُدت من قريب

وله يهنىء الناصر بفتح دمشق

ولما مات الملك الصالح[٢] ، ابن الكامل[٣] صاحب مصر ، زَحف الملك الناصر[٤] من حلب إلى دمشق بماظنّه من الأكراد ، ففُتحت له عندما أطلّ عليها ، وحصل ابنُ يَغمور[٥] فى يده ، فعفا عنه وصيّره بعد ذلك أميرَ أُمرائه[٦] ، ونظم فى هذا الفتح قصيدة ، منها : ‏ ٥

[بسيط]

[4 B]

أمّا دمشقُ فقد ألقت أَزِمّتها ‏ على يَدَيْك على حُسْنٍ وتَحْصين[٧]
لم تَمتنع عندما قاربتَ ساحتَها ‏ وجال جيشُك فى تلك الميادين
لمّا نهضتَ إليها وهى عاصيةٌ ‏ تَلفّعت من حَياء بالبَساتين
مثلَ العروس تجلّت[٨] فى ملابسها ‏ بكُل ماجَلّ من حُسن وتزيين ‏ ١٠

وله يستميحه السفر إلى موطنه

وجَمع مُختار أمداحه فكانت خمسةَ آلاف بيت ، ورَفعها إليه ورغب منه أن يترك سراحَه للحج مع الرَّكب ، فأنعم عليه وأمر له بخلعة موشّية ، ولم يصلْه معها زاد ، فكتب إليه :

[مجزوء الكامل]

يأيها الملك الذى ‏ نَفع الزمانُ به وضَرّْ[٩]
أهديتَ لى التَّشريفَ لَـ ‏ كنْ دونه زادُ السَّفر ‏ ١٥
فكأنما أهديت[١٠] لى ‏ فصلَ الرَّبيع بلا مطر

---

(١) ت : « ووسل من الله » .
(٢) هو أيوب بن محمد . من سلاطين الدولة الأيوبية . توفى سنة ٦٤٧ هـ .
(٣) هو محمد بن محمد بن أيوب . توفى سنة ٦٣٥ هـ .
(٤) هو الملك الناصر يوسف بن محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، صاحب حلب .
(٥) هو جمال الدين أبو الفتح موسى بن يغمور . كان نائب الشام .
(٦) ب : « أمين أمرائه » .
(٧) انظر القسم الثانى .
(٨) ب : « تحلت » بالحاء المهملة .
(٩) انظر القسم الثانى .
(١٠) ت : « أعطيتنى » مكان « أهديت لى » .

فخاف كمالُ الدين على ٱبتداع هذا المعنى، وزكّاه الملكُ الناصر وأمر له فى الحين بالزاد المُبلِّغ[١] . ولمّا عاد من الحج والزيارة لم يتمالك عن العَود إلى المغرب، فكتب إليه فى ذلك جملةً من المُقطَّعات ، فلم يفتح له فى السفر بابا ، إلى أن حضر عنده فأنشده : [سريع]

بالله يا أكرَم مَن قد رأتْ عيناى بالمَغرب والمَشرقِ[٢]
ٱنظُر لقولى مُنصِفًا مُفْكِرا حينًا وعَوِّق بعدُ أو أطلقِ[٣]
قَضيتُ خيرَ العُمر فى أرضكم فمتِّعوا أهلى بما قد بَقى

فارتاح وظهر منه الحنان والإسعاف . وقال لجمال الدين بن يغمور : صدق ! يُسرَّح بما يكفيه من الإحسان . فأخذ فى السفر، وجرى مع القدر .

له فى مقتل المعظم

وقال فى الملك المعظم[٤] ابنِ الصالح ، ابن الكامل ، وكان لما مات أبوه صاحب مصر ٱستُدعى من حِصن كَيْفا[٥] ومُكِّن من ملك أبيه بالشام ومصر ، وهَزم الفرنج الهزيمة العظمى على دِمْياط[٦] ، ثم اضطربت أحواله عُقيب ذلك مع الأتراك[٧] ، فقتلوه بين الغرق والحرق والتراب[٨] فى حكاية عَجيبة : [كامل]

ليت المُعظَّم لم يَسرْ من حِصْنه يوماً ولا وافَى إلى أملاكِه[٩]
إنّ الطبائع إذ رأتْه مُكمَّلاً حسدتْه فٱجتمعتْ على إهلاكه

له فى شاب وسيم

وله فى شاب جميل الصورة من أبناء العجم ، صَحبه فى الطريق من حَلب إلى بغداد ، وكان ظريفاً أديبا ، فمات فى بغداد : [مجزوء الكامل]

لَهفى على غُصنٍ ذَوَى أُفقدتُه لما ٱستوَى[١٠]
ريّان من ماء الصِّبا ومن المَدامع ما ٱرتوى

(١) ب : « البليغ » .
(٢) انظر القسم الثانى .
(٣) ب : « طلق » .
(٤) دو الملك المعظم توران شاه .
(٥) كيفا ـ و يقال فيها : كيبا ـ : بلدة وقلعة مشرفة على دجلة ، بين آمد و جزيرة ابن عمر من ديار بكر . (ياقوت)
(٦) انظر النجوم الزاهرة (٦ : ٣٦٤ — ٣٧٠) .
(٧) يشير الى فتك مماليكه به سنة ٦٤٨ ﻫ . النجوم الزاهرة (٦ : ٣٧٠ — ٣٧١) .
(٨) العبارة فى النجوم : « وكانوا قد جمعوا فى قتله ثلاثة أشياء : السيف والنار والماء » . وفى ت : « الهواء » مكان « والتراب » .
(٩) انظر القسم الثانى .
(١٠) انظر القسم الثانى .

لا تَعْذلونى إن نطقـــتُ الدهرَ فيه عن الهَوَى
كم ضَـلّ صاحبه بسِحْـــر اللَّحظ منه وكم غوى
[5 A] / أنا لا أُفيـق الدهـــرَ فيه من الصَّبابة والجَوى
إنّ الهَـوى حيًّا ومَيْتاً لا يزال به سَـــوَى
٥ كم قـد نويتُ به النَّعيـــم فقـدّر الله التَّوى(١)
دارَ السلام حَوَيْتِ مِن كُل المَحاسن ما حَوى
حُورِىّ حُسن قـد ثَوى فى جنّة وبهـا ثَوَى

ولە فى حراقة بدجلة

وله وقد دخل نهر دِجلة ببغداد راكباً فى حَرّاقة ، مع زعيم من زُعماء دولة بغداد ، يقال [له : محيي](٢) الدين، فقال، وقد نظر إلى حُمرة الحرّاقه وصُفرة قِلعها وسُرعة جَريها :

[مجزوء الكامل]

١٠ باللهِ مُحيِي الدِّين يا مَن ظِلُّه أبداً ظَلِيلْ(٣)
انظُر إلى شَفقٍ على فَلَق يَطير به أَصيل

وله فى تركى بخده خال

وكان بخُراسان مُسايراً لبعض مُلوكها ، فلقيَهم مملوكٌ وَسيم من الأتراك ، بخدّه خالٌ وهو معذَّر ، فقال ارتجالا :

[سريع]

١٥ كأنما الخـالُ على خدِّه إذ لاحَ فى سِاسلة من عِذارْ
أُسيود يخـدُم فى جَنّة قَيّده مولاه خوف الفِرار(٤)

شعر اللياني إليه بعد عودته من الحج

ولمّـا عاد من أقصى المشرق إلى إفريقية بعث له زعيم من زُعماء حضرة تونس هدايا منوَّعة وكتب له ، وهو أبو العباس اللياني(٥) :

[مجتث]

٢٠ يا زائراً خيرَ بيتٍ دِيانةً وريـاضـهْ
أَفِضْ أزاهِر عِلْم تجلُو علينـا رياضهْ
قـد تمّ حَجُّك لكنْ بَقِى طوافُ الإفاضهْ

---

(١) التوى : الهلاك . (٢) بياض فى ب . (٣) انظر القسم الثانى .
(٤) أسيود : تصغير « أسود » . و يقال فيه : أسيد . وانظر القسم الثانى من هذا الكتاب
(٥) انظر النفح (٣ : ٩٨) .

وكتب إلى رئيس من رؤساء هذه الدولة — خلّد الله أيامها ونصر أعلامها ، وأدام وُجودها ، وكبت حسودها — وهو الشيخ أبو عبد الله بن أبي الحسين[1] :

له يستهدي من رئيس

[متقارب]

أخا الجُودقد طال شَوقي إلى ... شُموسٍ بواطنُها مُقمِرهْ[2]

٥ تَجىء مع الوَرد فى فَصْله ... وأوجهُها للمُنَى مُسفِره

وتَصحيفها يَقتضى حُبَّها ... وبالضّدّ يَقضى لمن غَيَّره

وأكثر وجدى بها عندما ... تُعَضُّ فتَضْحك مُستبشِره

فبعث له ما طلب وكتب الجواب :

[متقارب]

أتاكَ أبا حَسنٍ غائبٌ ... متى ما أردتَ تَراه تَرَهْ

١٠ يَحبّ به طيبــة تَنتميه ... ولكنْ بنـارٍ أتتْ نَيِّره

وُجوه النَّعيم عَراها الجَحيمُ ... فأبرزَها أوجهاً مُسْفِره

فكُلْها هنيئاً مريئاً ودَعْ ... لِسُكّرها قهوةَ الدَّسكَره

[5 B] / وأَقدِمْ فإنّى أَرى جُبنها ... يُقَوِّى الجَبان على القَسْوره

وَمهماصَبرتَ لوقتالضُّحى ... فللهِ قلبُك ما أَصْبَره

١٥ ولما وقف الصاحب الفقيه أبو عبد الله بن أبى [الحسين على][3] هاتين القطعتين قال فأحسن :

جواب ابن أبي الحسين

[متقارب]

وناعمةِ الأحشـاءِ طَيِّبة الجنـا ... أتَتْكَ مع الإصباح فى فَحمة الغَسقْ

مُعذَّبة بالنـار وهى غريقـةٌ ... وما أن شكت نارَ الحَريق ولا الغَرق

٢٠ وأعجب ما فيهـا إذا ما عضضتها ... أرتْك ابتسام الفجر فى حُمرة الشفق

---

(١) بياض فى ب . وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف ابن سعيد . ملك أفريقية (القلائد — المطمح)

(٢) انظر القسم الثانى . (٣) بياض فى ب . وفى ت : « ابن الراسبى » .

وله فى أبى العباس الغسانى

وقال، لما أسهم منها الأخ المخلص أبا العباس الغسانى[١]، وخاطب بذلك المنعم بها :

[طويل]

سَعيتُ إلى ذى الجُود فى جمّ فَضله | فقابلنى منه القَبـولُ الذى عَمَّا
وواعدتُ نُعماه صبيحة جُمعـةٍ | فوافت تُبارى فى المُبادرة السَّهما
وأسهمتُ[٢] فيما قد حوتْ جفنةُ النَّدى | بنى جَفْنة[٣] أبغى بها منهمُ السَّلما

٥

وأرسل الجفنة بعد أيام وأرسل معها[٤] :

[سريع]

خُذها إليكم جفنةً قد غَدتْ | فارغـةً يملـؤها الحَمْـدُ
تطلُـب منكم عادةً لم تزل | يَعْـجِز عن تَكرارها العَـدُّ
أَرسلها ربُّ البنات[٥] التى | يَحُفها السُّـكَّر والشُّهـد
باطنُها أحسـنُ من ظاهرٍ | يحسُـدها المَبْسِم والخَـدّ
مِن أدبٍ إرسالهُـا للعُـلا | لاعَسَـلٌ فيها ولا زُبد
الجَزْر من عندى ومن عنـدكم | يكون يابَحرَ الندى المَـدّ

١٠

[طويل]

شعره إلى ابن همشك

وكتب إلى محمد بن يحيى بن هَمُشك الينيالى[٦] :

أخى ابن هَمُشْكٍ قد أتتْك هديّتى | تُجمِّـع أشتاتًا تُترجم عن وُدِّى[٧]
هـديّة خِلٍّ قـد أدلّ بماله | لديك فلم يَحتج إلَى كُلفة الجهد
فقَلـت وجلّت قيمـةً ومودةً | وحلّت بأوفى الناس كُلّهم عندى

---

(١) ستأتى ترجمته (ص ١٢) . (٢) ت : « وساهمت » .

(٣) جفنة : قبيلة من الأزد — وقيل من اليمن — ملكوا على اليمن واستوطنوا الشام . شبههم بهم كرما وفضلا .

(٤) ت : « وكتب معها » . (٥) كذا فى المخطوطتين .

(٦) ستأتى ترجمته (٩٨ — ١٠٧) . (٧) انظر القسم الثانى .

٢ — أبو العباس الغسانى (*)

الفقيه أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم الغسانى .

شئ عنه

كاتب مذكور ، وشاعر مشهور ؛ بَدْر الحَلك ، ونادرة الفَلك ؛ البحر الزاخر فى الرواية ، والروض الناضر فى المعرفة والدراية ؛ إن أخذ فى الإيراد والإنشاد ، فكأنما ردّ الحياة إلى جماد ؛ فارس ميدان الارتجال ، فى أى نوع طلب من أنواع المَقال ؛ قد انقادت إليه أَزِمّة البيان ، وكلامه يشتمل على الحُسن والإحسان ؛ وهو الآن لسان الدولة العلية وكاتب سرها ، /والمعول عليه فى نظمها ونثرها؛ قد اختصه المَلك بالعلامة ، وهى النهاية فى الكرامة . [6 A] تصرّف فى أنواع البلاغة وسائر فنونها ، وأتى بأبكار المعانى المخترعة ومُنتخب عُيونها؛ يفتّح من خَطه الرائق أزهار الرياض ، و يأتى بوَشْيه المُبهج بين السواد والبياض ؛ ونظمُه ونثره شاهدان على صِدق ما قلت فيه، وإن لم أكن الآن أطنبت فى مدحه كما يجب له من (١) ذلك وأَستوفيه .

رسالته إلى ابن يامن

كتب إلى الفقيه أبى القاسم بن يامن (٢) جواباً عن هديّة أهداها إليه :

أَدام الله وُدكمُ وأَبـقى ... إخاءكمُ على (٣) مَرّ الزمانِ

فقد وَصل الثلاثُ وهُن سِتٌّ ... ولو رُبعت لجاءت بالثّمان

ولم تك قسمةً ضِيزَى وأَجرت ... لسانِى وهو أَمضى من سِنَانى

فإنْ ضَيّعته لبَنًا بصَيْفٍ ... فما بينى و بينك من لِبان (٤)

(*) نفح الطيب (٣ : ٥٧) رايات المبرزين (ص ١٠٨) .

(١) فى ب : « فى ذلك » .

(٢) هو أبو القاسم أحمد بن يامن . وستأتى ترجمته (٥٣ — ٥٩) .

(٣) ب : « إخاكم لى على » .

(٤) اللبان : الرضاع . يشير بالشطر الأول إلى المثل : « الصيف ضيعت اللبن » . و بالشطر الثانى إلى أنه ليست بينه و بينه أخوة رضاع .

أسعد الله الأخَ المُبجَّل المكرَّم ، المفضَّل فى حَلبة السَّبْق المُقـدَّم ؛ ولازالت سراياه مَعتولة[١] ، وصَفاياه إلى مَحلّ الصَّفا[٢] منقولة ؛ من كُل مالئة الإناء[٣] ، مَليئة بالشُّكر مَدى الآناء[٤] ؛ تُريك ما أحار المِشْفر فى البَشَر ، وتكرُم فى المَحلّ عن تحمُّل العُشَر[٥] ؛ وإن كان المَطْل أساء به الظن ، ومَثَل لى وحاشاه أن قد ضَنّ ؛ لكنه ادكر بعد أُمَّه ، وماينُكرعرفان مَن أَمَّه ؛ بجاءت تهادَى عرائس ، وتغادَى ظِباءَ كَوانس[٦] ؛ مُشعِرة بأن تُشفع بأخواتها ، مُذكِرة بذات الحُسن وحُوَّاتها[٧] ؛ فحنينُها يأبى الغَزْر ، وشِكاؤها[٨] يَشكى من المُستدرّ ؛ فيا لك من حَلَب لو كان له شَطْر[٩] ، وجَلَب لو انفرد به زيد أو عمرو ؛ ولا خفاء أن البغى يُثير الحَسيكة[١٠] ، ويدعو المُشاكس أن يُفارق شريكه ؛ على أن الرَّثيئة[١١] تفثأ الغضب ، وتُعيد عِدًّا[١٢] مورداً نَضَب ؛ واليد البيضاء حليها لاتمام ، حتى تُتبع الفرسَ اللِّجام ؛ وإذا وقع الاجتزاء ، وكُمِلت بسُورة البقرة الأجزاء ؛ فالشُّكر مَوصول ، وخِضَاب عملك ماله نُصول[١٣] .

شعره الى أبى الحسن

وكتب إلى الحاج أبى الحسن جواباً : [سريع]

مَن قال فى الجنَّة غيرَ الذى	أقولُه فى خَلقــها يفْــترِى
ها إنها زُفَّــت بما لم يكن	لسامعٍ يَبــدو ولا مُبصر

(١) كذا فى ب . والسرايا : جمع سرية : القطعة من الجيش . ومعتولة ، أى مسوقة مكدودة . والعتل : الدفع والإرهاق بالسوق العنيف . يشير الى تشميره للكفاح . وفى ت : « ولازالت هداياه مقبولة » .

(٢) الصفايا : المختار المصطفى من الغنم . والصفا : أحد جبلين ببطحاء مكة ، وثانيهما المروة . يشير إلى ما ينحر هناك للضحية .

(٣) الإناء : الوعاء . يريد سمينة غير هزيلة ، كثيرة الدر .

(٤) الآناء : أجمع أنى ، بفتح همزته وكسرها : الوهن ، والساعة من الليل .

(٥) العشر : من كبار الشجر له نور حسن المنظر ، ترعاه الإبل .

(٦) الكوانس : الداخلة فى كناسها ، وهو حيث تأوى .

(٧) الحوات : جمع حوة ، وهى سمرة الشفة .

(٨) الشكاء : جمع شكوة ، وهى وعاء من أدم يحبس فيه اللبن .

(٩) يشير الى المثل : احلب حلبا لك شطره . (١٠) الحسيكة : الحقد .

(١١) الرثيئة : اللبن الحامض يحلب عليه فيختر . وتفثأ : تكسر وتسكن . يشير الى المثل فى اليسير من البر : « إن الرثيئة تفثأ الغضب » . وأصله أن رجلا كان غضب على قوم ، وكان مع غضبه جائعا ، فسقوه رثيئة فسكن غضبه . (١٢) العد : الموضع يجتمع فيه الماء الكثير .

(١٣) النصول : الخروج من الخضاب .

[6 B]

أطْلع قرصُ الشمس بَرْعومها[1] ومُشتريها الأَسعد المُشْترى

/ وتاجُ كسرى لاح فى[2] كسْرِها رُصِّع بالياقوت والجَـوهر

ما نُظِّم العِقــد كتَنظيمه مِن وَرده الأَبيض والأحمر

مُستودع فى قَصب لايُرى من نَصب فيه ولم يَشْعر

٥ وشَرَّع السَــوسنُ من حَوله أَجنَّـةً[3] رائقةَ المَنـظر

وخَضَّـب الفُستق أطرافَه بأَحمـرٍ قانٍ على أَحمـر

حَكى مناقيرَ طُيــورٍ ثوت لم تَرِمِ الــوَكر ولم تَصـدر

ولو شَحت[4] أفواهَها خِلتها تَلتقط الحَبَّ من العُصـفر

وشــذّ للتفّاح فيه شَـذًى أهدى فَتيقَ المِسـك والعَنبر

١٠ ونَمَّ خِيرِىٌّ بأنْ قد أَتى خِيارُها عن فاضـلٍ خَيِّر

وقَطَّ من أطرافها فاغتدى مثـلَ جِعاب القَصب السكَّر

بالله لو رُمتُ لمـا قـد حوتْ حَصراً مدى الأيام لم أحصُر

وعنّ قَبْقـابٌ لعُنّابهـا يحكى أبا الشَّقشاق[5] فى المِنسر

هـذا وكم من طائرٍ واقعٍ من مورد الورْد على كَوثر

١٥ ولم يزل من وُدّه صافيا إنْ تكدُر الأمواه لم يكدر

فالحمــدُ لله على مِنّــةٍ جلّت عن الشُّكر ولم تُقْدَر

شعره الى صديق

وكتب إلى صديق له : [مجزوء الكامل]

بَكِّر — فَديتُك — فى غدٍ إذ كان موعدنا الخَميسْ

فالروض مَوشىّ الحُـلى والقُضْب فى حُلَلٍ تَميس

٢٠ وأجلُّ كافات الشتا ء وخَيرْها كأْسٌ وكِيس[6]

---

(١) ت : « زنبوعها » .

(٢) الكِسر ، بالكسر : الجانب .

(٣) ت : « أخبية » .

(٤) شحا فاه يشحوه : فتحه .

(٥) القبقاب : الخرز الذى تصقل به الثياب . وأبو الشقشاق : طائر .

(٦) يشير الى قول ابن سكرة :

جاء الشتاء وعندى من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كيس وكن وكانون وكأس طلا مع الكباب وكس ناعم وكسا

ما حظُّ مَن أَسعفته ... بلقائك الحَظُّ البَخيس
لِله دَرُّكَ لُقيةً ... بل لِقْوة وجدت[1] قَبيس
قد أقرأتنى نِعمةً ... من باب نِعم بغير بِيس
فإليك منِّى لوعة ... وعليك لى حُبٌّ حَبيس
لك كُل مَسموعٍ غدا ... فى كُل فنٍّ أو مَقيس
تلقى الخَميسَ بكأسه ... وتَحُل فى صَدر[2] الخَميس
تحمى الحقيقةَ لا تَطيـ ... ـش ولو يرى بِى[3] الوَطيس
ولأنت من قَبل الكِتاب ... وبعده نِعم الجليس

ولك الأمرُ من تَلبيس[4] الكتائب، وتَغليس[5] الركائب، وركض الجياد، ورَفض فرض الوداد[6]؛ ومبادرة الجَوْنة[7] أن تغيب، وإعمال الوَخد والتَّقريب[8]؛ بل أغضُّ العنان، ولا أتركك تَعض البَنان، وأَتبع واضح أثرك، وأتقنَّع بخمار عِثْيرك[9]؛ وأتفيأ ظِلّك، وأكلأ رَحلك؛ فتجاوزْ عن الهَفوة، واغتفر ذنب الجفوة؛ إذ لا مُؤاخذة للمِراح، بجناية الراح؛ ومَن صَدر عن مثل ما صدرت، ووَرد العِدَّ[10] الذى وردت، فقل له: خُلع عِذاره، ونُبذ وقارُه لِعقاره[11] / ؛ وإن ذكَّرتنى اليَحْمُوم[12] وسَعده، وتمسُّكه حين ألقى الصَّعده[13]؛ فعزيز أن تزلّ عن الصَّهوة، وتسجُد وأنت المُصلّى بين يدى نَشْوة؛ فاعتضْ بمرْكوبك[14]، وانهض لإعمال

[7A]

(١) اللقوة : الناقة السريعة اللقاح، وكذلك الفرس. والقبيس : الفحل السريع الإلقاح لا ترجع عنه أنثى.
(٢) الخميس، الأول : اليوم المعروف. والثانى : الجيش.
(٣) الوطيس : التنور : وبه شبه هو الحرب.
(٤) التلبيس : التخليط. يصفه بالشجاعة، وأنه يلبس الكتائب بعضها ببعض خوفا منه وهلعا.
(٥) التغليس : إتيان الأمر فى الغلس. وهو من سابقه.
(٦) ت : «ورفض الوداد». أى إنه لايميل إلى الدعة والسكون حيث ينعم بحديث الحب والوداد.
(٧) الجونه : عين الشمس. وإنما سميت جونة عند مغيبها لأنها تسود، يشير إلى قول الشاعر :
* يبادر الجونة أن تغيبا *
والذى فى الأصلين : «الجزبة»
(٨) الوخد والتقريب : ضربان من السير. (٩) العثير : العجاج الساطع.
(١٠) العد : الموضع يجتمع فيه الماء الكثير.
(١١) العقار : معاقرة الخمر.
(١٢) اليحموم : فرس كان للنعمان بن المنذر.
(١٣) الصعدة : القناة أصغر من الحربة. (١٤) ت : «ذنوبك».

كُوبكَ[١] ، وإنْ لعبت بكَ الصَّهباء ، وجَبذت[٢] ذُؤابتك الأَصباء[٣] ، ولم تملكْ العِنانَ بنانُك ، واستعجم على ما جَمْجم[٤] بيانك[٥] ، فلا ترُم الدَّوحة ، وتجنَّب الرَّوحة[٦] ، وزاحم الفَرقدين ، واجمع بين الأَبردَين[٧] : [طويل]

فلله دَرُّ الأُنس فى كُل حالةٍ ... تَروق غَبُوقًا أو تَشوق صَبُوحَا

٥ وهَل مِن جُناح إن حَنتَ لصَبْوةٍ ... وأَبديتَ من فَرط الغَرام جُنوحا

نصافِحْ أُكفًّا بالكُؤوس مُشيرةً ... وأَبْشِرْ بأنْ تاقَى الإله صَفُوحا

ولا تمنعنَّ النَّفس لذَّةَ ساعةٍ ... لتُرضِى عدوًّا أو تُطيع نَصوحا

ولا خَير فيمن قـدتَه لمسرَّة ... فـلم تُلْفِه طَلْق العِنان طَموحا

إلى صديق له — وكتب إلى صاحب له من جَنّته بالجزيرة : [مجزوء الرجز]

١٠ إنّ ليَومِ الأَخمسـهْ ... مَواثِقـًا مُؤَسَّسهْ

نَجمع فيها شملَنـا ... بِبِكْرِنا[٨] المعُنَّسـه

ولم تَزل تُضحك منَّـا ... أوجُهاً مُعبَّسـه

ما عَبستْ مِن زائرٍ ... تُقِلُّ[٩] يوماً مجاسه

بل من حُمَيّا قَهـوةٍ ... حمراءَ أو[١٠] مُورَّسه

١٥ يُديرها الظَّبىُ الذى ... صَـيّر قلبى مَكْنِسه

عجبتُ من ساكنه ... أمَا توقَّى قَبَسـه

رياض حُسن ليتنى ... ممن جَنى مُغترِسـه

فمن خُدودٍ وردُه ... ومن جفُون نَرجِسه

---

(١) ت : « ركوبك » . (٢) ت : « وجذبت » .

(٣) الأصباء : جمع « صبا » وهى ريح الشمال . (٤) جمجم : لم يبين ولم يفصح .

(٥) ب : « ولم تسلك العنان بنابك ، واستعجم على ما جمجم ببابك » .

(٦) الدوحة : الشجرة العظيمة أو المظلة العظيمة أيضا . وكأنه يشير بالبراح والفضاء حيث لا كن ولا ستر يريد المجاهرة لا التخفى . (٧) الفرقدان : نجمان لا يغربان . يغريه بالسهر . والأبردان : الغداة والعشى .

(٨) المعنسة : التى كبرت وعجزت فى بيت أبويها . يريد الخمر المعتقة .

(٩) تقل : أى تستقله وتحقره . وفى ت : « ثقل » . (١٠) مورسة : صفراء .

إنّ الليالى لم تزل   بمؤنسٍ لى مؤنِسه
وإنها عن بعض ما   يُنهضنا لَمُجْلِسه
تُبدى رضًى مُطمعة   بعد آزورار مُؤيسه
وليانًا يُبـدِى لنا   خُنَّسة[1] وكُنَّسه
ومن أَتَى فَليتركنْ[2]   عنه بعيداً فرَسَه   ٥

ولولا شُهود عُدول وأشياء ، كما قال ابن الزيات[3]، لسمع تَصحيفه الساعة ، وشرع فى الخلاعة ؛ لكن الليلَ وأهضام الوادى[4] ، والإصرار على ما عُلم والتّمادى .

وكَتب إلى أبى القاسم بن يا من :   [خفيف]   شعره إلى ابن يامن

شِيمةُ الخُلف عادةُ الأيّامِ   فغَريبٌ إذا وفتْ بمَرامِ
وعجيبٌ من اللّيالى رَبَاحٌ   وسَماحٌ لشَمانا بآنتظام   ١٠
وإذا أَسعفت بنَيْل الأَمانى   فُرصةٌ منك بُودرت بآغتنام
رُبَّ برقٍ أبدى مَخيلة صِدْق   بتَوالى تألُّقٍ وآبتسام
وتصدّى يكرّر الوَمْض حتى   أَطمع الرَّوضَ بآنسكاب الغَمام
فسَرى دَجْنُه ولم يَسْرِ عنه   ما كسا وجهَ بِشره من قَتام
/ وعَزيزٌ أنْ بِتُّ ليلى[5] سليما   ذا آرتقابٍ لطارقِ الأَحلام   [7B] ١٥
وارتقابُ الخَيال غيرُ مفيدِ   لجفون لم تَكْتحل بمَنام
مِن تَمام الوُعود قد خِفتُ نَقصاً   فانتقاصُ البُدور عند التَّمام

---

(١) الخنس : الدرارى الخمسة : زحل ؛ والمشترى ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد . والكنس : النجوم تطلع جارية .

(٢) ب : « فليرتكن » .

(٣) هو محمد بن عبد الملك ، المعروف بابن الزيات ، وزير للمعتصم والواثق . وكان لغويا أديبا . ولد سنة ١٧٣ هـ ومات ببغداد سنة ٢٣٣ هـ .

(٤) الأهضام : جمع هضم : وهو مسقط الجبل وما غاب من الأرض . ويقال فى التحذير من الأمر المخوف : « الليل وأهضام الوادى » . يعنى احذر فإنك لا تدرى لعل هناك من لا يؤمن غائلته .

(٥) ت : « ليل سليم » .   (٥) سيأتى ترجمته (٥٣ — ٥٩)

ورأيت ٱئتلافنا دون وَعدٍ هو أَحلَى كالرِّى بعد الأُوام
نصلِ الآنَ دون رَيْثٍ لنقْضِى ما علينا مِن واجب الآثام
إنما نَشْــوة النهار ٱفتضاحٌ وٱتضاح السُّرور عند الظلام

شعره إلى ابن همشك على هدية من حمام

وكتب إلى محمد بن يحيى بن هَمُشْك :

[مجتث]

٥
أَهـدى الحميمُ حَمَامَا فَهِمْتُ عنـــه[1] غَرامَا
أبدى[2] صباحاً ولكن جَرَّ الذُّنابَى[3] ظَلاما
ٱبيضّ وٱحمــرّ جَفْنـاً فهل سَقَوْه مُداما
قد فارق الدَّوح لمــا رأى الفِــراق لِزاما
١٠ لذاك سَحَّ عليـــه دمع الغَمام سِجاما
وقد ثَنى الغُصنُ عِطْفاً فمــا ٱستطاع قَواما
فإن تَهُبّ رياحٌ تُبدى الغُصونُ[4] ٱلتِداما
على فِراق حَمام لا ذاق يوماً حِماما

وله ارتجالا فى أشياخ الخلافة

وقال ٱرتجالا :

[وافر]

١٥
أأشياخَ الخِلافة لا بَرِحتُم على حال ٱئتلافٍ دون بَيْنِ
وإحسانُ الخليفةِ[5] فى تَوالٍ عليكم كُلَّ يوم مَرَّتين
وللكُتّاب قد وجبت عليكم زكاةُ المالِ وهى زكاةُ عَيْنِ
وقد أَدَّى الذى قد كان فرضاً على إحسانه ابنُ أبى الحُسين

---

(١) ب : « فيه » .
(٢) ب : « بدأ » .
(٣) الذنابى : ذنب الطائر .
(٤) الالتدام : ضرب الصدر .
(٥) ت : « الخلافة » .

وله من تونس إلى المشرق

وكتب من تُونس إلى المشرق قصيدةً منها :

[كامل]

إيهِ أبا الحَسن ٱستمع شَدْوِى كما　　يُصغِى الحَمامُ إلى الحمام ترنُّمَا

وأَجِل جُفونك فى سُطورٍ لم تكن　　لولا تَصعُّد زَفرتى أَنْ تُفهما

وإذا لمحتَ فريدةً منها فلا　　تعجبْ لناظمها فمنك تعلَّما

٥

باللهِ طارِحْنى الحديثَ فإننى　　أَهْوى حديثَك مُفصِحا ومُجَمجِما

وٱستبق بالنَّجوى الخفيَّةِ بعضَ ما　　أبقيتَ لى إذ لم تدع إلَّا ذَما[١]

أَتُرَاك مِن نادى السُّرور سلوتَ أم　　ما زِلْت مثلى فيه صَبًّا مُغرما

تتجاذب الأشواقُ قلبِىَ كُلما　　أبصرتُ فيه مكانَك المُتوهَّما

ويطُول حَبْسى[٢] للكُؤوس تذكُّرا　　فإذا شربتُ شربتُ فيها[٣] العلقَما

١٠

إذ ليس يعذُب موردٌ حُلِّئتُ[٤] عن　　أَرجائه ولو ٱن أَموت من الظَّما

وَيْحى لهذا الدَّهر فَوَّق[٥] أَسْهُما　　للحادثاتِ فكنتُ أولَ مَن رَمى

أَغرى بنا البينَ المُشتِّتَ والنَّوى　　لمّا رأى شَملَ الجميع مُنظَّما

---

(١) الذماء ، بالفتح والمد ، وقصر هنا للشعر : بقية النفس .

(٢) ب : « جسى » .　　(٣) ب : « فيه » .

(٤) حلئت : منعت . وفى ب : « خليت » .

(٥) فوق السهم : جعل له فوقاً ، وهذا النصل .

[8 A]

٣ — / أبو الحسن حازم بن حازم

شىء عنه

شاعر مُجيد ، وحَبيب مجيد ؛ بيته فى قَرطاجنة من عَمل مُرسية مشهور ، وشعره يطوى الأقطار وذكره مَنشور ؛ وهو فى نَظمه طويلُ النَّفَس ، مُنير القَبَس ؛ مُقتدر على حَوْك الكلام ، مديد الباع فى مَيدان النظام ؛ لا يخلو من الألفاظ المبتدعة ، والمعانى المولَّدة والمُخترعة ؛ رَحل إلى المغرب فٱشتهرت له به[(١)] قصائد ، لم يَخْل نظمُها من فرائد ؛ ثم قصد هذه الحضرةَ العليّة ، فى الدولة الأميرية ؛ فكانت له بها أمداح ، كطُلوع أنوار الصباح . وهو الآن تحت إحسان المقام الإمامى المُستنصرى ، خلَّد الله دولته ، وأَبقى على الكُل بَركته . وقد تشرف بالحُضور فى المجلس الكريم ، وأخذ[(٢)] معه فيما تجذبه المُذاكرة من النَّثير والنَّظيم .

شعره فى بيعة أهل إشبيلية

وهو ممن ٱستفدت من آدابه ، وأنشدنى شعره فقيدتُ فى هذا الباب ما ٱخترت من أُبابه ؛ فمن ذلك قوله[(٣)] من قصيدة أميريّة ، ذكر فيها بيعة أهل إشبيلية :

[كامل]

مَدّت إليك يدَ المُطيع وبايعتْ ... منك الإمامَ المُرتضَى المتخيَّرَا

فقبلتَها لا لازدياد ضَخامةٍ ... بل رغبةً فى أن تُثاب فتؤْجرا

وله فى وصف سحابة

وقوله الذى بان فيه مقدارُ فكره ، وللقائل أن يقول إنه أميرُ شعره ، وهو من قصيدة فى وصف سحابة :

[كامل]

من كُل بكرٍ حُرةٍ ما فارقتْ ... إطراقَها وبُكاءَها وحياءَها

يبدو ٱحمرارُ البرق فى صَفَحاتها ... خجَلًا إذا رَفع النَّسيمُ رِداءها

وقوله :

[كامل]

فَتق النسيمُ لطائمَ[(٤)] الظَّلماء ... عن مِسكة قَطرت مع الأَنداءِ

وغدَا الصباحُ يَفُضُّ خاتَم عَنْبر ... بالشَّرق عن كافُورةٍ بَيضاء

والكوكبُ الدُّرىّ يُزْهِر سابحًا ... فى مائه كالدُّرة الزَّهراء

وكأنما ٱبنُ ذُكَاءَ[(٥)] يُذْكى مِجْمَرا ... منه تُفيد الريحُ طِيبَ ثناء

(١) ت : « بها » . (٢) ب : « ويؤخذ » . (٣) هذه الكلمة ساقطة فى ب .

(٤) لطائم : جمع لطيمة ؛ وهى وعاء المسك . وكذلك هى العير تحمله .

(٥) ذكاء : الشمس . وابن ذكاء : الصبح ، لأنه من ضوئها .

وله فى الورد الابيض

وقوله فى الورد الأبيض : [طويل]

ومُبيضَّـــة الأثواب تُدعى بَوردة ... تقِلّ لهـا الأشباهُ عنــد التماسِها
أَنافتْ على ساقٍ لتشربَ عَنْدماً ... أشارت لهـا كفُّ البُروق بكاسها
بجـاريةٍ قامتْ ببِيض(١) غلائِلٍ ... مرفَّعةً أذيالَهـا حولَ راسِهـا

وله فى الحسن

٥

وله [أيضا](٢) : [بسيط]

سُلطانُ حُسن عليه للصِّبا عَلَمُ ... إذا رأته جيوشُ الصَّــبر تنهزمُ

وله فى الفكر [8B]

/ وله ٱرتجالا : [مديد]

ملأتَ لى من أبدع(٣) الحِكَمِ ... دَلْوَ آمالى إلى(٤) الوَذَمِ
بِنْت فِكْرةٍ إذ قدِمتَ ... لتلقِّيها على قَــدَمِ
فارتَوى منها على ظَمأٍ ... خاطِرى من مَوردٍ(٥) شَبِمِ

١٠

أصبحتْ أولى بمـا نَسبت ... لى من الإحسان والكرم

ومنهـا :

دونكم ما قــد تَكلَّفه ... خاطرٌ يشكو من السَّأَم
مَن بوادى(٦) الشعرهامَ هوًى ... نفُؤادى فيــه لم يَهِم
إنّ رسم الشعر فى خَلَدى ... طَالَ أقْوى(٧) على القِدَمِ

١٥

وكتب مع هذه الأبيات : [مديد]

بِنتُ فِكرٍ لا نظيرَ لهـا ... صاغها من لا نظيرَ له
وأمــدّ الله خاطرَه ... بُهداه(٨) حين أعمــله
فحَباهـا الله إذ كَمُلت ... ماحَباه حين كَمَّلــه
وعلى الأقوال فضّلها ... مَن على الأقوام فضّله

٢٠

(١) العندم : دم الأخوين ، وشجر أحمر . (٢) التكملة من ت . (٣) ب : « ملأت عيون الحكم » .
(٤) الوذم : جمع وذمة ، وهى السير الذى بين آذان الدلو وعراقيها تشد بها .
(٥) شبم : بارد . (٦) ت : « من بودى » .
(٧) أقوى : خلا من سكانه . (٨) ت : « رهداه » .

٤ — أبو عبد الله محمد بن خطاب الهنتانى [الجيانى][1]

شىء عنه

من حفّاظ الموحّدين الجلّة ، الذين حملوا فى الأمانة كُلَّ مُهِم فحملوا كلّه ؛ كان منزلهم فى دولتهم بجيّان[2] ، مُنتدًى للطلبة والأعيان ؛ يرِد منهم كلُّ حائم ،[على][1] أسمح من كعب وحاتم ؛ إلى أن قلبت الأيام ظُهورَها ، وولّت المأمور أُمورها ؛ فحماه حُسن ءِ ثمرته السالفة ، ولم يزل بين أعدائه لسابق حسناته كالواو العاطفة .

وكان من النادر أن اصطفاه رئيس الأندلس فى عصرنا أبو عبد الله بن الأحمر فصيره كالعَلَم ، وقلّده مُهماته مابين خُطَّتَى السيف والقلم . ثم وفد على الحضرة العليّة تونس — حرسها الله — فقُدِّم على قَبيله ، وشُورِك فى كثيره الأمر وقليله ؛ مرةً فى الرسالة إلى البلاد ، وتارة فى الحُكم بين العِباد .

شعره إلى ابن سعيد مع مرتب

كتب لى أبياتا صُحبة مرتَّب كان نفذ[3] لى على يديه : [مخلع البسيط]

يامن له فى العُلا السَّنامُ	وفى المبَادى له ٱرتسامُ
إنّ الذى عنه قد بعثتُم	لم يَمْحُ رسمًا له الزِّمام
وما سَرى من أخٍ مُحِب	إليـــكُمُ رَدُّه حَرام
حتى يعود الذى فقدتُم	فإنّ آلاءهم جِسام
فلا تُغَـــيِّر فؤاد صَبٍّ	بصَرْفه منك والســلام

شعره فى مدح صاحب منورقة

[9 A]

وقال يمدح صاحب مَنُورقة[4] : [بسيط]

/ تُفْنى[5] الكتائبَ بيضٌ من قَواضِبه	مفلولَةٌ وتَثنى أقلامُـــه الكُتُبَا
فقـــد أعدَّ حُسامًا للجلادِ به	وللجدال لسانًا مثلَه[6] ذَرِبا
فى كَفِّه قلمٌ ماضٍ يُريك به	أغنى من القُضب الهِنديّة القَصَبا

(١) التكملة من ت . وفيها : « أبو محمد عبد الله » .

(٢) جيان : كورة تتصل بكورة البيرة فى شرقى قرطبة .

(٣) ب : « نقد » . (٤) ت : « منرقه » .

(٥) ب : « تثنى » . (٦) ذرب : حاد .

يَمضى بما شاء من نَفع ومن ضَرر ... فى كُل خَطب له حدُّ الحُسام نَبا
يَحكى شَباهُ خَضيبًا بالمِداد شَبًا ... مُهنَّدٌ بالدَّم المَسفوك قد خُضبا
كأنّ آثارَه فى الطِّرس رائقة ... آثارُ غيثٍ يُغادِى الرَّوض مُنسكبا

وله فى طلب لقاء

وقال آرتجالاً :

[بسيط]

أُريد آجتماعًا بالوزير فإنّنى ... إليه وإنْ طال المَدى لَمَشُوقُ
وإنّ مُقامى بُرهـــةً عن لقائه ... وإن كان عُذرى واضحًا لعُقوق
فمـا زال وُدِّى نحوه يَستحثُّنى ... ولكنّ عِلَّاتِ الزمان تَعُوق

٥

وله مثله

وقال آرتجالا :

[وافر]

أيا عبـــدَ الإله ولِى فؤادٌ ... يُحبَك دون لُقْيـا أو عِيانِ
فإنْ عاق الزمانُ عن التلاقى ... فإنك عامرٌ أبدًا جَنـانِى
وشُكرى والثنـاءُ عليك دأبِى ... فلم تَبرح جَنانى أو لِسانى
سَلوا ابنَ هَمُشْكٍ المُثنِى عليكم ... يُخَبِّرْكم بذلك عن بيَان

١٠

وله يستهدى كتابا

وقال آرتجالا :

[وافر]

أيا نَجل الجواد ابن الجواد ... ومن بالمجد أصبح ذا آنفرادِ
لقد تاقت إلى الأخبار نفسى ... فمتعنى بسِفْرِ[1] «المُستجاد»

١٥

وله فى كبوة فرس

وقال آرتجالا :

[مديد]

إن يكن طِرفُكم كَبا بجَديرٌ ... أنه حَامـــلٌ جميعَ الوُجودِ
لم يَرَ الشُّـــكر للإله على ما ... خَصَّه منكُمُ بغير السُّجود

وله فى المجبنات

وله فى المُجَبَّنات[2] :

[بسيط]

وحامِلٍ مُثقلٍ حانتْ ولادتُها ... وما تُحِسّ بطَلق لا ولا تَلِدُ
أزواجُها عُصبة كُلٌّ يُباشرها ... وهم لأم وزَوج واحدٍ وَلَد
فاْعجب لها وهُم لم يأثموا نغدتْ ... تَصْلَى الجَحيم ولم يَرْحمهمُ أَحد

٢٠

---

(١) لعله يريد « المستجاد من كتب الأحاديث » للدارقطنى .

(٢) المجبنات : نوع من القطائف يضاف إليها الجبن فى عجينهـا ، وتقلى بالزيت الطيب . (نفح الطيب ١ : ١٧٢) .

وله مجيبا

وله جواباً : [خفيف]

يا أميرًا طِرْفَ المَجرّة(١) أَجْرَى ... ذا أَتَى الواضحَ الجُحول(٢) الأَغرّا
ليت شعرى أُرقْعةٌ وردتْنى ... منك أم روضةٌ تفتّحَ زَهرا
أم قد اَوْدعتَ سِحر هاروت فيها ... فلذا أَطلعتْ من السِّحر شِعرا
٥ أطلعتْ فوق طِرْسها ما اجتنينا ... منه زَهْرا أو اجتليناه زُهْرا
وتبدّت عَروسَ حُسن تجلّت ... قد تحلّت على الحُلَى منك دُرّا

بينه و بين محمد ابن خطاب [9B]

وورد عليه ، وهو بالجزائر ، الشيخ الفقيه الأكرم أبو محمد ، ابن القاضى مروان . وهو يريد الأندلس فى البحر ، فوجّه إليه ما أمكن مما يلزم الصاحبَ من الصاحب / وكتب يعتذر إليه فى ضيق أحوال البلد وتعذُّر المطالب . فكتب له شاكرا بأبيات . فجاوبه أبو محمد
١٠ ابن خطاب : [طويل]

أيا سيّدى الأعلى ويا عِلْقَ الأَغلى ... ومن قُرْبه أَنسانِيَ الصَّحبَ والأَهلا
أتتنى حُروفٌ منك أغليتَ قيمتى ... بها حين هذا الدهرُ غادرنى غُفلا
لك السبقُ فى كُلّ المكارم إنها ... سجيّةُ نفس منك أشربت(٣) الفَضلا
فأنت الذى برّزتَ مجدا وسُؤددا ... ونُقْتَ الوَرى عقلًا ونُقتهمُ نُبلا
١٥ فبُعدًا لهذا الدهر بُعـدًّا لأنه ... أبَى أن يُرى سَلما لمن قد زكا أصلا
أمثلكمُ يُلفَى مُضاعاً وقـدرُه ... مكانَ الثريّا حين يُوصف بل أَعْلَى
رعاك ضمانُ الله فى كُل وِجهةٍ ... ولقّاك ما تخشى تعذُّره سهلا

وله إلى صديق أبطأ فى خطابه

وكتب إلى صديق له نظما ونثرا ، وقد أبطأ عنه جوابه ، ونأى عنه خطابه : [بسيط]

٢٠ شَوقى إليك مع الساعاتِ يَزدادُ ... وبيننا من عَوادِى الدّهر(٤) أسدادُ
لولا جفاوة ما بينى وبينكمُ ... لكان منّى إلى مثواك تَرداد
حتى أشاهدَ محمودَ الخـلال سَمتْ ... به إلى المجـد آباءَ وأجداد
من كُل ذى كَرَم سهلٍ خليقتُه ... نمَتْـه للمَجد أجدادٌ فأَمجاد

---

(١) ت : « المبرة » .
(٢) الجحول : الخلاخيل ، ويريد مواضعها من الفرس .
(٣) ب : « أشرقت » .
(٤) أسداد ، أى سدود .

أتم الله عليكم سابغ النِّعمة ، وأَلحفكم أثواب الوقاية والعِصمة . لى منذزمان أرتقب[1] خطاباً منكم ٱرتقابَ هلال الفِطر ، وأُحسن الظن فأقيم لكم جَلِيَّ العُذر ؛ فإن تفضلتم بذلك صنعتم جميلا ، وأسديتم[2] جليلا ؛ وإن غاب التغافل ، وظهر التثاقل عن ذلك والتشاغل ؛ نُسيت مودةٌ فى الله فَصَمتُم عُراها ، وما كان أولاها ألَّا تُفصم وأحراها ؛ مع أنى عليها مُقيم ، ولها ما حييت لَزِيم ؛ والله يجعلها لوجهه خالصة ، ولديه مُزلِفة .

ولـه ارتجالا

وقال ارتجالا : [كامل]

يا سـيدى ومُعظِّمى أنت الذى ... دونَ الأنام مَحضتُ صَفْوَ وِدادِى
إنِّى إلى ما شِئْتموه مُبادرٌ ... مُتوفِّر الإسعاف والإسعاد
فمتى تشاء لقاءَه لم يَمتنع ... فلقاؤه سَهلٌ على القُصّاد
يلقاهمُ بالبِشر والترحيب لا ... جافِى اللقاء ولا مَنيع النادى

وقال ارتجالا : [وافر]

أَقرَّ سماعُه قلبى وعَينى ... بَشيرٌ قال : صَحّ أبو الحُسين
وجَلَّى عن فؤادى ما عَراه ... من ٱوصابٍ ومن صَدأ ورَيْن
/ وبى[3] شوقٌ إلى لُقياه[4] بَرْحٌ ... فإنْ أَرَهُ بلغتُ الحُسنَيَيْن
فَمَنْ لى متى أَلقاك وقتاً ... يؤلِّفُ فيه بينكُم وبينى

[10 A]

ولـه إلى صاحب منورقة

وكتب إلى صاحب جزيرة مَنُورقة[5] : [خفيف]

يا رئيساً أرسَى بِجارَ عُلاه ... فوق هَضْب من الفَخار مُنيف
قد عَدانى عن الخطاب ٱشتغالٌ ... بأُمورٍ من كَيْد[6] دَهرٍ عَنيف
كُلَّ يوم يسومنى فوق طَوْقى ... ما تَليدى يَعيا به وطَريفى
مع نفسٍ تَروم أعلى المَراقى ... وزمانٍ نَكْدٍ وجَدٍّ[7] طَفيف
ووِدادى لكم شَهيدى عليه ... من حَوى طِرسُه نظامَ حروف
مُخلص الوُد فيكم ٱبن هَمُشْـ ... ـكٍ خيرُ خلٍّ وصاحِبٍ وأليف

(١) ت : « زمان وأنا فى ارتقاب هلال » .
(٢) مكان هذه الكلمة بياض فى ت .
(٣) ت : « ولى » .
(٤) برح : ملح مؤذ .
(٥) ت : « منرقة » .
(٦) ب : « كل » .
(٧) ت : « ضعيف » مكان « طفيف » .

وله فى ذبابة ابتلعتها عنكبوت

ونظر إلى ذُبابة دخلت بيت عَنكبوت فابتلعتها العنكبوت ، فقال ارتجالا :

[خفيف]

لو قَنِعْنا طُولَ الحياة بقُوتٍ ... وبكِنٍّ من بعض هذى البيوتِ
لاسترحنا من كَدِّنا وأتانا ... قُوتُنا مثلَ هذه العَنكبوت

وله إلى صاحب أراد زيارته ليلا

وكتب إلى صاحب له ، وقد عزم على زيارته ليلا :

[مخلع البسيط]

ياسيدى حَثَّنى اشتياقى ... وطار بى نحوكم نِزاعى
فانقدتُ طَوعاً وقد حدانى ... شوقٌ سَما غيرُ مُستطاعِ
لَبيْتُه عند ما دعانى ... منه لذاك الجلال داعى
٥
وعزمتى أن يُرى مَبيتى ... عند أخٍ حقَّه أُراعى
فَلْتُنعِموا بالمُقام حيناً ... يُرى محلًّا للاجتماعِ
وَلْتَسمحوا إن يكن[١] جفاءٌ ... بخُلْقك الفاضل الوَساعِ
١٠
دُمْت عزيزاً بحيث تُلْفَى ... عن رُتبة المجد ذا ارتفاعِ

وله فى الغرض السابق

واتفق أن أقام أبو محمد بن خطّاب بالباب الكريم إلى هَزيع من الليل ، فكتب له يوماً ثانيا يعذره :

[مخلع البسيط]

يا سيدى والذى حُلاه ... يَقصُر عن وَصفهنّ باعِى
لم أُخلِف الوعدَ باختيارى ... فخُلفه ليس من طِباعِى
١٥
لكنْ عَرانى انتظار غلق ... باباً لذى الإمرة[٢] المُطاعِ
فجئتُ والشُّهبُ قد تولَّت ... والليلُ للفجر ذو اطِّلاعِ
وبِتُّ لما حُرِمت حَظِّى ... من ذاك والقلبُ ذو انصداعِ

[10 B]

وله يجاوب ابن همشك

/ وكتب له محمد بن هَمُشك عاتباً[٣] لإغبابه عنه فى شكاية أصابته ، فجاوبه :

[متقارب]

حفظتُ العُهودَ ولم أَنسها ... فإنّ لها عند مثلى وُجوبا
٢٠
ولم أكُ أَدرى الذى قد عَرا ... كَ فما أحدٌ بات يَدْرى الغُيوبا

(١) ب : « يكر » .

(٢) ب : « باب الأمر المطاع »

الإغباب : أن يزور يوما و ينقطع يوما .

نأَنَى فى شُغُـلٍ شاغـلٍ ... تكاد القُلوبُ له أن تذوبا

فإنَّ الذى باحتسابِ الطعـ ... ـام يُرى مُبتَلىً حقُّه أن يَشِيبا

وما زال بِرُّك مهما أتَى ... أراه بَعْتب ولَوْمٍ مَشُوبا

فلا تَعتبَنّ أخًا إنْ هَفا ... رجاءً بما وُدُّه لن يَغيبا

فليس العِتابُ لذى[1] خُلّة ... إذا لَجّ فيه بمُبْقٍ[2] حَبِيبا ٥

وأنت الولىُّ وأنت الصفىُّ ... فلا تَكُ فى خُلتى مُسترِيبا

وُقيت الذى تَشتكى ضُرَّه ... وحَطّ به الله عنكَ الذُّنوبا

---

(١) الخلة : الصداقة . (٢) ت : «بملق» .

٥ — الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي (*)

شيء عنه

من طَليرة ، غرب الأندلس . جال في المغرب ، وانتهى إلى حضرة تُونس قبل الدولة الأميرية ، ثم ولى أشراف جزيرة(١) مُنورقه ، (٢) فملك قلوب أهلها بحسن الخلق والإحسان ، إلى أن كان من استيلاء العدو على جزيرة مُنورقة(٢) في سنة سبع وعشرين ما كان . فخلّى أهل مُنورقة(٢) بينه وبين زِمامها ، فأحسن تدبير المُسلمين بها ، ودارى النّصارى عن مَرامها ؛ فدامت مُدته إلى الآن ، وامتدت أياديه المَشهورة في كل قاصٍ ودانٍ ؛ فكم لقيتُ بأقطار المغرب والمشرق من أديب ، أو شاعر أو حسيب ، خلع عنه رِبقة الإسار ، ونقله إلى قَرارة الإسلام عن مَلّة(٣) الكُفّار . وكم سمعتُ أن أديبًا أو غريبا أو سَليبا خاطبه يشكو انكسار حاله فجَبَره ، وسرى إليه مُستميح برّه خائضا البحر فأنشره .

من مكرماته

ومما يجب أن يَخلُد من مَكْرُماته ، ويُطَرَّز به ذكره من عَليّ هِمّاته ؛ أن المجاورين بالحرمين ، يستعينونه على ما هم بسبيله فيُعينهم من اللُّجين والعين ، بما يُثلج الجنان ويُقرّ العين .

لابن سعيد فيه

ولما عُدت لهذه(٤) الحضرة العليّة وقفتُ على محاسن من شِعره عند رسوله ، فكتبتُ عليها ما عرضه عليّ فضلُه فكان مِفتاحا لقَبوله : [مديد]

إنما شِعرُ الرّئيس ابن حَكَم ... بِدَعٌ من كُل فَضل وحِكَمْ

لو بنو حَمْدان أصغَوْا نحوه ... حَمدوا البحر(٥) الذي فيه انتظم

من شعره [11A]

/ وكان مما اخترته لهذا الكتاب من شعره ، الذى دَلّ على ما انطوى عليه كَرَم نَجره(٦) : [مجزوء الكامل]

لا تمنع المعروفَ يو ... مًا مُعرِضًا ومُعرِّضَا

فكلاهما من حقّه ... فيه له أن يُفْرَضا

(*) الحلة السيراء لابن الأبار (ص ٢٥٥) . أعمال الأعلام لابن الخطيب (ص ٣١٦) . المغرب لابن سعيد (٢ : ٤٦٩) .

(١) ب : « مدينة » .

(٢) ت : « منرقة » .

(٣) ب : « محل » .

(٤) : « إلى » .

(٥) ب : « السحرى » .

(٦) النجر : الأصل والحسب .

هـــذا تـنزّه فاستحـ ـق على نَزاهتـــة الرِّضا
والآخر آستحيا من التَّـ ـصريح فيـــه فعرّضا
هـذا الذى مازلتُ أفـ ـــعل أو أقول مُحرِّضا

عود إلى المختار من شعره

٥

وكتب من جزيرة مَنُورقة[١] إلى حضرة تُونس جواباً بهذه الأبيات ومعها نثر :

[مديد]

ما رأينـا كعلىّ بنـ ـن مُوسَى يَستبى بالشِّعر منّـا النُّفوسَا
قد أَرانا الشِّعر سحراً حَلالًا سائغـاً او نحتسيه كُؤوسا
إنّ أبياتَ علىٍّ على الشِّـ ـعر عَلَتْ حتى تجلّت رُءوسا
مثلُه مَن طاب جنساً[٢] ونفساً إنمـا يَمنح عِلقـا نَفيسا
لا عَدِمناه خليـــلًا جليلا نَجد الفضلَ عليه حَبيسا

١٠

أمتع الله بك أيها الولىّ الكريم، الوفىّ الصميم، الشريف أباً ، المُنيف حسبا، وصَنع لك، وبلّغك أملك. يخصُّك بالسلام الطيب كثنائك، الصيِّب كوفائك[٣]، مُجِلُّك بالحق الواجب، ومُحِلُّك من الوُد بين الترائب : سعيدُ بن حكم. ولا جديد إلا عناية الله تعالى وكفايته ووقايته — سبحانه — التى هى خيرٌ من دفاعنا، وحمايتُه، وقد وردت الحديقتان الأنيقتان ، والرّوضتان الغَضّتان، تعبقان إذا [٤]تُنْتَشقان، وتَروقان لمـا ترمقان ، والحُسن من مرآهما يُسفِرُ[٥] ، والدُّجن ينجلى من سناهما إذا يُسفر[٤] ، سبقت أولاهما كالبُشرى، ونسقت بعد على إثرهما الأخرى ، فوافتا بالوفاء كله، ونافتا للقاء، وكلّه، وجاءتا خفيفتى المَحْمَل، لطيفتى المُجمل، قد رقّتا فَراقتا، وشقّتا شُقة البعاد بعد ما شاقتا ، فلله مُهديهما ومُطلعهما نيِّرتين، لقد أوجب ببرهما[٦] حقًّا كبيرا ، وحمل من شكرهما ما يُثقل ثَبيراً[٧] ، والله يتولاه، ويحفظ عليه من الحلى ما أولاه، وهو العليم سبحانه بأنّ لى نفساً تودّه ، وقلبا يَحسبه صدرا فى أهل صفاته ويَعُدّه . وإن ما يَعِنّ[٨] له من أدب بهذه الأرجاء، فَتَلَقٍّ بواجبه من الاعتناء ، وجوابه بذلك مُرتقب ، وإعلامه بأحواله جَرت وفق آماله أَرَب مافوقه أَرَب .

١٥

٢٠

---

(١) ت : « منرقة » .
(٢) ت : « نفسا ونفسا » .
(٣) ب : « كما لك » .
(٤) ب : « لنا » .
(٥) يسفر : يضىء .
(٦) ب : « برهما » .
(٧) ثبير : جبل بمكة . وفى ب : « ما ينقل يسيرا » .
(٨) ت : « وإنما يظن »

وله يجاوب ابن سعيد

وله أيضا :

[مجزوء الرجز]

أليس عينَ الكَرَمِ — شُكْرُ أيادى النِّعَمِ
الشكر دَيْنٌ فلنقُل — بفرضِه ولْنَقُمِ
ولْنلتزِمه للذى — لغيره لم يُلْزَمِ
/ ولنُوجب الحقّ له — بكُل قلبٍ وفَمِ ٥ [11 B]
فإنَّ ذاك آية[1] الدِّ — ين الحنيف القيِّم

ولة فى الحضرة العلية

وخاطب الحَضرة العليّة بما صَدّقه الوجود ، وأبرزته السُّعود :

[سريع]

خليفــة الله فى أرْضِــه — إليــه يدعو وإليه يُنيبْ
كأنّنى عمّا قريبٍ بــه — والبُرد قد سِيق له والقَضيب ١٠
عندطُلوعِ الشمسِ يُخلى[2] جُفو — نًا تملا الجفان عند الغروب
فيَجد الضِّيفان فى ظِــلّه — بَرد القِرى من حرِّ نار الحُروب

وله فى مثل ماسبق

ومما خَتم به خطاباً إليها ، لا زالت وفود البُشرى تَرِد منها وعليها :

[مجزوء الرمل]

يا أميــرَ المُؤمنينا — يا إمامَ العالَمينا ١٥
نحن ما دمتَ بخيـر — لا نَزَلْ فى الدائمينا
أمّن الله بك الخا — ئفَ آمين آمينا

ولهفىدنس الثياب

وله ارتجالا فى دنس الثياب :

[كامل]

أعْيا على الغُسّال غسل ثِيابه — وتقاصرت عنها يُدُ القَصّارِ
ولقد طلبتُ لها غَسولاً جاهداً — فلَمَا[3] ظفرتُ لها بغير النارِ ٢٠

ولة فى مؤذن قبيح الصوت

وفى مُؤذّن سيئ النَّغمة :

[مجزوء الرجز]

للأُبّدى آذانُ — للخمس فيه هَوانُ
مِن أجله تتلاقى — آذانُنا والبَنانُ

---

(١) ت : « أبدت » . (٢) ب : « تجلى » . (٣) ت : « لما » .

من نظمه الرائق

ومن كلامه مما يَرُوق معنًى، ويفوق مبنى : [كامل]

إنّى لأَكْلَف[1] بٱسمها كَلَفى بها فانظُر فهـذا للعَفَاف[2] شِعارُ
وإذا أَمُرُّ بدارها فكأنها قد دَبّ فيها الوابلُ المِدْرار
غابت فأبكى بعدها شوقاً لها والشمسُ تَهْمُل بعدها الأمطار
تالله ما لمحت جُفونى مُذ نأت نُوراً وهل بعد المَهاة[3] نَهار ٥
بَيضاء تحسب أنها من فِضّة فى الخَدّ منها للحياء نُضار
مالت مَعاطفُها ولان حديثُها أيكون عن خَمر الجفُون خُمار
او لم تُحَلّ لكان حَليًا ثغرها إنّ الغُصون حُليّها النُّوّار
تخشَى البريّةُ مُقلتَيها غيرَها أَيهاب سَورة نَبله[4] الأُسوار

وله فى تحف وصندوق

ومن قوله ٱرتجالا لمحمد بن أحمد بن الحلاب ، وقد وَهب له تُحفا مُنَوَّعة ووجَّه له إثر ذلك صُندوقا : [سريع]

صُنْ دِقًّا[5] أو جِلاًّ بصُندوقِ تُعطِهما من كُل مَخلوقِ
فلا تُرى تدعو على سارقٍ ولا تُرى تُدعى بمَسروق
لا تَعْدُ «قَيِّد» وتوكَّل تكُنْ بصادقٍ تأتمّ مَصدوق

نظمه إشارةً إلى ما رُوِى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : يارسول الله ، أُقيِّد/ راحلتى وأتوكَّل أم أُرسلها ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قَيِّدها وتوكَّل . ١٥ [12 A]

وله فى الصفح

ومن كلامه : [مجزوء الكامل]

الحقـد داءٌ فى القُلوبْ والصّفحُ منـه هو الطَّبيبْ
فَاحلُم عن الجانِى فقـد يدعوه حلمُك أن يَتوب
وَانْسَ الذُّنوب فإنما ذِكْرُ الذُّنوب من الذُّنوب ٢٠

---

(١) ت : « لأحلف » . (٢) ت : « للـكفاف » .
(٣) المهاة : المرأة ؛ تشبيها لها بالبلورة ، أو الدرة .
(٤) الأسوار ، بالـكسر والضم : هو الجيد الرمى بالسهام .
(٥) الدق : الدقيق . والجل : نقيض الدق .

وله فى مثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم

ومن كلامه — أبقاه الله تعالى للبدائع جاليا ، وبُحلى المدائح حاليا — فى مثال نَعلِ النبى صلّى الله عليه وسلّم :

[متقارب]

برأيى مثالٌ لنعلِ القَدمْ ألاَ بل مثالٌ لنعل الكَرَمْ

مِثالٌ لنعلِ نَبىّ الهُدى حَذته[1] ثِقاتٌ فما تُتهم

٥ وجاءوا به مُعاذا مُعلَما بأَفضل ما هيئةٍ للقَدم

وما إن يَزال متى ما بدا لغير آمرئ مُسلم مُستلم

فلَثْمى له مُمعن مُنعم وذلك عندى ألَذُّ النِّعم

ويُشرق أُفْقى إذا بان لى وإن بان عنِّى عَرَتْه ظُلَم

ألستُ لما قد حذَوْه عليه مَشوقًا[2] وما الشوقُ إلا أَلَم

١٠ وليس الشِّفاءُ سوى أن أُرى بموطئه ألْثَم التُّرْب لَثْم

هُناك وجودُ فؤادى هوًى وجِسمىَ ثاوٍ هنا كالعَدم

وله فى نوارة فى يد حسناء

وله آرتجالا فى نُوّارة بكَفّ جارية حسناء حديثة السن :

[سريع]

نُوّارة تحمل نُوّارةً أَبهتَنى[1] أيُهما أَبهجُ

١٥ كأنها فى كَفها شَمعة خضراء لكنْ رأسُها مُسرَج

وله فى شمعة

وله فى شمعة ، وقد سُئل ذلك :

[متقارب]

وصفراء من غير ما عِلّةٍ لها أدمعٌ أبداً سائلهْ

تُطيل الوُقوفَ على واحدٍ مدَى ليلها فتُرى ناحله

تَزيد على الشمس فى نُورها إذا ما غدت للدُّجى واصله

٢٠ تُحارب دأباً جُيوشَ الظلام فتُبْصر مَقتولة قاتله

---

(١) ت : « أمات » . (٢) ت : « أبهجتنى » .

وله فى محبرة

وله فى مِحبرة عاج مُذهبة الحِلْية ، وذكر مِدادها وأقلامها : [كامل]

طَلعتْ على اللّيــل البهيم صَباحَا   وحمتّــه باحتها وكان مباحَا

وبَنت بنَيــه إزاءه وزرًا[1] له   فلمــا نبوْا[2] فى الذائبات سِلاحا

وثَنت رِماحاً من نُضار فأنثنت   رَشْحاً لها صوناً لهم وصَــلاحا

٥ [12 B]

/فإذا تَفرّج بابُها عنهــم عَنَا الـ   أبُ والبَنون لأبيض إنْ لاحا

إنّ الوفاء لخـُلة لا تقضها[3]   [فى][4] خَلة حتى تكون صُراحا

وله فى باكورة ورد

ومن قوله : [خفيف]

هاك باكورةً من الورد تحكى   خَدَّ ظَبى يَدْمى بلحظ[5] العُيونِ

فتذكَّر بريحها ريحه إذ اسـ   ـت تنسى انثناءه بالغُصون

١٠ إلى بعض أصحابه مع سفرجل

وكتب إلى بعض أودّائه مع خمس من السفرجل : [خفيف]

وجوارٍ خَمسٍ كُسين اصفراراَ   إذ سُلِبْنَ الذى لَبِسْن شِعارَا

قاسياتٍ وكُنَّ للِّين أهــلاً   أىّ عُذر فى قَسوةٍ لعَذارى

من بنات الرِّياض أَمسَيْنَ أَحرا   راً وأصبحن فى الأكُفّ أسارى[6]

كُنّ بالبدر عاكفاتٍ فما إنْ   كان ما يَلتحفن إلاّ اغبرارا

١٥

وَجِلُ ليــلةَ البِرَاء[7] كساهنّ اصفراراً ألم ترَ الأبكارا

وله فى ضرس

وقال فى ضِرس : [متقارب]

حبيب أُحاذر منه التّلاقِى   ومن دُونه العيشُ مُرُّ التلاقِى

فغيْبته سَببٌ للوصــالِ   ورُؤيتــه سببٌ للفِراق

وله فى إبرة

وقال فى إبرة : [مجزوء الرجز]

٢٠

وما قَناة من قناة الهنـ   ـد وِفْق[8] فعلها

عاريةٌ فى نَفسها   كاســيةٌ لأهلــها

حافرها فى عُلوها   ورأسها فى سُفلها

---

(١) فوق هذه الكلمة فى ت : «وجا» .

(٢) ب : « قلما غدا » .

(٣) ب : «لا تقضه» .

(٤) تكملة يستقيم بها الوزن

(٥) ت : « بلفظ » .

(٦) ب : «فى الأكفان» .

(٧) ليلة البراء : أول ليلة فى الشهر . وفى ب : «المراء» .

(٨) ب : «وما قناة قناة الهندفوق» .

وله فى أبى الربيع التيملى

وآجتاز به — أعلى الله يده — رسولاً على الحَضرة العاليّة الإماميّة الحَفْصية — أيد الله أمرها ، وأعزّ نصرها — الشيخ أبو الربيع سليمان بن على التينملى ، المعروف بابن الغريغر ، وهو أحد وجوه الحضرة المخصوصين من السعادة عنها ، بعظيم المزية وكريم الأثرة ، فبالغ فى إكرامه ، ووالى عليه [أنواع] [١] البرّ أيام مقامه ؛ ثم كتب إليه متمّما لمبرته ، ومكملا لمسرته : [وافر]

٥ سلامٌ لا يزال مَدى الزمانِ ... من الحال المُحيلة [٢] فى أمانِ
أَخُص به حبيباً حلّ منّى ... محلّ الأمن من نفس الجبان
أصُون ودادَه ما دمتُ حيًّا ... وليس سوى فؤادى من [٣] صُوان
وأذكُر عهدَه فأذُوب شوقًا ... إليه حنان عُذرىٍّ [٤] الحنان
سألتُ من الزمان لقاه فآستـ ... ـجاب لنا على بُخل الزمان
١٠ لقاء أبى الرَّبيع أقرَّ عينى ... وأدنى لى القَصىَّ من الأمانى

بينه وبين من حضره فى أبى الفضل عياض

وتحدَّث يوماً مع أصحابه عن القاضى أبى الفضل عِياض بن موسى ، وعِظَم فوائده وتواليفه ، فأنشده بعضُ الحاضرين بيتًا من كلام عثمان / بن عبد الرحمن بن موسى الشهرزورى ؛ [13 A] المعروف بابن الصلاح ، لنفسه فى مدح كتاب « مشارق الأنوار » [٥] من تأليف عياض ، وكان أبو عمرو لا يُغب [٦] عن مطالعته ، والبيت : [طويل]

١٥ مَشارق أنوار تجلّت بسَبْتةٍ ... وذا عجبٌ كونُ المَشارق بالغَرْب

فوصله — أعزّه لله — بما يشهد بعَميم فضله ، وكريم آعتنائه [بالعلم] [٧] وأهله : [طويل]

وما شَرفُ الأرجاء إلّا رِجالُها ... وإلّا فلا فَضلٌ لِتُرْبٍ على تُرْبْ
ولولا عِياضٌ ما سَبت سبتةٌ سنا الـ ... مشارق [٨] لاتخشى المغيبة من غَرب
به قَرَن الله السُّموَّ مع آسمها ... فصحّ لها من أجله صُحبة السُّحْب [٩]

---

(١) تكملة من ت . (٢) ب : «الحلية» .
(٣) الصوان : ما يصان فيه . (٤) فى ت : « عندى الحنان » .
(٥) هو كتاب «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» فى تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح للقاضى عياض .
(٦) لا يغب : أى يصل مطالعته ولا ينقطع عنها . وفى ت « لا ينبت » .
(٧) التكملة من ت . (٨) ب : « الشرق » . (٩) ب : « الحب » مكان « السحب » .

بيتان له على حمالة سيفه

وكتب على حمالة سيفه ، من قوله : [بسيط]

أَبْشِر فقد نِلْتَ ما ترجو وتنتظرُ ... وقد جَرى بالذى تختاره القَدَرُ

وساعدتْك على الأيّام أربعةٌ ... العِزُّ والنَّصر والإقبالُ والظَّفر

وله فى خرطب

وقال ورسم فى خرطب[1] : [خفيف]

٥

أنَا للكاتب الظريف أداةٌ ... ولقد كان قبل ذا لى حياةُ

بعض ما أحتوى عليه مُرادٌ ... يوم سَلم ويوم تُلقى العِداة

وله فى كنانة بعث بها إلى تونس

وقال فى كِنانة بعث بها إلى حضرة تونس : [مديد]

ٱنتمى عنّى يمينَ الخليفه ... وٱنعمى فى ظِلّ عَلْيا منيفهْ

وٱعلمى أنك تُلْفَين من بعـ ... ـد المَعَانى للمعالى أَليفه

١٠

وله إلى ابن مفوز

وجلس مع الفقيه الحكيم أبى الحسن بن مفوز ، فذكر سببا أوجب القيام والدخول إلى الدار ، للأمر بذلك الذى ذكر ، فاستعظم أبو الحسن ذلك واعتذر عما صدر منه . فلما انفصل عن مجلسه — وصل الله سعده — كتب إليه : [رجز]

ياضيفَنا النَدب النَّبيه النَّبيلْ ... رأيُك لمّا ضِفْتَنا لا يَفيلْ

لئن خَفَفْنا فى الذى نَبتغى ... فليس من صحْرك[2] شيء ثَقيل

١٥

أنكرتَه عُرفاً ومن شيمة الـ ... إخوان[3] للأضياف بِرٌّ جَزيل

لاسيما مثلُك من لا نَرى ... به بديلًا أين منك البَديل

أعاننا الله على واجب ... من بِرّك الفَرض بفعْلٍ وقِيل

وله إليه أيضا

وكتب إليه ٱرتجالا : [مجزوء الخفيف]

رَوضة ما لهـا نَظيرْ ... نَورها ناعمٌ نَضيرْ

٢٠

مَن يَقُلْ إنهـا حَد ... يثة عَهدٍ فما يَضير

كم قَديمٍ بعثْته ... وحديثٍ وهو يَطير

(١) الخرطب : وعاء خاص بأوراق الكاتب .

(٢) ب : « حتك » .

(٣) ت : « الأحرار » .

وله ارتجالا

وقال أيضا : [خفيف]

لرحيــلٍ مال كُلُّ مُقيــمِ ونُزولٍ بباب دار الكَريمِ
أنا أخشى لــكنْ رَجائى أقوى لقُدومى على الغفــور الرَّحيم
رَبِّى آغفــر وآرحم فأنت غنىٌّ عن مَصيرى إلى العَذاب الأليم

[13 B]

وقال/آرتجالا : [خفيف]

بارك الله فى يَـدٍ كتبتكَا حَبّتِ العِلْم من حُلَى ماحَبَتْكَا
ليس يعزى لفتيةٍ خطّاتنى كونهــا لابن مُقلة نَســبتكا

لغزله فى الفنار

وله لغز فى الفَنار ، الذى يُحمل فيه القنديل :

ما مصقول له رُواء ، محمول كأنه لِواء ، مَعمول على نِسَب كلها سواء ، وماله معقول ففُؤاده هواء ، قد نُظم نظما ، وما ضَمّ إلا عُودا وعظما ، يساير الظلام ويسامر ، وينافى الصباح وينافر ، ويُصادى(١) الرياح الهُوج ويصادر ، ومن لم يُرد به الليل الدَّجوجىّ أعيت عليه المصادر ، أحرف هجائه أربعه ، وعلى نيِّر سمائه أرفعه ، إن أغَرْت على أوله أنرت(٢) ، أو بتكت آخره فتكت(٣) ، وإن ألقيت ثانى أحرفه ألفيت(٤) ما بعض الطوافين هامز لألفه ، ولا أعرض منه للثالث القائم ، فإن مُصحّف الباقى بعده سبب المناوح والمـآتم(٥) . أما تعجبون لهجره(٦) الضياء ثم يثمره ، ولوصله الظلام وهو ما يزجره ، يُرخى على النوُّر فَضل الذيل ، ويُعين على ناشئة اللَّيل(٧) .

وله ملغزا فى شمعة

وله لغز فى شمعة :

ماجميلة المَرآة ، صَقيلة كالمِرآة ، مُنتصبة كالقناة ، مُرتقبة من الأذان بالعشاء للأداة ، مع الاستعمال قريبة الحياة ، وعلى العُطلة والإغفال بعيدة الوفاة ، منهلّة وليست بغمامة ، مُستقلّة ولكن بدعامة ، ومع كونهـا تهمى بدُرر ، ترمى بشَرر ، كأنه ذهب حصل فى سِلْك ، أو كأنه سَيْب ماء وهى منه عصا فُلك . تطفو على المـاء وأُمر وقتاً بإطفائها ، وليست من بيت النُّبوة وإن كان قد أُوحى إلى آبائها(٨) . تشفع بِصْنو كريم ، ورد

(١) يصادى : يمنع .
(٢) أى حذفت الفاء . وهو أول الحروف . فتبقى كلمة : « نار » .
(٣) بتكت : قطعت . يريد حذف « الراء » فالباقى بعدها : « فنا » .
(٤) فان ما يبقى كلمة « فأر » . (٥) يريد تصحيف « الراء » إلى همزة
(٦) ت : « لوصله » (٧) ناشئة الليل : ساعاته كلها . وقيل : قيامه ، جاء مصدر على فاعلة .
(٨) يشير الى قوله تعالى : (يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم) .

النصُّ بشفائه كُلَّ سقيم . وترضع آبنًا(١) لم تلده ، ذا عُقوق ، يُسرع إلى أذاتها ، ويتسعّر فى ذاتها ، غير فَروق . إن أُسند إلى العين مقلوبها(٢) ، سالت قذىً غُروبها(٣) . صَدْرها أمر بالآستنشاق(٤) ، وعجزها زَجْر للنِّياق(٥) . تقوم لَيلها تهجُّدا ، وتُريك ابتساما دائما وتجلُّدا . ثم إنها تَنمّ على شاهدِيها ، وتُفشى أسرارهم وتُبديها . وهى بعدُ عن العَيب بمعزل، ولم ينزل بها طارقُ الغيب(٦) بمنزل . فلا عَدمتُها مُسامرا ، مُقيًا ومسافرا، ولازلتُ لِصنْوها إليفا، وله حليفا(٧) . وهذه آباؤها آياؤها(٨) ، وإماؤها إتاؤها(٩) . مُجاورها أبدًا رَهن وعيد، وهى على ذلك جِنىّ عتيد ، وتصويب لديه وتصعيد ، وإنى لأحبها ولكن من بعيد .

وله آرتجالا :

[سريع]

/ سر فى ضَمان الله محفوظَا مُباركًا عليك محظوظَا
ولم(١٠) تَزَلْ بعَين مَن لاتنا مُ عينُه ماعِشْتَ مَلْحوظا

وله يُخاطب الفقيه الأديبَ أبو القاسم بن يامن :

[طويل]

لِقطعِك الحُسنى لدىّ كرامهْ فما تعترى منها الوصالَ سآمهْ
تطير إلى حَبّ القلوب حمامةً ألا حيث يُلفى الحَبُّ تُلفى(١١) حمامه
تُسمّى بشِعْرٍ وهى سِحرٌ وضمنُها لمن سحرتْ يوماً ضمان سلامه
تلائم منها لأْمة(١٢) عرض لابس لها قلّما(١٣) تُفضى إليها ملامه
أبا قاسم أحسنتَ ماشئتَ لم تزل كذاك(١٤) ولا تَعْدو العدوّ الملامه

وكتب فى صدر مجلس بناه بمَنرقة :

[سريع]

مجلسنا هذا لضيفانه طَلْق المحيَّا مثل سُكّانه
إن يَكُ قد قَصَّر عن غيره فحُسنه زاد بإحسانه

الهوامش الجانبية: ٥ — وله مرتجلا — ١٠ [14 A] — وله يخاطب ابن يامن — ١٥ — وكتب فى صدر مجلس — ٢٠

(١) يريد ذبالة (شريط) الشمعة التى تحمل النار . (٢) يريد : «المعش» .
(٣) غروب : جمع غرب . وهو عرق مجرى الدمع . (٤) يرد : «شم» .
(٥) يرد : «عء» . (٦) الغيب : النميمة . وفى ت : «ولما يزل لها»
(٧) ت : «وبه غليفا» . (٨) آياء : جمع أياه وهو من الشمس : نورها وضوءها وصنعها .
(٩) الإتاء : الثمر . (١٠) ب : «ولا» (١١) ت : «الحمامه» .
(١٢) اللأْمة : الدرع والسلاح (١٣) ت : «لها قلم» (١٤) ت : «كذلك لا تعدو»

إنَّا لنرجو فيه من ربِّنا زُهدًا وقَصداً مثل بُنيانه
آمالَنا فى غيره والذى جاد به فالجُود من شانه
فمن أتاه زائرًا فليقل لا زال مَيْمونا بأيمانه
وطَفِق الخيرُ مُقيمًا به ولا دنا الشرُّ لقُطّانه

٥ وكتب إلى أبويه من المريّة — قدّس الله ضريحهما — أيام شبابه ، وارتحاله لنَيل المجد وطِلابه : (وله إلى أبويه)

[طويل]

فِراقٌ ومالى بالفِراق يَدانِ إلى الله ممّا جرّه المَلَوانِ
قَضى الله أن أحتلّ بالشرق بُرهةً وإن كان بالغَرب القَصِىّ مكانى
١٠ نُفارقُه والنفسُ تأبَى فِراقَه وغادرتُه والشوقُ حَشْو جَنانِى
زَوتْ عنّىَ الأقدارُ وجهَيْهما فما أمرُّ وأدهى عِيشتى وزمانى
لئن كنتُما عن ناظرىّ حُجِبتُما فإنكما فى خاطرى ولِسانى
وما بَرِح القلبُ المُعنَّى يراكما خيالًا كما لم تبرحا تُريانِ
فطِيبا نُفوساً واستَنيما إلى النَّوى فإنِّىَ لا يُثنى البِعادُ عِنانِى
١٥ ولا تَيأسا من أن نَعود وشَملُنا كما تَنظِم الحسناءُ سِلْك جُمان
وإنْ شئتُما أن تُلحِفانى رضاكما فإنى فقيرٌ للرِّضى فَصِلانى

وله ارتجالا فى قلم تكسّر : (وله فى قلم مكسور) [14 B]

[طويل]

لِكَفِّىَ وِترٌ عند رِجْلى لأنها أبادت رَضِيع الكَفّ واللَّبنُ الحِبرُ
٢٠ أحارت قُواه مُقْوَياتٍ[1] بِوَطْئِة وصار كسيرًا ما لأعظُمه جَبْر

---

(١) أحارت : صيرت . ومقويات : متهدمة كالدار المنقضة الموحشة .

وله فى الحب

وقال ارتجالا : [مجزوء الرجز]

الحُبُّ مالا يُستطاعْ ولأمره الأَمرُ المُطاعْ
حقٌّ على مثلِىَ أنْ يُمعِن فيه ما آستطاع
يَداى طُولَى فى الهوا ء وباعِىَ الباعُ الوَساع
فَهِمْت ما دُمْتُ ولا سَلَوْتُ ما خَطَوْتُ باع

٥

ومرت به فى أيام صباه آمرأةٌ جميلة ، كان زوجها شُرَطيا ، فقال :

وله فى زوجة شرطى

[سريع]

وجَنّةٍ خازنُها مالكٌ ياليتَنى كنت لها مالِكَا
أسجُد فى محرابِها سَجدةً نُسْكًا ومثلى لم يزل ناسِكا
وكيف أرجو القُربَ منها وقد أَضحى حُساماً لحظُها فاتكَا
يَحرمنى من وَجنتيها ما بدا روضاً غدا من أدمُعى ضاحِكا
إنّ أمانىّ الفتى ضِلّة يُمنَى بها حتى يُرى هالكا
مَن لى بها شمس الضُّحى أَطلعت جُنحَ دُجًى من شَعرها حالكا
سلكتُ سُبْلَ الغَىّ فى حُبها ولم أكنْ قبلُ لها سالكا

١٠

١٥

وله فى الناس

وقال ارتجالا :

[مديد]

أصحبِ الناسَ على عِلّاتهم تَحْظَ بالخالص من خُلّاتهم[1]
لا تَسِمْهم غير ما سِيموا له وخَلاك الذمُّ فى خَلّاتهم[2]

وله فى كتاب

وقال أيضا : [طويل]

أيا نفحةً شِحريّةً[3] ضمن رُقعة مُحبّرة ما كان أطيبَ نَفْحَها
تَضمَّنها ديوانُ أحمدَ مثلَ ما تَضمَّن جُنحٌ للدجُنّة صُبحَها
ولما تصفّحتُ الكتابَ وجدتُها جدى البرّ[4] أولى باليسارة قَدْحَها

(١) الخلة ، بالضم : الصداقة (٢) الخلة ، بالفتح : الحاجة ، وفات : «حلاتهم» بالحاء المهملة .
(٣) ت : « شحرية » ، نسبة إلى الشحر ، صقع فى اليمن ، ينسب اليه العفير الشحرى ، لأنه يوجد فى سواحله .
(٤) ب : « حديد قسى » .

وزاد سُروري إذ نظرتُ[١] تعطُّفًا إلى مَطالع الصفح المُناوح[٢] صفحها
وما هِي إلا مِنّــةٌ أنا شاكر عليها الذى أَضحى يَقِى النفس شُحَّها

له إلى ابن يامن

وكتب إلى الأديب الفاضل : ابن يامن : [طويل]

وَبيتين أو بنتين أمسيت[٣] مُغْــرِسًا بكاتيهما والشُّهبُ قد نار نُورُها
٥ فصارتْ عَروسًا صرتُ شمسَيْن منهما وواحدة ما خِلتُ أنِّى[٤] أُصُورها
وبِيضُ اللهى[٥] ليست بمَهْريهما تَفِى بناتُ النُّهى لا تُستطاع مُهورها

له إلى صاحب فى بجاية

وكتب من ثغر مَنْرُقة لبجاية لصاحب من إخوانه : [كامل]

الله يعـلم أنّ وُدّك لم يَزل ضِمن الفُؤاد وإن يزال مُقيمًا
١٠ فلو اطلعتَ على الضمير لأبصرتْ عيناكَ رَسْم الوُدّ ثَمّ رَقيما
[15 A] / لكنّ هذى نُبــذةٌ منه اقتضت لك أن تكون بما لدىّ عليما
والروضُ تعرف عَرْفه من نَفحةٍ تَسرى إليك وقــد تكون نَسيما

له إلى رئيس تونس

وكتب إلى تونس لرئيس من أهلها : [طويل]

١٥ سـلامٌ على نَجــل الكِرام كَريمُ يهُزّ إذا ما هبّ منــه نَسيمُ
إذا شِمتُ بَرْقاً من ذَراه شَمِمْتُه فُيطربنى شِــيم له[٦] وشَمِيم
ويَهتاج لى وجدٌ فما بين أَضلُعى حَميم[٧] وما تُذْرى الُجفــون جَميم
أَلَمّ رسولٌ من لَدُنْه بساحتى فبرَّح بى شَــوقٌ إليه أَلــيم
قَديمٌ من الشوق استثار حديثه حبيبٌ ، حديثٌ منــه لى وقَديم
٢٠ ونَبّأ أن المجدَ رَهْنُ سلامة فلازال ذاك الرهنُ وهو سَليم

(١) ت : « تحفظا » . (٢) ب : « المناجى » .
(٣) ب : « أصبحت مغرما » . (٤) أصورها : أميلها .
(٥) اللهو : جمع لهوة ، وهى العطية . (٦) الشيم : الخلق . (٧) حميم : أى لاذع حار .

وإنّ دُعائى حين أذكر عهده ... وذلك عهــد فى العُهود كريم

سقى بلداً أمست سُليمى تحـلُّه ... من المُزن ما تَروى به وتُسيم[1]

وقال أيضا :

وله فى صديق رمدت عينه

[مجزوء الكامل]

لمّا ٱشتكتْ عينُ الأَميرْ ... وهى البصيرةُ بالأُمــورْ

أَضحى الهُدَى يَشكو تَدا ... رُكَه اللطيفُ به ٱلخــبير

ياعينَه بل عَين من ... فَوق الــثَّرى وهُم كَثير

مهما أَلِمتِ ولا أَلِمْـ ... ـت ذابس مِن بَصرٍ بَصير

وإذا سَلِمت سلِمت ظـ ... ـلّ الناسُ فى ظِلّ السُّرور

شَفع الإلهُ لناظرَيْـ ... ـك وتُرّ[2] بُرء بالأجــور

وأنار أرجاء الرَّجا ... ء بنُور مَرآه المُــنير

٥

(١) تسيم : أى ما يخصب لها المرعى فتخلى إبلها فيه . والبيت لزهير .

(٢) تر : قطع .

٦ — أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومى (*)

شىء عنه

من أهل جزيرة شُقر ، شيخ كُتّاب زماننا ، وإمام أدباء أواننا . مع ماله من التفنّن فى عُلوم الشرائع ، وما سار له نظماً ونثرا من اللطائف والبدائع . كتب فى بَلَنسية عن أبى عبد الله ، ثم عن ابنه ، ثم عن زيان بن أبى الحملات (١) ، وعقد بيعة عزيز بن خطاب بمُرسية فى الفتن المُدلهمات ، ثم جاز إلى برّ العُدوة ، فكان له بها تميز وحُظوة ، إذ يسبقه حيث سار من شهير اسمه رائد ، فلا يزال ناجح المَصادر والموارد . وتصرّف فى قضاء مكناسة وسَلا ، ثم انصرف (٢) عن المغرب الأقصى وسلا . وحلّ مدينة بجاية ، وكان له منها ما تقتضيه معرفتُه والدراية ، ثم تمم الرحلة إلى حط الرحال ، وكعبة الآمال ، الحضرة العلية تونس — كلأها الله — فتصرف فى القضاء بجهاتها ، والسعادةُ تلحظه بطرف عنايتها ، إلى أن صار من المشرّفين فى مجلس الخلافة المستنصرية ، وحلّ من المكارم والإمكان / بالدرجة العليّة . وهو الآن من الاعتناء الإمامىّ بحيث تفىء عليه ظلالُ نِعَمها ، ولا تُنبه (٣) سماءُ سماحها الحاتمىّ وكرمها . وبهذه الحضرة كان اجتماعى به غير مامرّة ، فاستفدت من مجالسته المملوء بالفرائد كلَّ نادرة وليس ذلك فى النُّدرة .

[15 B] ١٠

بينه وبين أبى عبد الله بن أبى الحسين

واتفق أن بعث رئيس من الرؤساء ، وهو أبو عبد الله بن أبى الحُسين ، لمن وَرد من الحجاز هدايا وفى جُملتها جرّة من لبن ، وكتب معها هذه الأبيات ، جرياً على عادته من المداعبات ، المُنطوية على ماجُبل عليه من المَكرُمات :

[وافر]

ولما صحَّ زُهدك فى مُدام ... متى تُلْقَ على كَبِد (٤) يُحَجُّ

بعثتُ إليكم لبناً صريحا ... فما يَبغى المُدامة من يَحُجُّ

فأعرضْ عن فتى غسّان (٥) فيها ... ولا يَخْدعْك ذو حُجَج يَحُجُّ

٢٠

(*) نفح الطيب (١ : ٢٨٤ — ٣٠٠ ، ٦ : ٢٣٧)

(١) ب : «المحلات» .

(٢) ت : «أضرب» .

(٣) أى لا تجودها يوما دون يوم ، بل كل يوم .

(٤) يحج : أى تؤثر فيها وتقدح .

(٥) فتى غسان ، يريد : أبا العباس الغسانى وفيما بعد رده . يحج : يغلب بالحجة .

ثم كتب أبو العباس الغسانى بعد ذلك ، وكأنه أُشعرَ بما هنالك :

[وافر]

أبا الفَضل اغتنمْ شُرْبَ الحُميَّا يطوف بكأسها طَلْقُ المُحيَّا

و بادِر دون ماعُذْر وغَدْر فانت أحبُّ من وافى إليَّا

٥ فجاوبه الحاج عِوَضا عن التلبية ، ولم يُخْفِ مافى باطن التورية :

[وافر]

تركتُ الخمر للرحمن جَهراً وإسراراً فلا تعتِب عليَّا

ودَعْنى من كُتَاك فتلك نَخٌّ أبا العبّاس واتركنى خَلِيَّا

فلما وقف [الفقيه](١) أبو المطرف على الابتداء والجواب ، خاطب الحاجّ المذكور مثبتا

١٠ ومحذرا من مداخل الارتياب ؛ وأدرج فى أثناء ذلك مالم يَخْل فيه من خفّة رُوح ،
وترقيق عن غَبوق وصَبوح(٢) :

[بسيط]

إنّ المكارم فى قَعْبَيْن(٣) من لَبنٍ شِيبَا بأعذب من ماء الحَيَا الهَتِنِ

او الرسولُ بذاك الرِّسْل(٤) قابلنى قَبّلْتُ من منكبٍ منه إلى أُذنِ

١٥ ولو بقَرْعته للباب أيقظنى فديتُه بمحلِّ(٥) السُّهد والوسَن

مَن عاذ بالحَرم استحيا لنَشْوته من الحَرام غَوِىٌّ عاذ بالوَثن

فاثبُت على النُّسك واسأل ماتُريد به تَنَلْه مِن غير ما إثم بلا ثَمن

ومن كلامه ، وقد مدح صاحب بَلَنسية زيان بن مردنيش ، بقصيد ، فلم تخرج عليه جائزة ، وحضر حجّام فكانت صنعته للإحسان جائزة : (وله مع صاحب بلنسية)

٢٠ [وافر]

أَرى مَن جاء بالمُوسَى مُواسَى وراحةَ من أَراح المدْح صِفْرا

/ فأُنجح سعىُ ذا إذ قص شَعراً وأَخفق سعىُ ذا إذ قَص شِعْرا [16 A]

(١) تكملة من ت . يلتفت إلى بيت أبى الصلت — وقيل النابغة — :

تلك المكارم لاقعصبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(٢) أى تعريض عن غبوق — وهو ما يشرب مساء — وصبوح — وهو ما يشرب صباحا . يشير إلى المثل : عن صبوح ترقق . أى ترقق كلامك وتلطفه لتوجب الصبوح .

(٣) القعب : القدح الضخم .

(٤) الرسل : اللبن .

(٥) يريد العين : إذ هى محط الأرق والنوم . وفى ت : « بمحل » .

وله فى تهنئة الأمير

وقوله من قصيدة هنّأ بها مولانا الأمير المقدّس ومَدحه ، حين جاء الخبر بموت على ابن إدريس على تِلمسان :

[منسرح]

كنتُ بأمرى عن لائمى أَبصرْ ... فما عليه لو أَنه أَقْصرْ

٥ وما له غير عاذرٍ ذَنباً ... بكُل وجهٍ يجوز أن يُعذَر

ليس بنَشوان فى الغرام يَرى ... مُنكر ما فيه ليس بالمُنكر

ورُب خَمْصانةٍ[1] مُهفهفة ... لها من الظّبى مقلةٌ تَسحر

تقول : أدماء رامةَ فإذا ... ما عَرفتَ قلت : دُمْية المَرمر

غُصن من البان راق ناعمُه ... تَمنعه الذابلاتُ أن يُهصر

١٠ يالك عهداً مَضى ومُرتبعاً ... كان به العيشُ مثلَه أخضر

وجيرةٍ منهمُ الديارُ خلت ... ومنزلُ الصَّبر بَعدهم أَقفر

وقد رأيتم سيف بن ذى يَزَن ... لأرضه عاد بعد ما أَعذر

وصُنعه فى صُنيعاء أَورثه ... من دَرَك الثّأر مابه يُذكر

وليس كِسرى على الحقيقة من ... يَجنى ولكنّ سُلطانه أقدر

١٥ والقرن ولّى عنكم ومُبصره ... يتلو عليه : والليل إذ أدبر

يَمشى من الرُّوم بين زعنفة ... فيه وفيهم يحار[2] من فكّر

وما رأى الناسُ مثلَه عجباً ... أبرهة حوله بنو الأَصفر

مِن فائل الرّأى فيه وعلى ... تدبيره جاء كُلّ ما دبر[3]

وله فى هاجر

وقال آرتجالا :

[كامل]

٢٠ أسرفتَ فى الهِجران غيرَ مُبالى ... أفما يَمُر لك الوصالُ ببالِ

ياواليـاً أمرَ الجمال بسيرةٍ ... قَلّ الحديثُ بمثلها عن والى

حتى متى قَلبى عليك مُتيّم ... وإذا سألتُ يقال : قلبُك سالى

أرضى رِضاك على الوُشاة وأنت لا ... تُرضيك مَوْجدتى على العُذّال

(١) ت : « منعمة » مكان « مهفهفة » .

(٢) فيه : « وقاهم بجائرفكر » . (٣) ب : « ما ذكر » .

من رسالة له في خروج شعيب ابن لبلة

وله موشحات تطرب قبل التلحين ، ورسائل حاز بها الإمامة بين العصريين ؛ ومن عنوانها قوله من رسالة يذكر فيها خروج شعيب بن لبلة بعد طول الحصار، وما آل إليه من الدمار والبوار :

[16 B]

فأجرى مدة بالخلاء، وازداد إثماً بالإملاء، وحينئذ سمت إليه عساكر الإسلام، وتناولته بالموت الزؤام، ورأى عيانا ما كان يطير له قلبه لو رآه في المنام، وتداولته المطاولة المستدرجة ، ٥
والمعاجلة المزعجة ؛ وفي كل ذاق عذاب الهون ، وأحس بقاصمة المنون ؛ وانقسمت شدته إلى المهلكين : خوف وإعدام، واستكملت مدته تسعة أشهر ولد الفتح عندها لتمام .
وإنه للولد الذي هنئ به الإسلام ، وعقمت بمثله الأيام ، واستبشر بوجوده الأنام .
فما أعلى مقامه ، وأبهج يومه وأسعد عامه . ولا غرو أن تكون غرته أبهى الغرر ، ومفتتحه مباركا على البشر ؛ وقد أسفر عن أيمن وجوه النجح ، وخرج عن عموم الأعوام بمخصص ١٠
هذا الفتح؛ وانتقم الله من الشقي الظالم، العظيم الجرأة على ارتكاب العظائم؛ فطاح بموبق أعماله، وعجل الله به إلى ما أعد لأمثاله؛ وكان دمه شر دم أريق، وأديمه أخبث أديم لاقى التمزيق.

من رسالة له في وصف الثائر ابن خطاب

وله من رسالة في وصف عزيز بن خطاب الثائر بمرسية :

حوى من العلوم فروعها وأصولها، وجمع منقولها ومعقولها؛ فما أعلم له سبيلاً إلا سلكه، ولا عنانا إلا ملكه ؛ ولا مبهما إلا فتحه ، ولا غامضا إلا شرحه . وأقول قول منصف له ١٥
لا محاب ، ذاكراً له بعبرة وانتحاب : إني لا أعلم في هؤلاء الذين أنارت بأفقنا شهبهم ، أو بلغت إلينا كتبهم ؛ من حقق تحقيقه ، ودقق في النظريات والعمليات تدقيقه ؛ وكان في معظم عمره ناسكا، ولسبيل البر والتقوى سالكا ؛ زكي النفس، علي الهمة ، كثير التواضع ؛ يتعاهد المساكين برفده ، ويعالج الضعفاء من عنده ، ويدبر مرضاهم بقوة نظر في الطب لم تكن لأحد قبله ؛ ثم انتكست حاله آخرا ، فنظر في أمور بلد مرسية مولى ٢٠
أولى ومستبدا أخرى ؛ وفي كلتا النوبتين أساء السيرة ، وارتكب الخطايا الكثيرة ؛ فكره الناس وكرهوه ، وتنكرت القلوب له والوجوه . وكان آخر أمره أن جرّ قسرا ، وقتل بالسيف صبرا .

شعره إلى الفقيه العربى

وكتب مترسلا إلى الفقيه أبى محمد العراقى ، وبعث له عن جزء فى الجدل كان عنده :

[طويل]

لعمرُك إنّى فى الوِداد لصادقٌ ... وإنّ لسانى بالثّناء لناطقَ
وإن تكن الأيامُ باعدْنَ بيننا ... فأكثرُ ما فيها حبيبٌ مُفارق
٥ فديتُك قد وجّهت بالجَدَل الذى ... بصَفْحك فى إمساكه أنا واثق
وإنّى بحمــد الله فى خير رُتبة ... بها يُرتضى مَن تَرتضيه الحقائق
[17 A] / تقلّدتَ من شُغل الخزانة خُطةً ... تقلُّدها بالفَضل والعِلم لائق
وأرسلتَ عن جزء كحرف بمُهرق ... وقد جُمعت فى راحتيك المَهارق
فيا مَن له تِسع وتسعون نعجةً ... وفى سَخلة[1] عَجفاء أنت تُضايق

١٠ بعثتُ إلى سيدى -أحسن الله إليه- جدله ، بعد أن استنسخت بدَله ، وداعبت فضله ، الذى شهد به الزمان قبل أن نشهد له ؛ وأنا متطاع لأحواله ، مسرور بإنصاف الأيام لكماله .

وله

وقال أيضا :

[خفيف]

١٥ خَفَرٌ لاح فى المُحيَّا الوَسيم ... أو حديثٌ للرّوض عند النّسيم
أم وفاءُ الكَرى بعين مُحِبٍّ ... أم شِفاءٌ جَرى لجسم السّقيم
أم كتابٌ إلىّ ألقىّ والأنـ ... ـفُس تَفديه من كتابٍ كريم
حبّذا منْه وارد وهو راحى ... ورِياضى ومَسمعى ونَديمى
نثرُه لؤلؤٌ نثيرٌ وفيــه ... من حُلَى النّظم كُلُّ درٍّ نَظيم

وله فى أهل الأندلس

وقال ارتجالا :

٢٠ [بسيط]

ياأهلَ أندلِس لله درّكُمُ ... ماءٌ وظِلٌّ وأشجارٌ وأنهارُ
ما جَنةُ الخُلد إلاّ فى دياركُمُ ... وهذه كنتُ لو خُيِّرت أَختار
لا تَحسبوا فى غدٍ أن تدخلوا سَقَراً ... فليس تُدخل بعد الجنة النار

---

(١) السخلة : ولد الشاة من المعز والضأن ، ذكرا كان أو أنثى .

بينه و بين ابن القوبع

وكتب له الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن القوبع ، وهو إذ ذاك بظاهر قُسطنطينة :

الوداد — أدام الله كرامة سيدى — لا يتوارى ولا يَحتجب، وذلك أيسرُ مافى حقكم يجب ، ومحمد بن عبد الرحمن ينتظر إذنكم فى الزِّيارة ويَرتقب .

٥

فكتب إليه الفقيه أبو المطرف :

سيدى — وفّقكم الله — وافتْنى براءتكم وأنا على ظهر لقضاء ما عنّ لى بالمدينة من مأرُبة ، وسأعود من فورى سريعا إن شاء الله . فلما عاد إلى موضعه كتب إليه :

[سريع]

هأنذا قد عُدتُ يا سيِّدى ‏ إلى مكانى فإذا شِيتَا

وأنت أهلُ الفضل لا أَدَّعى ‏ عليك فيه جئْتُ أو جيتا

١٠

وله إلى صديق من أهل شاطبة

وكتب جوابا بهذا النظم والنثر لصديق من أهل شاطبة ، لما استولى العدو — قصمه الله — على مدينة بلنسية :

نُخص سيدى ورئيسى ، ومُسعدى وأنيسى ، أعلى الله جانبه ، وحفظ لديه مواهبه ، تحية التعظيم لمجده، والاعتداد بوده ، والعلم بأنه وحده ، نسيج وحده[1] . ورحمة الله وبركاته من مرسية، / حرسها الله . وأنا والله من يَزنّه بإنصاف، ويجزى وَدّه المضاعف بأضعاف، ويذكره فيرتاح ، ويتمنّى أن لقاءه يُتاح . وقد وصل كتابُه الخطير الكريم كما أتت النُّعمى عَقب البوس، وتهلّل وجه الزمان بعد العُبوس ، فوردتُ صفوه مَعينا ، واجتليتُ صُبحه مُبينا ، ولقيت[2] مهدِيه، فأهدى ما منّ مستهديه، ثم ردفَه الخطب الآتى[3] بقاصمة المتُون، وقاضية المَنون، ومضرمة نار الشجون ، ومذرية ماء الشئون . وهو الحادث فى بلنسية ودُرة النَّحر، وحاضرة البر والبحر ، ومَطمح أهل السيارة ، ومطرح شعاع البهجة والنضارة ، أَودى الكفر بإيمانها ، وأبطل الناقوس صوتَ آذانها ، ودهاها الخطبُ الذى أنسى الخطوب ، وأذاب القُلوب ، وعلّم سهم الأحزان أن يُصيب ، ودمع الأجفان أن يَصوب . فيا ثُكل الإسلام ، وشجى الصلاة والصيام ! يوم الثلاثاء وما يوم الثلاثاء ، تاريخ الداهية الدهياء ، وتأخير الأقدام عن[4] موقف العزاء .

[17 B] ١٥

٢٠

---

(١) ب : « والعلم بأنه وحده نسيج وحده » . (٢) ب : « وكفيت » .

(٣) ت : « الثانى » . (٤) ت : « عندى » .

أين الصبر منّى وفؤادى أُنسيَه، لم تبق لقوسه عن الرّمى سِيه[١]، هيهات يعود ما مضى من أُنسيه، من بعد مُصاب حلّ فى بلنسيه، يا طول هذه الحسرة ! ألا جابر لهذه الكسرة ، أ كل أوقاتنا ساعة العُسرة ؟ أخى ، أين أيامنا الخوالى ، ولياليها على التوالى ، ولاية عيش نِعم بها الوالى ، ومسندات أنس تعدها الرواة من العوالى . بُعـــداً لك يا يوم الثلاثاء من صفر ! ما ذنبك عندنا بشيء يُغتفر، قد أَشمتّ بالإسلام حرب من كَفر، من أين لنا المفر، كلا لا مفر. كل رزء ففى هذا الرزء يَندرج ، وقد اشتدت الأزمة فقل لى متى تنفرج، وكيف لنا بالأصائل والضحى إذا لم يعد ذاك النسيم الأرج ، وليس لنـا إلا التسليم والرضى لمـا قضاه الخلاق العليم، والإيمـان بأنه هو الغفور الرحيم، وهو يجعلنا ممن ألظّ[٢] بجنابه . ويكفينا ما لا طاقة لنـا به . ثم أنشد :

[طويل]

ألا أَيُّهـا القلبُ المُعَرِّح بالوَجْدِ	أمالَك من بادِى الصبابة من بُدِّ
وهل مِن سُـــلوٍّ يُرتجَى لمُتيَّم	له لوعةُ الصادى وروعةُ ذى الصَدِّ
تحِنّ إلى نَجـــدٍ وهيهات حَرَّمت	صُروفُ الليالى أن نعود إلى نَجد
ويا جبلَ الرّيان لارِىَّ بعد ما	عدَتْ غِيَرُ الأيام عن ذلك الوِرْد
/ أمِن بعـــد رُزْءٍ فى بلنسيةٍ ثَوى	بأضلاعنا كالنـار مُضْرَمة الوَقْـد
يُرَجّى أناسٌ جُنةً من[٣] مصايب	تطاعنُ فيهم بالمُثقَّفة المُـــلد
وهل أَذنب الأبنـاءُ ذنبَ أبيهمُ	فصاروا إلى الإخراج من جَنة الخُلد

وخاطب بهذين البيتين عمر بن عيسى بن النعمان :

[كامل]

فى الرَّوع أوجهكم كأقمـار الدجى	وسُيوفُـــكم كشَقائق[٤] النُّـــعمانِ
والمكرُماتُ وُلِدْن فيكم فهى إنْ	نُسبتْ يقـال شَـقائق[٥] النُّعمان

[18 A]

١٠ ١٥ ٢٠

وله يخاطب عمر بن عيسى

(١) سية القوس : رأسها .

(٢) ألط : التصق . وفى ت : « ألظه » .

(٣) ت : « قطائف » مكان « مصايب » .

(٤) النعمان : الدم . وشقائقه : قطعه .

(٥) النعمان : هو ابن المنذر . والشقائق : ورد أحمر . وذلك أن النعمان حمى أرضا فـكثر فيهـا ذلك ، فأضيفت إليه .

شعره إلى صاحب منرقة

وكتب إلى صاحب مَنْرقة يمت إليه بالرحم القُرشية ، والنِّعم التى أحسبت[1] الأُمنية ، وقادت طائعا جامح النفوس الأبية : [طويل]

فدتْك أبا عثمان أنفسُنا التى | أعنّةُ ذاك الفضل قادت[2] عِرابَها
وعندىَ يا ابن العم فيها[3] أليّـةٌ | عرفتُ يقينًا بِرَّها وصوابَها
بأن المعالى لو جُمعن مسائلا | على الحَصر فيها كنت أنت جوابَها

٥

وخاطبه أيضا : [طويل]

وجدنا سعيداً سعدُه قد قَضى به | على الرغم ربُّ النَّجم قبل المُنجِّم
فقُل حاتمٌ إن لُذتَ منه بمُطعِم | وإن تُذكر الأنساب تَلقَ ابن[4] مُطعم
تأخّره والله يُبقيه حُجةً | على من يقول الفضلُ للمُتقدم

١٠

وخاطبه من بجاية : [طويل]

ومجْدُ سَعيد لا يزال حَديثُه | يَطيب على الأَسماع حين يُكرَّرُ
لئن كثُر العافُون حول فِنائه | فقد وجدوا الآلاءَ وهى أكثر
حَمى[5] ثم آوى ثم أَعطى ثلاثة | فأزمنةُ الدنيا الثلاثة تُشكر

وله فى رحلته إلى تونس

وكتب من سبتة إلى مدينة تونس ، حرسها الله تعالى : [طويل]

١٥

فحين رأيتُ القوم لا خيرَ عندهم | رحلتُ ولى طَرف إلى الشرق ناظرُ
وقلت لهم أرضٌ بأرض وفى السُّرى | لمن ضَلّ هادٍ أو لمن دَلّ ناصر
إذا كان فى أُفْقٍ من الأرضِ كاسر | ففى أفُق ثانٍ من الأرض جابر

وله فى مثله

ولما وصل إلى حضرة تونس — حرسها الله تعالى — أنشد : [طويل]

حللتُ[6] بها فى ساعة المُشترى فما | أبيع بها حَظّى بألف حياةِ
وأبصرتُ منها الشمسَ والشمسُ ما لها | ضُحىً خالصًا[7] من آيةٍ[8] وإياة

٢٠

(١) أحسبت : أغنت وكفت .
(٢) العراب : الخيل العربية .
(٣) الألية : اليمين والقسم .
(٤) ابن مطعم ، هو عدى ، من أشراف قريش .
(٥) ت : « علا » .
(٦) ت : « دخلت » .
(٧) ت : « ماها » .
(٨) إياة الشمس ، بكسر الهمزة وفتحها : ضوؤها وحسنها .

وله فى الماب

وقال آرتجالا : [وافر]

وما حالُ المُحبِّ يدوبُ شَــوقًا ... كمن فى غَـيره أبدًا يذُوبُ

يُريه الحُبَّ وهـــو لما آدعاه ... لغــير المال من حُب كَذوب

وله فى مثله

وقال أيضا : [مديد]

٥ أيها المَخَــدوع بالوَصل الذى ... ظن منه ما افـتراه الواصِفُ

[18B] / لم يكن بالشَّرق لى[1] سُرِّيّة ... أنا إنْ غِبتُ عليها خائف

لا ولا بِنت إذا ما شُــكَّ فى ... أمرها أَخْبرَ عنها[2] العـائف

إنما عنــدى لأَحــلامِ الوَرى ... خُدَع شيطانُها بى طـائف

ما السُّروجىّ الذى يُحكَى لــكم ... بالذى يُعرف[3] منهـا عارف

١٠ وكذا الإســكندرىّ المُقْتَفى ... دلمُــه من بَحر عِلمى غارف

صَنم الأطماع فيما[4] عنــدهم ... أنا ما عِشْت عليــه عاكف

والطعام السُّخن والبـاردُ ما ... أنا للنَّــوعين منه[5] عائِف

ويدى فى ظُلمــة المَطْــل إذا ... ذُكِــر الدِّرهم برقٌ خاطف

من يقُل أشعبُ[6] دونى فعلَى ... صِــدق ما قال يَبرُّ الحــالف

١٥ وكتب نظما ونثرا لأحد الرؤساء بشاطبة :

كتابه إلى أحد رؤساء شاطبة

تخص[7] الأبنَ محبة ومِقة ، آعتدادا بجانبه وثقة ، حفظ الله نجابته ، وجعل لداعى السيادة[8] تلبيته و إجابته ، تحية الإجلال والتكرمة ، والمودة الخالصة المستحكمة ، ورحمة الله

---

(١) السرية : الجارية المتخذة للملك والجماع .

(٢) العائف : الذى يعرف الآثار .

(٣) ت : « أعرف » .

(٤) ب : « فيها » .

(٥) ت : « عارف » . (٦) أشعب : اسم رجل كان طمعا . وفى المثل : أطمع من أشعب .

(٧) الرسالة تنقص شيئا قليلا من زوله ، وهو السلام ، وقد تكون معه بعض كلمات لا تعدو السطر .

(٨) ب : « النجابة » .

وبركاته والوُد كَلف ، والعهدُ بالصون من جميع جوانبه مُكتنف ؛ وتلكم الذات السنية ذخيرة[١] جليلة ، وأملٌ لاتُخطئ منه مَخيلة[٢] ، وهبة يكذب معها أن يُقال : إن الأيام بخيلة . وكنا نظن أن فناء الكرم صُمّ صَداه ، ومَربع الفضل غاض بَرَداه[٣] ، وغابت عن المتوسّد أَبرداه[٤] ؛ وأنه لا فتى كمالك[٥] ، ولاسُؤدد إلا مايُؤثر عن مالك[٦] . ونقول : ما كل من أقعدته العَيلة ، جاوره عُميلة[٧] ؛ ومتى يفطن غير عمرو[٨] نَخلة يخفى مكانُها ، وهل سوى قيس[٩] يُرتجى لعجوز عَدِمت جِرذانها . حتى نشأ هذا الماجد من طَرفيه ، المُتقبِّل آثار سلفيه ؛ حَفظة الأطراف والسُّنة ، وحَملة الأقلام والأسنّة :

[طويل]

نمتْــه إلى عِيسى وعيسى أهِــلَّةٌ   لهــا فى سماء المَعْــلُوات طُلُوعُ

أصولٌ كأمثال الهِضاب كريمــةٌ   وليس لهــا غيرُ الكِرام فُــروع

فهم بين من تَغشى جموعُ فِنائه[١٠]   ومَن تتقيــه فى الهِياج جُموع

---

(١) ت : « خيرة » .   (٢) المخيلة : الظن .

(٣) بردى : نهر دمشق . وهو هنا على التمثيل .

(٤) الأبردان : الليل والنهار .

(٥) هو مالك بن نويرة : أدرك الإسلام وأسلم ، وكان فارسا شاعرا ، وهو الذى يقال فيه المثل : فتى ولا كمالك .

(٦) هو مالك بن طوق بن غياث التغلبى ، من الأجواد . وكانت وفاته سنة ٢٥٩ هـ . (فوات الوفيات ٢ : ١٤٢)

(٧) هو عميلة الفزارى : من الأجواد . وقصة مشاطرته أسيد بن عنقاء الفزارى ماله مشهورة . وفيه يقول أسيد :

رآنى على مابى عميلة فاشتكى   إلى ماله حالى أسر كما جهر

(انظر الأمالى ١ : ٢٣٧ — وعيون الأخبار ٣ : ١٦٠ ، ٤ : ٢٦ — والأغانى ١٧ : ١١٧ طبعة بلاق) .

(٨) هو عمرو بن العاص ويشير إلى قوله : « وإنى لرجل ذكرنى ينام على شقه مرة ، وعلى شقه أخرى ، يرانى موضعا لحاجته لأوجب على حقا إذا سألنيها منى إذا قضيتها له » . (العقد الفريد : ١ : ٢٢٦) . والعبارة فى ت : « ومتى يفطن بخير عمرو كخيلة صفى مكانها » .

(٩) هو قيس بن سعد بن عبادة . وقد وقفت عليه امرأة فقالت : أشكو إليك قلة الجرذان . فقال : ما أحسن هذه الكناية ، املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا . (العقد الفريد ١ : ٢٩٧) .

(١٠) ب : « جموع فناه » .

فمُلئنا حياة بهذا الناشىء ، ومتعنا منه المولى الكالىء[1] ؛ نعده لكفاية المُهِم ، ونستضئ به فى الحادث المُدلهمّ ؛ وترى منه أعيُنُنا قُرّتها ، وأيامُنا غُرتها ؛ ومَحاضرنا زينها ، وعُداتُنا غيظها بل حَيْنها .

[19 A] وافتنى مخاطبته الخطيرة / تشهد بما عنده ، وتقرِّر كُل مايُشبه مجده ؛ فتلقيتُها بالترحيب ، وقلت : أهلا وسهلا بتحية النجيب ابن النجيب ؛ كريمة من كريم ، وسافرة عن مُحيًّا وسيم ؛ كأنه ٥ ثناؤه عَرفا ، وخُلقه الجميل وَصفا . وكل ما ذُكر فأنا به مُعتد ، ومداى فى شُكره ممتدّ ، ولدىّ من صفة[2] الودّ له مالا يضاهيه ودّ ؛ أمتع الله بحياته ، وبلغ فيه من الأمل أبعد غاياته .

---

(١) ت : « الوالى المعالى » .

(٢) ت : « صنيعه » .

٧ — الفقيه الكاتب أبو القاسم أحمد بن يامن

شيء عنه

من أهل جزيرة شُقر ، التى عادتُها إطلاعُ الأنجم الزُّهر . كَتب مُدةً عن رئيس شاطبة أبو الحُسين بن عيسى ، حتى نُسب[1] إليها ، وصار نخرُه محسوباً عليها ؛ وهو عندى أظرف من عاشرتُه بالمغرب من أهل الأدب ، وأخفّ رُوحاً من كُل من دَرج فى المُنادمة ودَبّ . من رجل كثير الاحتمال ، سريع النادرة فى أنواع[2] المقال ؛ هزلا أوجدا ، وذمّا أو حمدا . ٥ وله فى طريق الكتابة ، غاية الإصابة . وكانت معاشرتى إياه بهذه الحضرة ، وما انقطعتُ عنه يوماً إلاّ وأنا أتمنّى[3] الكرّة . ووقفتُ له على فُصول رسائل ، لها إلى الاستحسان أعظم وسائل . وقد خاض الآن من لجة الأشغال المخزنية أعظم سَيْل[4] ، وتقلّد بُحكم الوقت أعمال هُذيل ؛ وأثبتُّ له بهذا الكتاب ما يَشهد بسَبْقه ، ويدلُّك على واجب حقه .

١٠

شعره فى التذييل على بيت أبى عبد الله بن أبى الحسين

بلغه بيت من نظم الشيخ المعظم أبى عبد الله بن أبى الحسين[5] ، فى دخول ضوء البدر من الشراجب[6] : [طويل]

تجلّى فلما أبصر الحُسنَ باهراً ... تقسّم من فَرط الحياء نُجومَا

فقال مُذيّلا عليه ، مالا يخفى حسن تهذيه إليه : [طويل]

ومَجلس إيناسٍ كأنّ كُؤوسَه ... غدتْ لشياطين النُّجوم رُجومَا

تخال نَداماه أزاهرَ روضةٍ ... سَقاها ندًى ربُّ المحلّ سُجوما ١٥

ألمّ بها بدرُ الدُّجنة واغلاً ... وأمّل فى وقت الهجود هُجوما

فأهدى لأجفان الشراجب نُوره ... وقصّر عنه هيبةً ووُجوما

ولما وقف الشيخ أبو عبد الله على هذه الأبيات كتب على رقعتها ، ما أغلى به من قيمتها : [طويل]

إذا ما المعالى قُسّمت حاز جُلَّها ... أبو القاسم السامى النّبيه ابنُ يامنِ ٢٠

/ عجبتُ له من سابقٍ جاء آخرا ... فجاء أمام الخيل نحو الرّهائن [19 B]

---

(١) ت : « نمى » . (٢) ت : « أبواب » . (٣) ت : « إلا وتمنى » .

(٤) ت : « سبيل » . (٥) ب : « الحسن » . (٦) الشراجب : فتحات النوافذ .

هو ابن سعيد والغسانى فى وصف شمعة

ومما اشترك فيه مع الحاج ابن سعيد ومع أبى العبّاس الغسانى ، وتطابق الثلاثة فيه بمجالس الأنس تطابق المثالث والمثانى ، قولهم :

[كامل]

ما بالُ شمعتنا كقلبي تَخْفِقُ — أبداً تهيم كما أَهيم وأَعشقُ

أَم زارها سارى النّسيم بسُحرةٍ — فغدت إلى لُقيا المُعانق[1] تعنق

عجباً لها فالجسمُ منها فضّة — وجُفونها يَنهلُّ منها الزّئبق

عُريانةٌ وثيابُها فى جوفها — لكنّها من حُرقة تتحرّق

زُفّت ظلاماً كالعَروس بحَلْيِها — لكنها عند الصّباح تُطلَّق

تُفنِى الدّياجى وهى فانيةٌ بها — وبمائها أيّان تُشرِق تَشْرَق

٥

ما حقها إذ جمّعت شمل المُنى — أن يغتدى مثل لها يتفرّق

قامت خطيباً تشتكى بخطوبها — وبنازلة الحالات أمست تنطق

١٠

ولهم فى حديقة

وقولهم :

[متقارب]

رنتْ نحوكم مُقَلُ النرجسِ — وأمست تُشير إلى الأكؤسِ

وقد حدّد[2] الآس آذانه — ليسمع ما دار فى المَجلس

وأَخجل تُفاحّها[3] واغتدى — يروم الكلامَ ولم ينبس

وقد باح أُتْرُجّها بالهوى — وظاهره بالضّنى مُكتسي

وماس التُّرنجان فى حُلّة — تروق العيون من السُّندس

١٥

وكالجمر نارَنْجنا قد بدا — يَروع العُيون ولم يَقْبِس

وزُنبوعها[4] بعضه مثل ما — نظرتَ إلى الذهب الأَملس

وقد ضحكتْ بيننا أكؤس — فوجه الدُّجنّة لم يَعْبس

فيا ضاربَ العُود حُثّ الغناء ويا ساقىَ الكأس لا تَحْبس

٢٠

(١) ب « تعشق » مكان « تعنق » .

(٢) ت : « جرد » .

(٣) ت : « تفاحنا » .

(٤) ت : « وزنبوعنا » .

وخرجا مع أبى العباس الغسانى إلى جَنة بالجزيرة ، فنثر على الخابية[1] جُلَّنارا ، فقال أبو العباس الغسانى : ولهم فى الجلنار

[وافر]

* ألا فانظُر لزهر الجُلنار *

٥

فقال أبو القاسم : [وافر]

* بمتن المـاء منه جُلّ نار *

فقال أبو الحسن[2] : [وافر]

كأن المـاء قـد أمسى سمـاء تُصاغ له من الشَّفق الدَّرارى

وكان يَخضب ، ثم دهمه من الشُّغل أمرٌ أذهله عن الخضاب حتى نَصل فقال ، وقد عاد إلى خِضابه ، بعد أن ترضّى الدهر من غِضابه : وله فى الخضاب

١٠

[طويل]

أعدتُ خضابى حاكمًا فى معاده بأمرٍ بدالى فيـــه رأىُ سَداد

[20 Á]

/ وذلك أنّى من ضنى الحال مُشتكٍ فمن كَبد فى طيّـه وفُؤاد

ولا بُد أنّ الحال مُفضٍ سقامها لبُرْء صلاحٍ أو لموت فَساد

١٥

فإن بَرِئت كان الخِضاب شبابها وإن هى ماتت كان لُبس حِداد

وخاطب أبا عبد الله بن ياسين بمدينة بجاية : وله يخاطب ابن ياسين ببجاية

[بسيط]

يا مُفردا بنفُوس النـاس يَملكها بما نفائسه فى النـاس مُشتركه

خدمت بابك فى حال السُكون وقد أوجبتَ خِدْمته فى حالة الحَركه

٢٠

مَن ظلّ عند بُرود الظّل يكنفُنى إنّى أُرى فى حَرور الشمس مُتَّركه

إن يَسمح الإذنُ أَسمح للبَشير به بالقَلْب سَهماً وغيرى يسأل البَركه

ولى من الجُند والكُتّاب منزلةٌ وفى القُضـاة مع العمّال مشتبكه

ولا مَؤونة فى جُلّ أُكلّفها إلا بغيلة أو بِرذون أو رَمَكه[3]

(١) ت : « الجانية » . (٢) ب : « أبو الحسن » . (٣) الرمكة : الأنثى من البراذين .

وله في تهنئة صاحب منرقة بالإبلال من مرضه

وخاطب صاحب مَنرقة ، وقد أبلّ من مرضه :

[بسيط]

يا غُدوةَ السَّبت ما جلَّيت من كُرَبِ — يا غُدوةَ السبت ما أَحييت من طَرَبِ

لئن غدا السبت عِيداً لليهود لقد — غدا لنا أوجبَ الأعياد للقُرب

أما به مَرّ إمرارُ الزمان وقد — أجنى ضُروب مُنًى أحلى من الضَّرب[1]

مَرْأى سعيد العُلا دامت سعادتُه — كُلّ الأمانى وأَقصى مُنتهى الأَرَب

٥

ولَثْم راحته مِن بعد راحته — جلاءُ ما جلّت شكواه[2] من كُرب

فالله يُبقيه محفوظا لِعصمته — مؤيَّدا أمره فى العُجم والعرب[3]

وله فيه أيضا

وقال ، وهو إذ ذاك بمنرقة :

[بسيط]

بالسَّعد واليُمن والتأييد فى العَمل — والنَّصر والفَتح والإنجاح فى الأَمَلِ

حُلولك القُبَّة الزَّهراء نَيِّرةً — كالشمس حَلَّت أوانَ السعد بالحَمَل

١٠

فى ساعة اليُمن[4] فى اليوم الأغر من الشّـ — ـهر المُبارك عامَ الفَتح والجزل

وفى زمانٍ أمانٍ وآختيار مُنًى — وفى شَبابٍ من الإقبال مُقتبل

بيت رَفعتَ على التقوى قواعدَه — وشِدْت أركانَه بالعِلم والعَمل

وله فى مثله

وقال أيضا يمدح صاحب منرقة :

[مجزوء الرجز]

لأُرسلنّ قولةً — تأثُرها عنى الأُمَمْ

وتَغتدى مقبولةً — ما بين عُرْب وعَجم

١٥

أُقسم بالله العَظيـ — ـم وهْو أعظم القَسم

ما أبدتِ الدُّنيا لنا — مثلَ سعيد بن حكم

وله يمدحه

وقال أيضا يمدحه :

[مديد]

وجدتْ منه آلمَعالى كُفْوها — وعلى الأيّام قد كانت أَيَامَى

٢٠

[20 B]

/ عَضلت[5] أنفسها عنها وإذْ — وجدتْه لم تجِد عنه اعتاما

(١) الضرب : بالتحريك : العسل الأبيض الغليظ . وفى ت : « أما به مر من أمر الزمان » .

(٢) ت : « كسواه » . (٣) التكملة من ت . (٤) ت : «الأمن» .

(٥) عضلت : حبست .

فغَلا فيها وأغلى مَهرها ثم ولاها على النفس ٱحتكاما
حكَم العُرف بأنْ تملكه فقديماً قيل يَملكن الكِراما

وكتب له وقد شَرب دواء : [خفيف]

له فيه وقد شرب دواء

راحةُ ٱلمجد وٱرتياح العَلاء في الذى كان أَخْذُه من دواءِ
قَهر[1] ٱلخلط هائجاً مثلَ ما تقـ ـهر هَيْج العداة فى الهَيجاء
وٱستقاد المِزاج منه ٱعتدالاً كٱعتدال ينبثّ فى الدهماء
وٱستفاد الشفاءَ طوعاً كما تصـ ـدع فى كُلِّ مُعضل بالشفاء
فغدا فى العِلاج مثلك فى النا س رئيسَ العُلوم والحكماء
فٱقتبل منه صحةً ونَشاطا طولَ عمرٍ مديد ظِلِّ البَقاء

٥

وقال ارتجالا : [طويل]

وله فى مدحه

أيامَن به قد أينعت لى وأسمحت على الدَّهر نُوَّار الأَمانى ونَوْرُها
بدا لِلعيان البحرُ عيناً بصيرةً مَنرقة فيها مُقلة أنت نُورها

١٠

وقال أيضا : [سريع]

ياسيدا قد همَا نداه فأَخجل الوابلَ السَّجُومَا
أهديتُه من بَنات فِكرى بِكْرَيْن قد سَرَتا هُجوما
فساق مهرَيْهما وسقَّى نهريهما[2] غيثَه سجُوما
جلَّل إلفَيْهما نِثارا ألفى نَظيماً سَرى الوُجوما
فقالت لما طلعنَ شُهباً تقذف حُسَّادَها رُجوما
شَمسان قد زُفَّتا لبدر لاغَرْو أن تُنتجا نُجوما

١٥

وأنشدنى أبو العباس أحمد بن محمد الأنصارى ، قال : أَنشدنى أبو القاسم بن يامن لنفسه : [طويل]

وله

٢٠

وخائرة جاد الزمان[3] بدَنِّها كما جاد حُبٌّ بالقَطيعة والبُغض
فتمنحنى السُّهد المنَغِّص والاسى وتَمنعنى طعم المَسرَّة والغَمْض
تعوّذتُ منها حين لاحتْ بتَوبة حنانَيك بعض الشرّ أهونُ من بعض

(١) ت : « قهر » . (٢) ت : « مهديها » . (٣) ت : « ببعضها » مكان « بدنها » .

وله إلى صاحب منرقة يستعمل جاريه الشهرى

وكتب إلى صاحب منرقة — أكرمه الله — يستعجل جاريه الشهرى عند سفره :

[مجزوء الرجز]

ياقابض الثناء من   حَقائب(١) وسُفر
العبد يشكو سَرَفا   من لازمات سَفو
٥ فجُد بجارى صَفر   فكَفُّه فى صَفر(٢)
ولا يكُن راتبُه   مُحرَّما فى صَفر

وله فى المنتصر بالله [21 A]

وخرج أميرُ المؤمنين المُستنصر بالله ، المَنصور بفضل الله ، أبو عبد الله ، من الأُمراء الراشدين ، فى رمضان لنزهة ، فتعرَّض له أسدٌ فقتله ، ثم صلّى / التراويح فسها الإمام فأَفتاه ، فقال ٱبنُ يامن :

[كامل]

١٠ لله درُّ خليفةِ الله الذى   مازال يُرغِم ضِدَّه إرغامَا
ما إنْ رأيتُ ولاسمعتُ بمثله   يُفتى الإمامَ ويقتُل الضِّرغاما

وله فى محبرة

وأهدى لصاحب منرقة محبرة عاج ، بعد أن كان رأى عنده محبرة آبنوس ، وكتب معها :

[مخلع البسيط]

أبصرتُ بالمجْلس المُعلّى   محبرةً حُلِّيت نُضارَا
١٥ من حالكِ الآبنُوس قَدّت   مَن قدّ حامٍ لها إزَارا
وهاك أُختاً لها تردّت   بياضَ لونٍ قد آستنارا
لناصع العاج مُنتهاها   وحَسبها حُسنها نِجارا
جَمّعها فى يديك فألٌ   أن تملك الحكمة اختيارا

وله فى صاحب منرقة

وكتب إليه :

[متقارب]

٢٠ لك الفضلُ مولاى فى كُل حالٍ   ولم يزل الفضلُ وقفاً عليكَ
بعثتَ الحياة ببعث السلام   وقبلُ بعثتَ الحيا من يَديك
وإن لم أُطق ردّ ما ينبغى   فهذا فؤادىَ مُهدًى إليك

(١) سفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهى جلد مستدير يضع فيه المسافر طعامه . (٢) الصفر : الخلو .

وكتب إليه أيضا : [طويل]

أيا سابقَ السّبّاق فى أَمد الندى | إلى أين قد جزتَ السُّهى فإلى أينا
لئن سُمتنا شكرا لنُعماك[1] مُحسنا | فقد آن للأفكار أن تشكُوَ الأَينا
أحين تَدانينا أتيتَ بمُعجز | أخذت ترى تعجيزَه إذ تناءينا

٥

وقال أيضا : [مجزوء الرمل]

يا رئيسًا لاح أنفًا | فى بَنى عبد مَناف
ماترى يابهجة المَد | ح ويا فخر القَوافى
فى سُلاف تُشبه العَو | د وورْد كالسُّلاف
ونَديم ذى اعتقاد | لوِدادٍ وتَصافى
إن تكُن تسمح بالإذ | ن فشَمْلى ذو ائتلاف
ولنقل إن ترثى | أرجوزتى[2] رأى الخلاف
يلعن الله ابن سينا | وكذا رأى[3] ابن صافى

١٠

فى رثاء ابن عيسى

وله يرثى ابن عيسى خال صاحب منرقة ، وقد بلغت وفاته منه أعظم المبالغ ، وكدرت لديه صفاء العيش السابغ[4] ؛ فقال مُعربا عن وجده ، ومُفصحا بكرم اعتقاده وشرف[5] قصده : [خفيف]

١٥

[21 B]

/ لم يَفِ الدهر فى وفاة[6] ابن عيسى | بأس والله ما أنا فيه بِيسا
قائدٌ قائمٌ بأعباء ثغر | لم يَزل حُسنه عليه حَبيسا
يَرحم الله منه أنفَسَ نَفْس | نافستْ فى الذى رأته نَفيسا

وله عند قبر صديق

وقال ارتجالا ، وقد زار قبر صاحبٍ من أودّائه : [متقارب]

٢٠

أعندك يا قبرُ علمٌ[7] بما | حَويتَ من العلم والسُّودَدِ
حويتَ العُلا والنُّهى والتُّقى | وغَيثَ النّدى وجمالَ النَّدى
وما كنتُ أحسب من قبل أن | بُنيت[8] على السَّيد الأوحد
أرى البدر غُيِّبَ تحت الثرى | ولا البحرَ غُيِّض فى مُلْحَد
فيَهنيك ما الدِّين يأسى به | وبُشرى بما الدهرُ منه رَدِى

---

(١) ت : « محسبا » مكان « محسنا » . (٢) ب : « ولنقل إن ترأى صورتنا » .
(٣) ب ، ت : « وكذلك ابن » . وابن صافى . (٤) ب : « الصابغ » . (٥) ت : « وصرف » .
(٦) ب : « بوفاة » . (٧) ب : « علما » . (٨) ب : « بغيت » .

٨ — أبو الحسن سهل بن مالك(*)

شئ عنه

لو لم تأت غرناطة إلا بهذا الجليل المقدار ، لكان حسبها فى العلم والجود والرياسة وجميع أنواع الافتخار . برع فى العلوم الحديثة والقديمة ، وبنى له ببلده أعظم أرومة ؛ واكتسب العزّ والمال، وبلغ[1] بين نظرائه مبلغ الكمال . وكانت له وفادات على الملوك . له فى الخطابة مشاهد مشهورة ، ومقامات مذكورة .

لابن عياش فيه

وكان أبو عبد الله بن عياش إذا جرى ذكره يقول : هو رجل الأندلس ، ما وفد على الحضرة مثله ، حتى إنه قال فيه : [مجزوء الرمل]

إنما سهل جناب — صعب المرقى إليه
يا له شخصاً كريما — أجمع الناس عليه
وله عندى وداد — مثل ما أدرى لديه

رده عليه

وبلغ ذلك أبا الحسن فكتب إليه شعراً ، منه : [طويل]

ألا قدّس الله المكانَ الذى ثوى — به ذو المعالى صاحبُ القلم الأعلى
وما كنتُ أهلاً للذى قد أنالنى — ولكنّ صدقَ الوُد صيّرنى أهلا

لأبى عمران فيه

وكان أبو عمران بن سعيد أكثر الناس ثناءعليه، وأشدّهم ميلا إليه ، وفيه يقول : [سريع]

يستسهل الناسُ وصفَ سهلٍ — وهو لعمرى علىّ صعْبُ
أقلُّ ما فيه كُل ما فى الـ — أنام والجسمُ منّىَ[2] قلب
فى كُل حالٍ أراه حتى — أرى الذى خاطرى يُحبّ

وله يمدح عبد الواحد المخلوع

وأخبرنى أبو عمران بن سعيد أنه مرض أيام ولاية عبد الواحد المخلوع[3] بغرناطة ، فكلف وزيره بعيادته ، فأُنسى ذلك ، ثم سأله عبد الواحد فاعتذر ، فركب إليه بنفسه . فمدحه[4] أبو الحسن بقصيدة ، منها : [طويل]

[22 A]

/نظرت بعينى ملء عينى[5] وبُغيتى — وقلتُ لنفسى دونَك الغيث فاستق
وقبّلت كفًّا دونها واكفُ الحيا — وقابلت بشراً دونه خطفةُ البرق

(*) التكملة (ت ٢٠٠٧) المغرب (٢ : ١٠٥) نفح الطيب (٥ : ١٣٦ و ١٥٤ ؛ ٩ : ٢٢٢، ٢٢٣)

(١) ب : «تبلغ» . (٢) ب : « منه » . (٣) ب : «المخلوى» .

(٤) ت : «فوجه» . (٥) ت : « وهمتى » مكان « وبغيتى » .

وأَلثمت خدِّى من مواطئ نَعله　　مواضَع آثار السعـادة والرِّزق[١]
وألزمتُ نفسى شكرها ما ترنَّمت　　على الأَيكة الغنَّـاء صادحة الوُرْق

ولمـا ثار محمد بن يوسف بن هُود بالأندلس ، صار العَقد والحل بغرناطة إليه ، والاعتماد فى أمور المملكة عليه ؛ إلا أنه كان منزه الخاطر عن ذلك ، لو لقى أَمةً وكعاء[٢] خاطبها بما حضره من غير تريُّث[٣] ولا استتار ، كثير التواضع والاختصار ؛ ولا يرُد نادرة لو أنها قاضية بحَتْفه ، جرياً على المعهود من خفة روحه وظَرفه .

من نوادره

كان يوماً عند والى غرناطة ، فدخل القائد أبو محمد بن سعيد ، المعروف بالبربطول ، وكان وجهه غير مقبول الصورة ، فدنا من حاجب البلد ليحدّثه ، وورد ظهره[٤] لأبى الحسن ، فقال : لك المعذرة . فقال أبو الحسن فى الحين : المعذرة للحافظ .

وقال أبو عمران بن سعيد : ركبتُ معه للقـاء ابن هود ، وإذا بعجوز تصيح باجتهاد وفرح : على السلامة ياوجه الجنة ! وما أشبه ذلك من كلام النساء عند الفرح بالقادم . فهز فرسه حتى دنا منها وقال لهـا : حشرك الله معه يا عجوز سَوء !

فاشتهرت عنه هذه القضية وأمثالها ، وشحذت له من أهل الحسد والعداوة نصالها ، فغرّ به ابن هود إلى مرسية ، فما زال هنالك إلى أن قضى ابن هود نَحبه ، وصارت غرناطة إلى ابن الأحمر فعاد إليهـا . ومرت له سنون فى جاه وبلوغ أمنية ، إلى أن جاءته فى عام أربعين المنية .

من شعره فى غلام

فمن مختار نظمه فى وداع صبىّ من أبناء أعيان الدولة كان يهواه :

[طويل]

ولمـا استقلَّت نعـــلُه فوق أدهمَا　　وجدتُ غُراب البين أشأم أسحمَا
وسار وعَينى والفــراقُ يحثُه　　تُعاين قلبى سائراً متقـــدِّما
وأوما إلى تَقبيـــلة ببنانه　　فلم أَدر هل أَوحى بها أو[٥] تحتّما

---

(١) هذا البيت ساقط من ت .
(٢) وكعاء : حمقاء .
(٣) ت : «ترتيب» .
(٤) ت : «وظهره» .
(٥) ت : « أم » .

وله فى صباه

وقوله فى زمان الصبا والخلاعة[١] :

[سريع]

كأنما إبريقنا عاشق ... كلّ عن الخطو فما أغفله[٢]
غازل من كأسى جبيناً له ... فكلّما قبّله أخجله

٥ [22 B]

وله وقد أراد سفرا فرده هول البحر

/ وقوله وقد رام جواز البحر إلى الجزيرة الخضراء من سبتة فمنعه هولُ البحر :

[كامل]

لما أنختُ بسبتةٍ قَتَبَ[٣] النّوى ... والقلبُ يرجو أن تُحوَّل حالُه
عاينتُ من بلد الجزيرة مِكْنساً[٤] ... والبحر يمنع أن يُصاد غزاله
كالشّكل فى المرآة تُبصره وقد ... قَرُبت مسافته وعَزَّ مَنالُه

١٠

من شعره

وقوله :

[سريع]

غنّى لنا حِرازُنا وانثنت ... نُزهتنا فاكتمل الحُسن
وأبرز[٥] الدهر لنا منهما ... حمامةً طارحها غُصن

وقوله :

[طويل]

ولما رأيتُ الصبحَ هبّ نسيمُه ... دعانىَ داعيه إلى البَين والشّتّ
فقلت أخاف الشمسَ تفضح سرّنا ... فقالت معاذ الله تفضحنى أُختى

١٥

وقوله :

[وافر]

وكنتَ وعدتَنى ياقلبُ أنّى ... متّى ما تُبت من ليلى تتوبُ
فها أنا تائبٌ عن ذِكر ليلى ... فما لك كُلما ذُكرت تَذُوب
فقال بلى وعدتُك[٦] غيرَ أنّى ... أتوب إليك من ذَنبى أتُوب

---

(١) هذه الكلمة «والخلاعة» ساقطة من ت .

(٢) ورد البيتان فى ت على غير هذا الضرب :

. . . . كل عن الخطو فما
. . . . فكلما قبله بسما

(٣) القتب : إكاف البعير . والرواية فى النفح (٥ : ١٥٥) : « لما حططت » .

(٤) المكنس : مسكن الظبي . (٥) ت : « وأبرق » . (٦) ت : «هددتك» .

وقوله(١) أيضا : [كامل]

وَعد الإله وأنجز المِقـدارُ ... فالكُلُّ عَبـدٌ والبَسيطة دارُ

قُل ما تَشاء كما تُريد فإنما ... يَجرى القضاءُ بكُل ما تَختار

أنت الذى شَرُف الزمان بذكره ... وتعطَّرت بحديثه الأَسمار

بك عاد فى شَخص السيادة رُوحه ... وٱسترجعتْك فراعها الإقصار(٢) ٥

ذو الفَضل يُدنيه إليك تواضع ... ويَذِل فى سَطَواتك الجبّار

من مَعشر عَظُموا عُلاً وتواضعوا ... عند اللِّقاء فأنجدوا وأَغاروا

وافيتُ مجلسَه المُقدس تُربه ... فوقفتُ حيث العالِم المُختار

ولحظتُ بهجتَه بَعين بَصيرتى ... إذ كَلّ عن إداركها الإبصار

ودنوتُ ألثُم تربه متبرِّكا ... فرأيتُ كيف تُفجَّر الأنهار ١٠

شعره فى رثاء ابن رشد

وقوله يرثى القاضى أبا الوليد بن رُشد(٣)، تغمّده الله برحمته(٤) : [طويل]

مَضى عَلَم العِلم الذى ببيانه ... تبيَّن خافيه وبان طريقُه

وما كان ظَنِّى قبل فقد جَلاله ... بأنَّ مُصابا مثلَ هـذا أُطيقه

ومَن شاهد الأحوالَ عند مماته ... تبيَّن أنَّ الموت نحن نَذُوقه

رُجوعا إلى الصبر الجميل لحقّه ... علينا قَضى ألا تُؤدَّى حقوقُه(٤) ١٥

أعزيكُمُ فى البُعد عنه فإننى ... أهنّيه قُربا من جوارٍ يَرُوقه

فما كان فينا منه إلا مكانه ... وفى العالَم العُلوى كان رَفيقه

من رسالة له إلى أبى عمران بن سعيد

وأما نثره فعنوانه هذه الرسالة التى جاوب بها أبا عمران بن سعيد إلى إشبيلية ، حين كتب له يُسلّيه عن نَكبته وغُربته :

٢٠ [23 A] /وأنا أستوهب لك أيها الشيخ الأخ الجليل عافيةً لا تعفو بألسن الحُسَّاد ، ولا تقفو موادها أعين السعاة البغاة الذين مالهم مقعد إلا بالمرصاد ؛ وأبقى كرم طباعك بوصول رسائلك

---

(١) ت : « وقال » .

(٢) لم يرد فى ت من هذا البيت إلا الكلمات الأولى « بك عاد فى شخص » .

(٣) هذا الدعاء ساقط من ت . (٤) هذا البيت والذى بعده ساقطان من ب .

التى طلعت على ليلى البهيم صباحا ، وأدارت علىّ من التسلّى والتعزى أقداحا ، خامر النفس خُمارها بجذبها[١] إلى مركز المسرة ، وأراحها الارتياح بها من تهالك الوسواس والفكرة :

[وافر]

وما يُجدى التفكُّر لو غفلنا ولكنْ ردَّنا قسراً[٢] إليه

٥ نفِرّ إلى التأسّى ثم يقوى الـ أسى رغماً فيحملنا عليه

ويعلم الله أيها العَلَم عِلما وفهما ، أنى لولا مخاطبتُك وامتثالك[٣] لمتُّ أسفا وغمّا . ولست — عافاك الله — بذى سجن ولا قُيود ، ولكن مُعاشرة من لا يُشاكل عَقبة كؤود ؛ ولعلها ذُنوب تمحَّص ، وسَبْك يصفّى به الإنسانُ ويُستخلص . وقد شكونا لو أن الشكاة[٤] تُسمع ، ودعونا لو أن الدعاء عند من لا يَقبله ينفع ؛ وتُبنا وإن كنا لا نعلم لنا ذَنبا ، وأُبنا وإن

١٠ لم نلف للإياب لاسهلا ولا رُحبا . وهل نافع عند صاحب الثريّا تَشكّى الكُميت[٥] ، أو سامع مَن اقتضاه طبعُه وَضْع المُجلّى موضع السُّكّيت[٦] :

[طويل]

سأصبر حتى يُسأم الصبرُ نفسُه ويَضجر مَن يُعزَى لظُلمىَ من ظُلْمْ

وتَفتح باباً[٧] أغلقتْه بجَورها يدٌ حملتْ تلك الأيادى على عِلْمْ

---

(١) ت : « خامرت ... بجذبتها » .

(٢) ت : « قصرا » .

(٣) امتثالك ، أى تمثلك . وفى ت : « وأمثالك » .

(٤) ت : « الشكاية » .

(٥) الثريا : هى بنت على بن عبد الله بن الحارث ، وصاحبها عمر بن أبى ربيعة الشاعر . ويشير إلى قول عمر من قصيدة له فى الثريا :

تشكى الكميت الجرى لما جهدته وبين لو يستطيع أن يتكلما

(٦) المجلى : السابق . والسكيت : بالتخفيف والتشديد : الذى يجىء فى آخر الحلبة آخر الخيل .

(٧) ب : « ويفتح باب » .

وأنت أيها المِصقع الخَطيب، والمُبدِع الأريب؛ كيف ٱستمطرتَ من خاطر أخيك جَهاما[١] ، وقدرت من براعة فكرك سيفا كَهاما[٢] . أستغفر الله لولا الارتياد من بحرك لما تعطل لى غَمام ، ولولا صَقل خِطابك وشَحذ كتابك لما مضى لى حُسام :

[وافر]

وجَهل بعد ذلك وَصْف فكرى   بقَطـــر أو يَراعِى بالحُســام ٥

ولكنّ الـكلامَ له فُضــول   ولايَخلو الحَـذور من الكلام

وعليك بعد ٱتصال الدعاء ، بطول البقاء فى الٱرتقاء ، أتمُّ السلام ؛ متواليا مع الليالى والأيام .

---

(١) الجهام : السحاب فرغ ماؤه .   (٢) الـكهام : الـكليل الذى لا يقطع .

٩ — أبو عبد الله بن الخيال(*)

شيء عنه [23 B]

من إستجّة من حُصون قرطبة، وهو لائق أن يكون من أجل المواضع فى علوّ المَرتبة/، شاهدت منه بإشبيلية أيام آستحواذ ابن الأحمر عليها، وهو يَكتب عنه رجلا قد كمل عقله، وتناهى نُبله ؛ وحسُنت مجالسته ، ولطُفت محاورته ؛ لايَنطق إلا بالإفادة ، ولا تُبصر منه إلا الخير عادة . وكنت أَعجب مما جعل الله من ذلك فيه ، مع جفاء موطنه وصَنعة أبيه ، ٥ ثم أَزيد تعجُّبا إذا نظرت إليه، فأعتبر لغلبة الشُّقرة والوُرقة(١) عليه ؛ وكان لايرى الشعر شعرا ما لم يكن فى معناه تخيّل ، وعلى رونق لفظه تحيُّل .

من شعره فى محنته

أنشدنى بقصر السلطان، والرمح مسدَّد والسيف عُريان : [خفيف]

أىّ عيشٍ يَطيبُ عند أَديب ... سائر بين حائر وسَليب

١٠ لاتَرى عينُه سوى مُقلة الرُّمـــح وحَدِّ المُهنّد المَخضـــوب

وإذا ما غدا ليطلب منى(٢) ... طِرسَه فيضُ دَمعه المَسكوب

مُنشداً(٣) عن يراعه : أتُرانى ... صرتُ للسيف تَرجمان الحروب

أين(٤) ما كان فى الصِّبا والتَّصابى ... مِن حَبيب وعاذل ورَقيب

وآنبطاح(٥) على بِطاح وزَهر ... فوق نَهرٍ ولَثْم ظَبى رَبيب

١٥ كُل هذا مَضى ووافى سواه ... أَرِح النَّفس ربها عن قَريب

وله فى فضل الله

ومما سار من نوادر شعره ، قولُه فى شخص يُسمَّى فضل الله :

[طويل]

مِن الناس من يُؤتَى بنَقْدٍ ومنهمُ ... بكَرْه ومنهم من يُنالك إذا آنتشا

ومنهـــم فتًى يُؤتى على كُل حالة ... وذلك فضلُ الله يُؤتيـــه من يشا

(*) ذكره المقرى فى النفح (٥ : ٩) باسم : أبى جعفر أحمد بن الخيال .

(١) الورقة : بياض فى سواد . (٢) ت : « ليطلب منى » .

(٣) ت : « مسندا » . (٤) ت : « ليس » .

(٥) ب : «وانطباع» .

رسالة له أيام استيلاء ابن الاحمر على إشبيلية

ووقفت على جملة رسائل ، لها إلى الاستحسان أعظمُ وسائل ، آخترت منها هذه الرسالة التى كتب بها أيام آستيلاء ابن الأحمر على اشبيلية :

وإلى[1] ذلكم عَرَّفكم الله صلاح بالكم ، ولازالت البُشْرى تتواتر عليكم ، والأَثَر تتسابق إليكم ، فإنا نخبركم عمّا منحنا الله من فَتح هذه الحضرة الإشبيلية أخباراً تقوم مقام العِيان ، وتغنيكم فى الآستطلاع عن سؤال فلان وفلان : لم تزل مُخاطبات الباجى المتنزى[2] بها تَرِد علينا متَّصلة ، ورغباتُه لاتُغبّنا مُفسَّرة ومجملة ؛ حتى طال ذلك ، وكاد يغلب على ماهنالك . فأقبلنا إليه فى جمع فرّق عنه أعداءه ، وحقق فيما عندنا رجاءه ؛ وكان صاحب ثارة قد قذف الرعبُ جيشَه فى بواديه ، وأخذ أسطوله يخنق واديه ؛ فما هو إلا أن خفقت أعلامُنا/ على أُفقه ، وبُثّت خيلنا فى شتّى طُرقه ؛ فبدّل بالخوف أَمنا ، وصار يملأ بالنوم جَفنا . ثم إنه لم يقنع بذلك المقدار ، ورغب أن يأخذ منا ماحف بمدينته من تلك الأقطار ؛ فأعدنا له الامتنان ، ولم نثن عن غاية غَرضه العِنان ؛ فبينا نحن فى هذه المحاولة ، إذ خرج إلينا مِن وجوه بلده مَن طاولنا فى نزعه مما لاتقوم به أية مطاولة ، وقالوا : من أين لرب القلم ، النهوض بالسيف والعلَم ، وكيف لصاحب المحبرة والكتّاب ، محاربة الكتائب وضرب الرقاب ؛ وكان لدينا من أهل المشورة والرأى من حرّضنا على الإصغاء لكلامهم ، ومداواة ماشكوه من آلامهم ؛ فعطفنا عليه عاطفة المأمون على الأمين ، وتلقينا راية المجد التى لم يُخلق لها باليمين[3] ؛ وتهافتت الخاصة والعامة بشِجار أرجونة[4] العالية ، وفتحوا لنا باب جوهر فلم نصل لقصوره إلا وهى خالية ؛ وبتنا تلك الليلة نناغى هذه الحصان التى لاتُسلم مُحصنا[5] ولاتخون ، وأصبحنا يقرأ علينا صداقها ببيعة أهلها وبيعة ماحولها من المعاقل والحصون ؛ وكان قصدنا إبقاء ذلك المخلوع ، فليس لنا قبله

[24 A]

٥

١٠

١٥

(١) ت : «وإن» .

(٢) المتنزى بها ، أى الثائر بها . والأصل فى «التنزى» : الإسراع الى الشر .

(٣) انظر الحاشية (رقم ٧ ص د) من هذا الجزء .

(٤) أرجونة : قلعة بالأندلس .

(٥) ت : «مجنا» .

ثأر ولاهو ممن يُخاف منه غائلة الرجوع . فأبى أهل بلده ، إلا مفارقة روحه لجسده ، وقالوا : وأى امرئ سمى بها نفسه ، ففارقها حتى يُفارق رمسه ؛ وكيف يترك من خفقت على رأسه البنود ، وصَرخت بالسلام عليه الجنود ؛ هذا مع ما قبله من ثأر ابن مقنع وابن عيسى حين طاف برءوسهما ، وهتك جلده[1] جميع مستورهما ؛ ولم يَرْع اغترابهما وجواره ، حتى حكّم فيهما على رغم الوفاء شِفاره . ولما أكثروا من الاحتجاج على أن الراحة منه عين الصواب ، وَكلناه إلى رأيهم وعند الله الثواب والعقاب . فلتأخذوا بحَظّكم من هذه البشرى ، فإنها مُؤذنة ألاّ تزال تَترى . والله تعالى لايخيكم عن ملابس التوفيق ، ولايعدل بكم فى جميع أموركم عن سواءِ الطريق . وسلامهُ الأتمّ يعتمد من نظر فانتفع بنظره ، وفكّر فأبدت[2] عليه عواقب فكره .

---

(١) ت : «فى بلده» .

(٢) ت : «فأجرت» .

١٠ — أبو بكر محمد بن أحمد الصابونى (*)

[24 B] شئ عنه

شاعر إشبيلية، الذى لم تكن الإشارة بها فى هذا الشأن إلا إليه، ولا الإحالة / فى غيرها من البلدان — متى جرى ذكر شعراء الأندلس فى عصره — إلا عليه .

كان والده من الشُّهود مشهورا بالثقة والعـدالة، إلا أنه قد رُزق من الإعجاب بنفسه ما صَغّر فى عينه أكفاءه وأمثاله؛ فنشأ ولده أبو بكر على ذلك الأسلوب، مع عقل طائش لايحصل منه على مطلوب؛ فكان قلّما يدوم أحدٌ على صحبته، ولا يرغب مُعاشر فى استئناف عشرته؛ لايزال يَكْلِم من كلمه، ويَظلم بلسانه من لم يظلمه أو ظَلمه؛ له فى ذلك حكايات لاتُحصى، وكان مراده أن يقول فيُسمع أو يأمر فلا يُعصى . وكان أبو العلاء بإشبيلية قد خَص شعره بالتنبيه متى ما أَنشـدته الشعراء، وأحلّه من إحسانه بالمكان النبيه فتقصّر عنه الأكفاء والنظراء؛ واشتهرت له فى أيامه أمداح، حصل لها من الرؤساء والأدباء إقبالٌ وارتياح .

دو وا مير تونس

ثم إنه لما أشرقت الأنوار الأميرية القُدسية من مَطلع حضرة تونس، وصار لها من أقطار البلاد ومَسامع العباد كُل ذكر مُونس، أرسل مع أحد الطابة قصيدةً منها :

[طويل]

ويُؤنسنى ذكراى تُونسَ دائماً || على بُعدمَهوى أرض تُونس من حِمْص

بُخووب عليها بالإحسان، فقاسى فى الرحيل شدائد إلى أن حل محل الأمن والأمان؛ فلقى مولانا الأمير المقدس على مليانة (١)، وجنى بأطنابه جنى لسانه (٢)، فيقال — إنه قدس الله روحه — عرفه فاستدعى حتى لَثم بنانه .

وأنشد قصيدة مطلعها :

[بسيط]

الله بارك فى حِلٍّ ومُرتحل || يامُعليًا ملةَ الإسلام فى (٣) المِلَـل

فسرتُ والسعدُ يدعونى ويُرشدنى || إنّ السعادة فى مليـانةٍ بَخُل

فأنعم عليه بخمسمائة دينار، تصرَّف فيها بأنواع التهتك والاستهتار .

(*) نفح الطيب (٥ : ٩٣، ٩ : ٢٢٣) . المغرب (١ : ٢٣) . الرايات (ص : ٢) الوافى للصفدى طبعة استانبول (٢ : ٩) . الفوات لابن شاكر (٢ : ٢٠٩) .

(١) مليانة : مدينة فى آخر إفريقية، بينها وبين تنيس أربعة أيام .

(٢) ب : «وخف بأطناب خبا السانة» . (٣) ب : «فى الحمل» مكان «فى الملل» .

موته

ثم إنه طلب الإذن فى الرحيل إلى بلاد المَشرق ، وفارق صَوْب ذلك العارض المُغدق ؛ فأقام بالإسكندرية والقاهرة ، فى حال تُنبىء أن يعود بها فى الحافرة[1] . ومدح فى بعض الأحيان كثيرا من جلساء سلطانها[2] فأمر له بخمسين درهما عددا ، فيقال إنه مات على إثر هذا كمدا .

٥ وكان موته فى سنة واحدة مع موت صاحبه ابن عُتبة ، وهى سنة ست وثلاثين وستمائة .

بينه و بين ابن عتبة

ولما قال فيه ابن عتبة — عفا الله عنهما — :

[سريع]

[25 A] / يا عَيْر حِمص عَيّرتك الخَـيْرْ ... بأكلك البُرّ مكانَ الشَّعيرْ

١٠ قال ابن الصابونى : بارد ! إنما كان يُعيرنى لو كانت تأكل القمح ، وعدلت أنا إلى أكل الشعير ، إنما أكلت أغلى مما تأكله .

هو فى مجلس الباجى

وأذكر له مقامات مَذكورة ، ومَشاهد مشهورة : رأيتُه يوما بمجلس الباجى المتنزِّى بإشبيليه ، وقد أُحضر هنالك عُنوان من سكة الذهب والفضة التى كُتب عليها آسمه ، وأثبت فيها رسمه ، وأنشد قصيدة أولها :

١٥ [سريع]

قد نَفَـر الدينارُ والدِّرهم ... بما على ذين لكم مِيسمُ

كلاهما يُفصح عن شكركم ... وكُل جزء منه فَرْدٍ فَم

ثم قال بعد ذلك :

كأنها الأنجمُ والبُعد قد ... حقّق لى[3] أنها الأنجمُ

٢٠ فضحك الباجى ، وأشار إلى وزيره ابن صاحب الرّد[4] ، أن يُقرِّبها منه حتى يبطل تحقيقه ، ويَنتهج إلى الإحسان طريقه ؛ فأعطاه منها غرفة صالحة بيده ، أقامت فى ذلك الوقت ما اختل من أوده .

---

(١) الحافرة : الحالة الأولى .

(٢) ت : « سلطانه » .

(٣) ت : « حقق عندى » .

(٤) ستأتى ترجمته (ص ١٠٦) .

ثم رأيته مرة وقد خرج الباجى إلى فريق من النصارى ضربوا على جهة من جهاته ففاتوه قبل أن يكون اقتراب ، فعاد وقد حمد الله على السلامة ورضى من الغنيمة بالإياب . فقام ابن الصابونى مُنشدا قصيدة أولُها :

[كامل]

عظُم آمتنانكمُ على الإيمان ... وعدا عديدُكمُ على الصُّلبانِ

٥

فشكرله ذلك الممدوح حتى ظهرذلك فى محيّاه الغضبان، وتلا : (يَمُنّون عليك أن أَسْلموا . قل لا تَمُنّوا علىّ إسلامكم بل الله يَمُن عليكم أنْ هداكم للإيمان إن كنتم صادقين)[1] .

فعهدى به بعد ذلك يطلب السراح من الوزير ابن صاحب الرد وينشده ، ويَستعطفه بالمودات القديمة ويسترشِده :

هو وابن صاحب الرد

١٠

[كامل]

أتُراك ترضى أن أعيش مُنغَّصاً ... إن لم تَنل أملاً فهب لى مَخْلَصا

ما زال حُسّادى بسِتْر جَنابكم ... حتى سَعوْا فى رَفْعه[2] فتقلّصا

نظروا إلى وَجه الجميل يَروق لى ... فسعَوْا إلى أن صار نَحوى أبرصا

فأنشده الوزير مُتمثّلا ، وضَمن له النجاح متكفلا :

١٥

[كامل]

وسَعى إلىّ بهجر عزةَ معشرٌ ... جعل الإله خُدودهنّ نِعالها

ومما أَنشدنيه من شعره ، فرأيتُه أهلاً للتنويه بذكره ، قولُه من قصيدة :

من شعره

[كامل]

ألأَن سَرى لك بارقٌ لايَهدأ ... لم تَألُ وجدًا إذ بدا يتلالأ

أقنَا[3] دُموعَك صِبغُه من طُول ما ... راعيتَه بل سَكْب دَمْعك أقنأ

٢٠

[25 B]

/ أتراه قد أَبدى يدًا مَخضوبةً ... جَعلت لأرضك بالتَّحية تُومأ

بَدر الظَّلام ومِسكة داريّة ... من تلك أضوع ماخبرتَ وأَضوأ

وتَمُر تخطو والشباب يهزّها ... فيروم يحكيها القَضيبُ فيخطأ

لما غدت فِرَقاً بأندلسَ العَصا ... فبكَفّ كُل منافق متوكّأ

(١) الحجرات ١٧ .
(٢) ت : «فتخلصا» مكان «فتقلصا» .
(٣) قنأ الشيء بالهمز والتسهيل : أحمر وحاء المسموح فيه « قنأه » هو بالتضعيف .

جَمّعتها(١) وتفرّقت أشياعُهم   نُعماك لا تُنسى وعُمرك يُنسا

وقوله فى مطلع قصيدة أخذ فيها فى مآخذ الفُحول ، ولم يترك لقائل ما يقول :

[الطويل]

لمن عاصبات فوق نجدٍ تُوقد   تَقوم بها أيدى الرياح وتقعدُ

وقوله الذى آشتهر اشتهار الصباح ، وأخذ بمجارى الأنفاس والأرواح :

[كامل]

آستولِ سبّاقاً على غاياتها   نُجُح الأمور [يبين فى بدآتها](٢)

وقوله الذى لم يُسبق إليه ، ولا آقتدر غيره من شُعَراء عصره عليه : [طويل]

بعثتُ بمرآةٍ إليك بديعةٍ   فأَطْلِع بسامى أُفقها قمر السَّعْدِ

لتنظُر فيها حُسن وجهك مُنصفاً   وتَعذُرنى فيما أُكِنُّ من الوجد

مثالُك فيها منك أقربُ مَلْمسا   وأكثر إحساناً وأقربُ للعهد

وقوله الذى كان يلهج بإنشاده ، ويعجب بإيراده : [منسرح]

أَقبلَ فى حُلَّة مُورَّدة   كالبدر فى حُلة من الشَّفَقِ

تَحسبه كلما أراق دَماً   يَمسح فى ثوبه ظُبَى الحَدق

وقال أيضا : [مجزوء الرمل]

ليس لى من صَفح حاجرْ   ماسوى سَفْح(٣) المحاجرْ

قد أحالت منه أعصا   ر وعفَّته أعاصر

عامرٌ بالوحش بعد الـ   أُنس من غِزلان عامر

أشْدُو بالإعلام صباً   جَفنه بالماء مائر

قلبُه بالوجد ذاكٍ   إن شدا بالعَهد ذاكر

أنا بالحَوباء(٤) ساخٍ   فى هَواه وهو ساحر

أين ساهٍ فى كَراه   من مُديم البَثّ ساهر

شَفّ جسمى منه ظَبْى   فاترُ الألحاظ فاتر

فضح الغِزلان(٥) عاطٍ   منه والبستان عاطر

ليس يَبلى فيه حُبّى   فيه إذ تُبلَى السرائر

(١) أشير فى هامش ب إلى رواية أخرى ، وهى : « نظمتها » .
(٢) التكملة من ت .   (٣) حاجر : منزل فى طريق مكة . والمحاجر : العيون .
(٤) الحوباء : النفس .
(٥) العاطى : الظبى يتطاول إلى الشجر ليتناول منه .

١١ — إبراهيم بن سهل الإسرائيلى (*)

شىء عنه

لم يشتهر بإشبلية شاعر بعد ابن الصابونى اشتهاره، ولا حاز انطباعه فى الشعر واقتداره؛ وعهدى بابن سَهل فى بلده كالبدر فى هالته ، لا يُوازيه أحدٌ من أهل عصره فى مُكنته فى هذه الصفة (١) وجلالته. هذا وما بلغ عُمره العشرين، وخِلقته تقتحمها عُيون المحبين والمُبغضين ؛ إذ [صيغ] (٢) فى صورة ابن الصائغ ، وعِيف كما يُعاف سُؤر الكلب الوالغ . [26 A] ٥

قرأت معه على الأستاذ أبى الحسن الدبّاج زمانا، وبادرنا لأنواع اللذات مَيدانا فميدانا؛ وكان مهوى هوانا ، ومجمعَ لذاتنا ومُنانا، بمرج الفضة والعروس ، والسلطانية وشنتبوس ؛ لا نكاد نخلو من التفرج فى تلك الأدواح والقُصور ، وظلُّ الشباب ممدود وهوى النفس هنا لك مقصور ؛ ومعنا من الوُجوه الفتانة ما يُعين القرائح ، ويأتى من المحاسن والبدائع بكل غادٍ ورائح ؛ وعارضُ ذلك البلد الزاهى لم تَشُبه الشوائب، ولا قضمته أنياب (٤) النوائب ؛ ١٠
والعيش غضٌّ والزمان غلام ، والدنيا تحيّة وسلام : [طويل]

ولا لحظ إلا رائعٌ فى خميلة ... ونهرٍ وخدٍّ بالحياء مورَّدِ
ولا سمع إلا سامعٌ ما يريده ... حديث حبيبٍ أو أغاريد مُنشد

دعوته يوماً إلى مرج الفضة بهذه الأبيات ، فكان منه أطوع مُجاوب وآت :

١٥
بين ابن سعيد وبينه وقد دعاه الى مرج الفضة

[طويل]

هَلُمّ (٥) أبا إسحاق نحو نزاهة ... كمثل التى عُوِّدت بالدَّوح والنَّهرْ
ونُبدى لزَهر الرَّوض والورد وَجنةً ... وَثغر فمٍ أندَى من الورد والزَّهر
وإن تجتمِعْنا فى التَّصابى جهالةً ... فعصر الشباب الغضِّ يُغنى عن العُذرِ

وجوابُه الذى تقدمت عليه الإحالة، وهيهات أن يَبتدع مجاوبٌ مثاله : [طويل]

٢٠
أبا حسنٍ لا حسَّن الله حالَة ... تُحوِّج أربابَ الشباب إلى العُذرِ
ولا مَن يُنادى نحو نَهرٍ ودَوحة ... ووجهِ أخى حُسن يقابَل بالبدر

(*) المغرب (١ : ٢٦٤) رايات المبرزين (ص ٢٢) نفح الطيب (٥ : ٦٧) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (١ : ٣٣) مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (١١ : ٤٧٣) الشذرات لابن العماد (٥ : ٢٤٥) . وانظر ديوانه بتحقيق الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل .

(١) ت : « الصناعة » . (٢) تكملة من ت .

(٤) ب : « غصته » . (٥) ب : « تعلم » .

فلا تترك الأشــغال طُرّا وترتق — إلى أُفق اللذات جَهــراً بلا سِرّ
أعِد دعوة اللُّقيا على مِسْمَعى الذى — يَلَذّ بمـا أَودعتَــه دائمَ الدَّهر
ولا تَنْسَ ذِكر الكأس فهو كمالُها — وحسِّن لها الإغفالَ من حلبة الذِّكر[1]
بهـا حَليت حالى ومالىَ عيشة — ســواها وإلاّ فالسلامُ على العُمر
٥ فوالله ما فى الأرض مجلسُ راحة — بغير حُلى الراح التى سكبت[2] صَبرى
ســآلفها إلفَ العَتيق كِتابه — ولا أَشتهى وِرداً سواها لدى الحَشر

ولمـا وصل أظهرتُ استحسان خطابه ، مع سُرعة جوابه ؛ ثم أنكرتُ عليه منزع بيته الأخير ، ولدغتُه من المَلام بيسير ، فقال : أليس فى الجنة نهر الخمر ؟ قلت : بلى . قال : فذلك حَسبي لا أَبتغى به بدلا ، ولا أريد لبناً ولا عَسلا . فقلت . بحُرمة ما بيننا
١٠ إلا ما أزلت عنّى شك الناس فيكم ، وصدقتنى هل أنتم على دين أسلافكم / أو دين المسلمين؟
[26 B] فقال : للناس ما ظهر ، ولله ما آستتر ؛ وبعد فهذا خلاف ما نحن فيه ، فأضربتُ عن مناقشته ولم أقف له على ما أُثبته أو أنفيه :

[طويل]

وإنّى لأرجو أن تكون وفاتُه — على ملّة الإسلام كيما يَسْلَمـا
وألقـاه فى جنّات عَدْن مُخلّدًا — فليس بأهلٍ أنـ يَحُــلّ جهنّما

١٥ وخرجت معه مرة إلى السُّلطانية فتنازعنا معارضة ابن عمار التى لا يعارضها إلا من جَمَح به نزق الشباب ، ولم يكن له الانتقاد فى حساب ؛ فقال ما سَبق به من تقدَّم ، ولم يَدع بعده من مُتردّم[3] :

وله فى معارضة بن عمار

[كامل]

الأرضُ قد لبستْ رداءً أخضرًا — والطَّل ينثُر فى رُباها جوهرَا
فاحتْ[4] فخلْتُ الزّهر كافوراً بها — وحسبتُ فيها التُّرب مسكاً أَذفرَا
٢٠ وكأنّ سَوسَنها يُصافِح وردَها — ثغرٌ يُقبِّل منــه خدًّا أحمرا

(١) ب : « ويأتى لها الاغفال من قلة الذكر » . (٢) ت : « جلبت » .
(٣) المتردم : الثوب المرقع . يشير الى بيت عنترة .
هــل غادر الشعراء مــن مــتردم — أم هــل عرفت الدار بعــد توهم
أى مصطلح .
(٤) فى ديوان طبع مطبعة الترقى : « هاجت » .

والنهرُ ما بين الرياض تخاله   سيفاً تعلّق من[1] نجاد أخضرا
وجرت بصفحته الصَّبا فحسبتُها   كفًّا تُنمّق فى الصحيفة أسطُرا
وكأنه إذ لاح ناصعُ فضّة   جلّته كفُّ الشمس تبراً أصفرا
أو كالخدود بدت لنا مُبيضّة   فارتد بالخجل البياضُ مُعصفرا
والطيرُ قد قامت عليه خطيبةً   لم تتّخذ إلا الأراكة منبرا   ٥

وله فى العروس

وتنزّهنا مدة بالعروس ، فنلنا جُملة من أمانى النفوس ؛ وذلك فى يوم صيفىّ مشرقٍ[2] من زمان الشتاء ، خفق فيه لواء البرق وجالت خيول السحاب فى بساط الماء ؛ فقال أبو إسحاق ، وهو لكل غاية سبّاق :

[كامل]

حُثَّ الكُؤوس ولا تُطِع مَن لامَا   فالمُزن[3] قد سَقَت الرِّياض رِهامَا[4]   ١٠
رَقَّ الغمامُ لما بها إذ أمحلت   فغدا[5] يُريق لها الدُّموع سِجاما
والبرقُ سَيفٌ والسحاب كتائب   تُبدى لوقع غِراره[6] إحجاما
والدوحُ ميّال الغُصون كأنما   شَرِب النباتُ من الغَمام مُداما
والزَّهرُ يرنُو عن نواظرَ سدّدت   لحظاتهن إلى الشُّجون سِهاما
هُن الكواكب غيرَ أن لم تستطع   شمسُ النهار لضوئها إبهاما   ١٥
تُثنى على كرم الولىّ بنفحة   عن مِسك دارين[7] تفُضّ خِتاما
فكأنما غَضّ الحياءُ جُفونها   إذ لا تقوم بشُكرها الإنعاما
خِيريُّها يُخفى شَميم نسيمه   لنهاره ويُبيحه الإظلاما
/فكأنما ظَنّ الدُّجنّة نفحةً   فبدا يُعارض عَرْفها البسّاما   [7A]

---

(١) فى الديوان : « فى » .

(٢) ت : « مسروق » .

(٣) ب : « فالأرض » . وفى ت : « ساق فقد » . وما أثبتنا من الديوان .

(٤) الرهام : المطر الخفيف ؛ جمع : رهمة .   (٥) ب : « فبدا» .

(٦) الغرار : حد السيف .   (٧) دارين : موضع بالبحرين .

أو كالكَعاب تبرّجت لخليلها ... فى اللّيل وآرتقبت له الإلماما

فإذا رأت وجهَ الصباح تستّرت ... خوفاً وصيّرتِ الجُفون(١) كِماما

تُهدى الصَّبا منها أريجاً مثل ما ... يُهدى الحبيبُ إلى الحبيب سلاما

فكأنها نَفَس الحبيب تضوُّعاً ... وكأنها نَفْس المحُب سَقاما

٥ ثم ركبنا فى نهر إشبيلية فأقمنا نزهة بالعروس ، حيث مدار الأنس و إدارة الكُؤوس . فقال آبن سهل ، وله المعنى الصعب واللفظ السَّهْل :

[كامل]

غيرى يَميــلُ إلى كلام اللاّحِى ... ويُمــدّ راحتَه لغـير الرّاح

لا سيّما والغصنُ يزهو زَهْرُه ... ويَهزّ عِطْفَ الشارب المُرتاح

١٠ وقد آستطار القلبَ ساجعُ أيكة ... من كُل ما أشكوه ليس بصَاح

قد بان عنــه قرينُه عجباً له ... من جانحٍ للهَجر(٢) خَوْف(٣) جُناح

بين الرِّياض وقد غدا فى مَأتم ... وتخـاله قد ظَـلّ فى أَفراح

الغُصنُ يَمرح تحته والنهر فى ... قَصْف تدرّجه(٤) يدُ الأرواح

وكأنما الانشام(٥) فوق جَنــابه ... أعلامُ خَزٍّ فوق سُمْــر رِماح

١٥ لا غَرو أن قامت عليه أسطُراً ... لمـا رأته مُدرَّعاً لكِفاح

فإذا تتـابع موجُه لدفاعها ... مالت عليه فظل خِلْف صِيـاح

فلأىّ وقتٍ تَدفع الأكواس قد ... آنَ آطّراح نَصيحة النُّصّاح

وعلى العروس من الغُصون عرائس ... قد وُشِّحت مِن زَهرها بوشاح

---

(١) ب : « الحذوق » .
(٢) ب : « العروس » .
(٣) ت : « للهجر » .
( ) ب : « خلفها » .
(٤) تدرجه : أى تلفه ، أو تترك على صفحته آثارا منمنمة .
(٥) الانشام : من أشجار الجبال ، تتخذ منها القسى .
(٦) ت والنفح (٣ : ٧٣) : « جنانه » مكان جنابه .
(٧) ت : « ترفع » .

ثم صعدنا إلى فَم الخليج ، فمرّ لنا به يوم بَهيج ، وانتقلنا إلى مَرج الفضة ، فقال ما فكّ به خِتام الإحسان وفَضَّه : — وله فى مرج الفضة

[كامل]

لله نهرٌ ما رأيتُ جمالَه — إلا ذكرتُ لديه نهرَ الكوثرِ

والشمسُ قد ألقت عليه رداءَها — فتراه يرفُل فى قميص أصفر — ٥

والطيرُ قد غنّت لشطح[1] رواقص — فوق الغدير جَرَرْن ثوبَ تبختُرُ

وكأنما أيدى الربيع عشيّةً — حَلَّين لبّات الغُصون بجوهر

وكأنّ خُضْر ثماره وبَياضه — ثغر تبسّم تحت خَدّ مُعذَّر

ثم خرجنا إلى ضفّة نهر إشبيليه ، فقال عندما مالت الشمس للغُروب ، وقد بدا لضوئها البحر فى حَشا النهر كالسَّيف المخضوب : — وله فى نهر اشبيلية — ١٠

[كامل]

/ نهرٌ كأنّ الشمسَ تملأ قلبَه — فيُجنّ داءً للغَرام دَخيلا — [27 B]

الرِّيح تُبدى الثوبَ منه[2] مُعكّرا — والشمسُ تُلقى صارماً مصقولا

وكأنه ذو لَجعة لِفراقها — قد ضَمَّ من خَوف الوداع غَليلا

وكان أسرع الناس ارتجالا ، وأوسعهم فيما يدوم من الكلام مَجالا . — ١٥

حضرت معه يوماً مجلس الأستاذ أبى على الشَّلوبينى ، فدخل فتى أصفر اللون قد كان الشعراء إشبيلية به غرام ، فنسخت آيةُ نهاره فى صورته[3] سورة الظلام ؛ فقال دون افتكار ، وأتى فى ذلك بما فيه اعتبار : — وله فى غلام

[سريع]

كأنّ مُحيّاك له بهجةٌ — حتى إذا جاءك ما حِى الجَمالْ — ٢٠

أصبحتَ كالشمعة لما بَغى — فيها الضياءُ اسودّ منها الذُّبال

---

(١) ب : « السطح » . (٢) ت : « مفركا » مكان « معكرا » . (٣) ت : « بصورة » .

وله فى موسى اليهودى

وكُنت مُسايرا له فى بعض الأيام ، وإذا بموسى اليهودى الذى اشتهر بحُبه قد أقبل من الحمّام ، فكلّمه داعيا ، فمر دون أن يلتفت لاهيا ، فقال من ساعته ، وأنا متعجب من براعته :

[سريع]

٥ كم قلتُ للمحبوب بِت سالماً ... فقال لى من نَخوة أنت بِتْ

فَظلْتُ أسعى خلفه لاثماً ... آثاره ذُلّاً فلم يلتفت

فكُل مَن لام على حُبه ... لمّا رأى صَبرى عليه بُهِت

وله فيه موشّحاتٌ(١) ، ومقطّعات مشتهرات . فما أنشدنى منها فحفظته ، قوله الذى طالما أنشدته بالأقطار وردّدته :

١٠ [طويل]

أموسى لقد أَوردتنى شرَّ مَورد ... وما أنا فرعونُ الكَفورُ(٢) الشرائعِ

سحرْتَ فؤادى حين أرسلت حَيّة الـ ... ـعِذار وقد أَغرقتنى فى مَدامعى

وما كنتُ أخشى أن تكون منيّتى ... بكَفّك والأيامُ ذاتُ بَدائع

ووالله ما يلتذّ سَمعى وناظرى ... بغيرك إنساناً وما ذاك نافعى

١٥ جعلتَ علىّ الصبرَ ضربةَ لازبٍ ... وحَرَّمت أنْ آتى إليك بشافع

وما أَسَفِى أنّى أموتُ وإنما ... حِذارىَ أن تُرمى بلُؤم الطبائِع

وله إلى صديق

وكتب لصديق له بالجزيرة الخضراء بهذه الرسالة ، مُظهرا أن البعد أَقلَّ صبره واحتماله

[طويل]

إليكم يحنُّ القلبُ فى كُل ساعة ... ونَحو مغانيكم تلفُّت ناظرِى

٢٠ وما عرضتْ لى خطرةٌ مذ بَعُدتمُ ... فلم يكُ إلاّ نحوكم عَفْوُ خاطرى

[28 A] /وإنّى لخفّاق الفؤاد كما بدا ... نَسيمكُم من نحو سَلْع(٣) وحاجر

---

(١) كذا فى الأصلين . وما أورده شعر لا توشيح .

(٢) الديوان : « كفور الصنائع » .

(٣) سلع : موضع . وقيل : جبل قرب المدينة . وحاجر : منزل من منازل الحاج فى البادية .

وللّه ما يُبديه جِدُّ حديثكم … بقلبِيَ من سِرّ الهوى فى مَحاجرى
ألا يا سَقَ اللهُ الجزيرةَ إنها … لأهلٌ لأن تُسقى بدرّ المَواطر
ولِمْ لا وقد حازتْ من الفَضل جُملة … يُقصِّر عن أوصافها كُلُّ شاعر

نداء ماله جواب إلا التنفُّس الصُّعداء من المُنادى، والكَتم بها من شماتة الأعادى فى محفل النادى ؛ فقد فقدت والله بعدك بهجة الأُنس التى كنت بين هذه المنازه[1] أعتادها، وحالت فى عينى أحوال الأيام حتى ودعت منها جُمعها وأعيادها. أين تلك المجالس المُونقة[2] الأرجاء، المملوءة من المحاسن بكُل ما هو أحسن من بلوغ الأمل والرجاء :

[طويل]

لطائفُ آدابٍ فُكاهة مَجلس … موائدُ أمثال نوادرُ أشعارِ
سرائرُ آياتٍ حُبِيت بفضلها … تُبين لما خُصَّت به قُدرة البارى

قسماً بأيامنا المُطرَّزة بَرْقم أيدى الشباب ، ولياليها التى أُفرغت فى قوالب الأيام بمُواصلة النَّعيم المُستطاب، لقد وَجدتُ لفراقك وجد الشيخ بتذكر أيام صباه ، ورُميت منه بداهية حلّ لها كُلُّ صبر حُباه :

[بسيط]

وكيف أصبرُ عنكم بعد مَعرفتى … أنْ ليس لى عِوضٌ منكم ولا بَدَلُ
إذا نَشطتُ لشَخص فى مُعاشرة … جَرَّبته فَثَنى عن وُدِّه كَسَل

قصيدته الحجازية

وله قصيدة حجازية ، وقد أمره أبو على بن خلاص الثائر بسبتة بذلك :

[طويل]

وَركْبٍ دعتهم نحو يثربَ نيةٌ … فما وجدتْ إلّا مُطيعاً وسامعا
يُسابق وَخدَ العيس ماءُ شُئونهم … فَيفْنون بالشَّوق المدَى والمَدامعا
إذا عَطفوا أو رجّعوا الذِّكْر[3] خلتَهم … غُصونا لِدانًا أو حَماماً سواجعا
تُضئ من التَّقوى حنايا صُدورهم … وقد لَبسوا الليلَ البَهيم مَدارعا
تكاد مُناجاة النَّبى محمَّد … تَنِمُّ بهم مسكًا على الشم ذائعا

(١) ت : « المنازهة » . (٢) ب : « الموافقة » .
(٣) سفينة الأدب : « انعطفوا » . وفى ت : « انقطعوا » .

قلوبٌ عَرفْنَ الحق فهى قد ٱنطوت　　عليها جُنوبٌ ما عَرفْنَ المَضاجعا

تَخاص أقوامٌ وأسلمنى[1] الهوى　　إلى عِلَلٍ سَدَّت علَّى المَطالعا

خُذوا القلبَ يا ركْبَ الحجاز فإنه　　ثَوى الجسمُ فى أَسْر البَطالة[2] كانعا

مع الجمَرات ٱرموا فُؤادى فإنّه　　حصاةٌ تَلقّت من يد الشوق صادعا

٥ وخُطُّوا رجائى فى رجا[3] زمزم الصفا　　وخلُّوا المُنَى تَجمع غَليلا وناقعا

وله يمدح صاحب شريش

وقال يمدح أبا عمرو بن خالد ، صاحب شَريش :

[خفيف]

[28 b]

هاتِها كالنَهار لاحَ النهـارُ　　وبكتْ مَصرعَ الدُّجى الأطيارُ

وكأنّ الرّياضَ تُجْلَى عَروساً　　وعليها من النّبات نِثار

١٠ والطِّلا والحَباب والروضة الغنّـــاء خَدٌّ ومَبْسم وعِذار

أكؤساً ما أَرى بأيدى سُقاة　　أم نُجوماً تسعَى بها أقمار

وكأنّ الإبريقَ خدُّ غَزال　　دمُ ذاك الغزالِ فيه العُقار

قَهوةٌ إن جَرى النسيمُ عليها　　كاد يَعلوه مِن سَناها ٱحمرار

نال منك[5] الصِّبا ولا بُدَّ سُكر　　فلهـذا يُعزى[5] إلينا[6] العِثار

١٥ حَثّها من كُؤوسه رانيـات　　عن فُتور فى لحظه خمّـار

فتنةٌ فى العيون تُدْعى بغَنْج　　حَيرة للنُّهى وقيـل ٱحورار

وله فى ابن الجد

وقال فى أبى عمر[7] بن الجد :

[بسيط]

أضحى أبو عُمَر بن الجَدّ مُنفرداً　　فى الناس كالغُرة البَيضاء فى الدُّهُمِ

مُحبَّباً كالصِّبا فى نَفس ذى هَرِم　　مُعظَّماً كالغِنى فى عَين ذى عَدم

٢٠ أَغرُّ ينظُر طرفُ الفَضل عن حَور　　منه ويَشمخ أنفُ المجد عن شَمم

لو أنّ للبدر إشراقاً كغُرّته　　كان الكُسوف عليه غيرَ مُتَّهَم

---

(١) ت : « وأخلصنى » .　(٢) ت : « فى إثر » .　(٣) الرجا : الناحية .

(٤) ت : « الرضا » مكان « الصفا » .　(٥) الديوان : « منها . . . إليها » .

(٦) بت : « تعنى العشار » .　(٧) ب : « . . . عمر » .

مُوكّل بحُقوق المُلك يَحفظها بالجدّ والجـد حِفظُ الشكُر للنعم
نامت به مُقلة التوحيد آمنةً وعينُه لم تذُق غمضًا ولم تنم

ومن ارتجاله

وقال ارتجالا :

[كامل]

٥

لى صاحبٌ تَركَ النساء تظُرفاً منه ومالَ إلى هَوى الغلمانِ
فعذلتُه يوماً وقد أبصرتُه يُعْنَى بقَوْد فلانةٍ لفُلانِ
فأجابنى إنّ الغرامَ إذا عَنى[1] قد يَنثنى قَوداً على النِّسوانِ

وله فى تهنئة بمولود

وقال يهنئ بمولود :

[كامل]

١٠

هو طلعةُ السَّعد الأغرِّ فرحبا وسَنا الرياسةِ قد أضاء فلا خَبا
فَرْع أزاهرُه المناقب نابتٌ[2] فى المَعْلُوات الشُّمّ لا شُمّ الرُّبا
هَشّت لمطلعه الأَسِرة والأسـنّة والمحافل والجحافل والظُّبا
لا تحملوه على المُهود فإنه لَيرَى ظُهورَ الخيل أوطأ مَرْكبا

ومن ارتجاله

١٥

وقال ارتجالا :

[طويل]

لقد نَتك الأسطولُ فى الشِّرك فَتكةً غدا غِبُّها حُلواً ومَشهدُها مُرّا
فَملْحَمة فى البحر تُشبع[3] نُونَه وفى البر أخرى تُشبع الذِّئب والنَّسرا
جَوارٍ إذا المَوج الخِضَمُّ ازدهى بها تخيّلتها الكُثبان حاملةً زَهرا

وله يمدح صاحب منرقة

٢٠

وقال يمدح صاحب مَنرقة ، وكان أَمّه وقصده ، وأَحمد مَورد نداه إذ ورده :

[بسيط]

يَخِفّ بِشراً إذا انهلّت أناملُه والسحبُ تُوصف إذ تَنهلُّ بالثّقَلِ

[A 29]

أَغرّ يكتُم من جُودٍ عوارفَه ويَشهر البيضَ بأساً شُهرةَ المَثلِ
فينشُر الحمدُ ما أَخفاه من مِنَن ويكتُم الضربُ بيضَ الهندِ فى القُلَل[4]

(١) ب : « عثا » مكان « عنى » .
(٢) ب : « ثابت » مكان « نابت » .
(٣) النون : الحوت .
(٤) القلل : الرءوس .

يأوى لعَلياه مُحْمىٌّ ومُضطهد ... كالماء فيه وُرود اللَّيث والحَمَل

ويَشتهى نَيلَه مُثْرٍ وذو عَدَم ... كالراحُ تصلح للصاحِى وللثَّمِل

ذو عَزْمة كالتماع البَرق واقدة ... تَجىء من نَصْره بالعارض الهَطِل

لولا السُّعود التى نِيطت بهمّته ... لكنتُ أنسُبها بُعداً إلى زُحل

٥ وقال أيضا فيه : [بسيط]

يا مَن عُيون المَعالى عنه قد نَظرتْ ... شَزْراً وجَّ لسانى[1] السيفَ إذ نَصما

دانت لك الروم دَين العابدين فهل ... غدى حسامُك فى أصنامهم صنما

وثلَّثوه فقالوا النُّور مُؤتلفا ... والماء مُطردا والجمر مُضطرما

أضحت أياديك فى أَعناقهم رِبَقا ... وظَنَّها النـاسُ فى أيديهمُ نِعما

١٠ وقال أيضا : [طويل]

وله فى موسى

أَمُوسى متى أحظَى لديك ومُبعدى ... ودادى وأعذارى إليك ذُنوبِى

رفضتُ لصَرفى فيك أكرمَ عُدة ... وقاطعتُ من قَومى أعزَّ حبيب

وهبتُ — ولا مَنٌّ — على الحُسن عِفّتى ... ولُبِّى وسُلوانى لغير مُثيب

فضاعت — ولا ردٌّ — عليه وسائلِى ... وخاب — ولا عَتْبٌ عليه — نَصيبِى

١٥ وقالوا لبيبٌ لو أراد عَدِى الهوى ... تناقَض وصفًا عاشقٌ ولبيب

وما بآختيارى فارق القلبُ صبرَه ... ولكن فراق السيف كفُ[2] شبيب

وقال أيضا : [بسيط]

حديثُ عَنْقاء صبٌّ أدرك الأملا ... حظى من الحُسن[3] أنّى بعضُ مَن قَتلا

حقًّا لقد نَصح العُذّال لو قَبِلوا ... السَّيفُ من لَحَظ موسى يَسبق العَذَلا

٢٠ يا من غدا كُلُّ لفظ منه[4] من طمع ... عَسى وليت وشِعرى كُلُّه غزلا

---

(١) جـ : ذلب .

(٢) شبيب : هو أبو الضحاك شبيب بن يزيد الشيبانى الخارجى ، نفر به فرسه على جسر وجيل فألقاه فى الماء غريقا سنة ٧٧ هـ وفارق سيفه كفه قسرا .

(٣) الديوان : « والحب » .

(٤) الديوان : « ... كل لفظى فيه » .

منعتنِى يقظةً ردَّ السلامِ فلم ... أَجرؤ على الطَّيف فى تَكليفه القُبَلا
كسا خضاب ٱصفرارٍ للضنَى جَسدى ... لو كان يَنضح من ماء اللّمى نَصلا
شَوقى إليك - ولاَ حَمّلت - شوقىَ قد ... أَفنى القوافى وأفنى الدَّمع والحِيلا

وقال أيضا :

[طويل] ٥

يقُولون لو قبَّلته لاَشتفَى الجوَى ... أيطمع فى التَّقبيل مَن يَعشق البَدْرَا
ولو غَفل[1] الواشى لقبّلْتُ نعلَه ... أنزِّهه أن أذكُر النَّحر والثَّغرا
ومَن لى بوعدٍ منه أشكو بخُلفه ... ومن لى بعَهد منه أشكو به الغَدرا
وما أنا مَن يَستحمل الريحَ شوقَه ... أغارُ حِفاظًا أن أُبيح له السِّرا
يقول لىَ اللاّحى وقدجَد بى الثَّرى ... لِيُلهمنى فى سُوء تَقديره[2] الصبرا ١٠
ألم تَرْوِ قطُّ : «اصبر لكل مُلمّة» ... فقلت أما تروى : «لعل له عُذرا» [29 B]
إذا فئة العُذَّال جاءت بسِحْرها ... ففى وجه مُوسى آية تُبطل السِّحرا

وقال :

[وافر]

كأنَّ الخالَ فى وَجنات مُوسى ... سَوادُ العَتْب فى نُور الوِدادِ ١٥
أخُطَّ بصُدغه للحُسن واواً ... فنَقَّط خدُّه بعضَ المِداد
لواحظُه مُحيِّرةٌ ولكن ... بها اَهتدتُ الشُّجون إلى فؤادى

وقال أيضا :

[طويل]

صُعقْتُ وقد ناجيتُ موسى بخاطرى ... وأَصبح طُورُ الصَّبر من هَجْره دُكَّا ٢٠
وقالوا ٱسْلُ عنه أو تبدَّل به هَوًى ... أَبعد الهُدى[3] أرجو الجُحود أو الشِّركا
أنِفْتُ لذاك[4] الحسن أن يهجر الحُلَى ... فنظَّمت مِن شِعرى ومن أدمُعى سِلْكا

---

(١) كذا فى ت ونوات الوفيات . وفى ب : « غفل » .
(٢) الديوان : « تأويله » .
(٣) ت : « الهوى » .
(٤) ت : « يراك » .

جلا الخالُ فى كافورُ خدّك مِسْكَةً | فنمّ بأشواق نسيمُهما الأذكى
نُجِد لى بمسكِ الخال ياظَبيُ إنّنى | عَهدتُ ظِباءَ المِسْك لا تمنع المِسْكا

وقوله :

[كامل]

٥ لامُوا فلمّا لاح موضعُ صَبْوتى | قالوا لقد جئتَ الهوى من بابِه
شَرِقَتْ بدمعى وَجنتى شوقًا إلى | ذى وَجنةٍ شَرِقتْ بماء شبابه
حُلْو الكلام كأنما ألفاظُه | يَشْربن عند النُّطق شُهْدَ رُضابه
بالله ياموسى لقد لذّ[1] الهوى | آجهر ولا تُبقِ الجريح لما به
هاروتُ أودع فى لِحاظك سِحرَه | فأصاب قلبى منك مثلُ عذابه
١٠ صحّحت ياموسى[2] وصالَك مثل ما | قد صَحّ يأسُ الحرف من إعرابه

وقال :

[مجتث]

يُدنيك زُور الأمانى | منّى وتنأى طِلابَا
كأنّنى حين أبكى | رضاكَ أبكى الشّبابا
١٥ وأشتهى منك ذَنْبا | أبنى عليه العِتَابا
حتى إذا كان ذَنبٌ | فتحتُ للعُذر بابا
ظمئْتُ منك لِورْد[3] | فكان وِردى السَّرابا

وقال أيضا :

[وافر]

٢٠ مضتْ لى عنك لا ألقاك عَشر | أطلتُ بها على الدِّمن العِتابا
ولست أعدّ هذا اليومَ منها | لعلّ الله يَفتح منه بابا
فإن تكُ لم تَعُدّ ولم تُحقِّق | فلى شوق يُعلّمنى الحِسابا

(١) الديوان : « الردى » مكان « الردى » .
(٢) الديوان : « يأس » . (٣) ب : « لشمس » .

وقال :

[طويل]

أضاعَ وقارى مَن علمتُ[1] جمالَه فيازَهرةً قد زَلزلت جَبلاً راسِى

وما ضَرّ لو واسى وسلَّى بزَوْرة خَلِيٌّ جرى فيه القَضاء على راسِى

فألقطُ دُرًّا من فُضول حديثه وأشرب طيبَ العيش من فَضلة الكاس ٥

/وأرخصتُ عُمرى فيه وهو ذَخيرتى وأنفقتُ فيه كَنز صَبرى وإيناسى [30 A]

وغادرتُ رأيِى بالعَراء مُذمَّما وأوحشتُ نَفسى فيه من سائر الناس

وأفسدتُ بين النَّوم فيه وناظرى وأكَّدت وُدًّا بين فكرى ووَسواسى

سأصرف صَرفَ الحُر عنه مَطامعى وآوى بهذا القَلب منه إلى ياس

أمَا حيلةٌ فيه فيعشق ساعةً أمَا رُقيَة أَرقى بها قلبَه[2] القاسى ١٠

(١) الديوان : « علقت » . وسفينة الأدب : « عدمت » .

(٢) يريد « يأس » بالهمزة « خفف » .

١٢ — الفقيه أبو العباس بن بلال (*)

شيء عنه

من شُيوخ الجزيرة الخضراء ، لم يزل منزلُه مألفاً بها لغُرباء الأدباء والشعراء ؛ وهو ممن كان يُنتفع بأدبه ، ويُستفاد من كُتبه ؛ ولم أكد أفارقه أيام ولايته لبلده ، وتهافت الشعراء على وصف محاسن ولده ؛ وكان معروفا بالجمال والعَفاف ، مع مُخالطة أهل ٥ الأدب وما يقع بينهم عليه من الخِلاف .

بينه وبين ابن سعيد

ولقد مرّت لى معه ومع ولده المذكور ، أيامٌ لا يزال يتمثّلها الضمير ، فتَميد عليها أغصانه ، ويتذكرها فتشوقه أكثر مما تشوقه أوطانه ؛ من ذلك أنى كتبت له من جنة على وادى العسل بظاهر الجزيرة ، والأرض قد أظهرت زينتها ولم تُبق فى باطنها السُّحب سريرة ؛ فى يوم أُنس سمح به الزمان فكَمّله ، وبلغ من ظفر به ما تمنّاه وأمّله :

١٠ [وافر]

أبا العبّاس لو أَبصرتَ حَولى ... نَدامَى بادروا العيشَ الهَنيّا
يُبيحون المُــدام ولا آنتقاد ... وقارَهُم ويَزدادون غَيّا

فكان جوابه ، مع ما تبيّن فيه نصابُه :

[وافر]

١٥ أبيتَ سوى المَعالى يا عليّا ... فما ينفــكّ ذكرُك أَريحيّا
تَميل إذا النسيمُ سَرى كغُصن ... وتَسرى للمَــكارم مَشْرفيّا
وتَرتــاح آرتيــاحاً للتّمادى ... وتَقتنص الصبيّــة والصبيّا
وتَهـوى الروضَ قــلّده نداه ... وألبسه مع الحَــلْى الحليّا
وإنْ غنّى الحمــام فلا آصطبار ... وإن خَفق الخليجُ فَنيت حيّا
تذكّرت الشبابَ فلستُ أدرى ... أصُبحاً حين يُذكر أم عشيّا
فلو أدركتَنى والغُصنُ غضٌّ ... لأدركتَ الذى تهوى لديّا
ولم أُدرك (١) وحقّك قَدر لحظ ... وقــد نادَيتَنى ذاك النــديّا

(*) نفح الطيب (٥ : ٢٠٩) .

(١) ت : « ولم أترك » .

[30 B] وله فى وداع ابن سعيد

ولما انفصلتُ(١) عن الجزيرة الخضراء، خرج الفقيه أبو العبّاس مُودِّعا لى وقاضيا لحقوق الوفاء، ثم نظم هذه الأبيات، التى دلت على ما اشتمل عليه من أخلاق ذوى المروءات، وكان مناخهم بظاهر البلد، والإزماع على الرحيل فى صبيحة الغد :

[وافر]

أَترحلُ ياعلىّ غداً وأبقى ... وما تدرى بأنى سوف أشْقَى ٥

لقد أُسقى غدا بكؤوس(٢) وجد ... بها من قبل ذا ما كنت أُسقى

أهيم بك ٱرتياحاً للمعالى ... إذا هام الورى حُبًّا وعِشْقا

من شعره

وقال أيضا :

[متقارب]

ودارٍ بها كُلُّ ما تَشتهى ... سوى المَشرب العَذب والمأكلِ ١٠

فكُل عِرْض صاحبها إن تَشا ... وإلّا فقُم عاجلاً وٱرحل

وإن صُمت فاقعُد فذلك الذى ... يَدِينُ به صاحبُ المنزل

وما ذاك نُسكٌ ولكنّه ... من المقت فى الصَّوم(٣) لا يأتلى

وقال ارتجالا :

[متقارب] ١٥

حرامٌ علىّ حرامٌ حرامْ ... حضورُ الولائم عند اللئامْ

وأُنسى بما هو أُنسٌ لهم ... وأكُل الطعام بدار الطَّغام

لأن ٱعتزازى هوانٌ لهم ... هوانُ اللئام ٱعتزاز الكِرام

وقال أيضا :

[بسيط] ٢٠

مُشتقّة اللفظ والمعنى من الدُّرر ... صارت لكونك فيها دارةَ القَمرِ

شَبيهة الروضة الغنّاء عُدت لها ... كالرُّوح للجِسم أو كالنُّور للبصَر

تأرّج الأُفْق لما أن حَللتَ بها ... وإنما نَفحات الروض بالزَّهر

وغَضَّ جفنيه عنك الدهرُ من أَدبٍ ... وأُولعت بك(٤) عين السَّعد بالنَّظر

فابلُغ بها كُلَّ ما تهواه من أَمل ... وَقَضِّ ما شئتَ للعَلياء من وَطر

(١) ت : « انفصل » . (٢) ت : « أجر » مكان « وجد » .
(٣) المقت : ما ينكر ويكره . ولا يأتلى : لا يقصر . (٤) ت : « لك » .

وقال فى وصف رامٍ :

[سريع]

وشادنٍ فَوَّق سهماً له ... ورامَ يَرمينى به عابثـا
أما كَفَى سَهمان من لحظه ... حتى رَمانى قوسِـه ثالثـا

٥ وقال :

[طويل]

وعَهدى به إذ قام للآس(١) قاطعاً ... وقد صِيغ من وَرد الرِّياض له خَدُّ
ومن وَرق الرَّيحان خُضرة شَارب ... ومن نَوره ثغرٌ ومن غُصنه قَـدّ

وقال :

[متقارب]

١٠ ترحَّلْ لتُونسَ تأنَسْ بهـا ... وتحـظَ بلُقْيا الإمام السَّرِى
ولا تقعدُنّ بأرضٍ بهـا ... أمانُ المُسئ وخوفُ البَرِى

وقال آرتجالا(٢)، وكتبه فى صدر جامع بناه بالجزيرة الخضراء، يحيى والد محمد بن هَمُشُك التيتمالى ، عام أَحد وثلاثين(٣) وستمائة :

[مخلع البسيط]

١٥ قُدِّسْتَ يابيتُ فى البيُوتِ ... ودُمتَ للدّيـن ذا ثُبوتِ
[31 A] يعمرك النـاسُ فى رُكوعٍ ... وفى سُجـود وفى قُنوتِ
وإنْ نأى بالغـريب بيتٌ ... كُنت له موضـعَ المَبِيت

وقال أيضا :

[منسرح]

٢٠ لنـا نَبيـذٌ كأَنه ذَهبُ ... قَلّده عِقْـدَ دُرّه الحَبَبُ
قد رَقّ حتى كأنّه دَنفٌ ... أَنحى عليه الغرامُ والوَصَب
كأَنه فى زُجاجة قَبَسٌ ... له شُـعاعٌ وما له(٤) لَهَب
يَرِدُ أرماقَنا(٥) به رَشـأٌ ... تُسكر(٦) منه اللحاظُ والشَّنب
٢٥ ونُقْلنـا ما نَشـاء من مُلَح ... نَحفظ من حُسنها ونَكتتب
ونحـن عِقدٌ وأنت دُرته ... فانْشَط إلينـا لاخانك الطَّرب

---

(١) ت : « للأنس » .
(٢) هذه الكلمة « ارتجالا » ساقطة من ت .
(٣) ب : « وثمانين » .
(٤) ت : « ذهب » مكان « لهب » .
(٥) ت : « دارقنا » .
(٦) ب : « تكسر » .

أبو يحيى بن هشام القرطبي (*)

شىء عنه

شيخ الكتّاب فى أوانه ، المشار إليه بذلك ما بين أقرانه ؛ يجمُد هَضبةً فى مراتب الرياسات ، ويَذُوب سَلسالاً فى مجالس الفكاهات ؛ وكان مع سَمْته المُستحسن ، أمزح الناس فيما يتعلّق بمذهب الحسَن ؛ له فى ذلك حكايات وأخبار ، وموشّحات وأشعار . وهو ممن كان يُنتفع بكتبه وأدبه فلله ماذا أفاد ، فى أيام كأنها بمُحاضرته جُمَع وأعياد ؛ وكان فى أول(١) أمره ببلده فكتب عن ولاته ، إلى أن كتب عن إدريس(٢) ، ثم عن البياسى [لما تغلب على قرطبة وصار مختصا به وسافر معه . فلما قتل البياسى](٣) آستخفى ، ثم لحق بإشبيلية وتوصل إلى أن دخل على إدريس وأنشده قصيدة منها :

[كامل]

مولاىَ إنّ بَليتى(٤) مع خِدْمتى ... خَصمان فَٱحكُم للتى هى أَقوَمُ

ثم أكثر عليه من الرِّقاع . فوقّع له : يا هذا ، أكثرت علينا من الرِّقاع ، وقد حكمنا لك بحكم ٱبن الرِّقاع . يُشير إلى قول الشاعر عدىّ بن الرِّقاع العاملىّ : [طويل]

فلو قَبـــل مَبكاها بكيتُ صبابةً ... بسُعدَى شَفيتُ النفس قبل التندُّمِ

ولكن بكت قبــلى فهيّج لى البكا ... بُكاها فقلتُ الفضلُ للمتقــدِّمِ

ثم تنقّلت به الأحوالُ ، فكتب عن ٱبن هود ، وعن الباجى .

من نظمه

عنوان نظمه وهو أحسن ما أنشدنيه منه :

[كامل]

[31 B]

أمسى الفَراشُ يطُوف حول كُؤوسنا ... إذ خالهـا تحت الدُّجى قِنــديلاَ

ما زال يَخفِق حولهـا بجَناحه ... حتى رمَتْــه على الفراش قتيــلا

(*) نفح الطيب (٤ : ٢١٣ و ٥ : ١٦٥) .

(١) ت : « فى بادىء » .

(٢) هو أبو العلاء إدريس بن منصور .

(٣) التكملة من ت . وستأتى ترجمة البياسى (ص ٩٤) من هذا الكتاب .

(٤) ت : « بليتى » .

وقوله ، وهو غريب المَنزع :

[كامل]

لامُوا على حُبِّ الصّبا والكاسِ ... لما بدا وَضَح المَشِيب براسِى

والغُصن أحوجُ ما يكونُ لسَقْيه ... أيّان يَبـدو بالأزاهر كاسِى

وقوله :

[سريع]

٥ رأيتُ بالجامع مَن فَرَّقت ... ألحاظُه شَمْـلَ آصطبارى فِرَقْ

لمّا بدا فى حُسـنه مُفرداً ... عَوَّذتُ مَرآه بربِّ الفَـلق

فَقَـدّ مِن شَـعرٍ له جانباً ... وقال : أُنسيت وربِّ الغَسق

فقلت : دعنى ماذا[1] مكاناً لذا ... يا أعرف الناس بَوقْـد الحُرق

١٠ ومن محاسـنه قوله مرتجلا ، وقد نَظر على نهر قُرطبة إلى ثلاثين مصلوبين من قُطّاع الطريق :

في ثلاثين من قطاع الطرق

[متقارب]

ثلاثون قد ركبوا[2] خيلَهـم ... وقـد فَتحوا أذرُعاً للوداعْ

وما ودّعـوا غيرَ أرواحهم ... فكان وَداعا لغير آجتماع

١٥ وأنشد آرتجالا بإشبيلية فى مجلس إدريس على راحته ، من أَلم كان بركبته :

في مجلس إدريس

يا مولانا رضى الله عنكم ، وبلّغ هـذه المحاسن حقَّها منكم ، لم يزل العبيد يتنسّمون نسيم هـذه الفرج ، ويجدونه طيب التنفُّس عَبِق الأرج ، حتى شفى الله نفوسهم ، ووافى سرورهم ، بهذا الخبر العام الذى أَبهج وأثلج ، فنسأل الله تعالى أن يحرس كمالكم، ويبلغ المسلمين آمالهم فى أن يُبلغكم آمالكم :

[بسيط]

٢٠ نَعمى وليست حياة الدين إلاّهِى ... جلّت وعزّت فلم تُلحَق بأَشْـباهِ

ياواصفيها عجزتُم عن حَقيقتها ... قولُوا جميعاً عليها : الحمد لله

---

(١) ت : « ذا » . (٢) ت : «صففوا» .

في مدح بني سعيد

وقوله :

[وافر]

لساني مُقصِرٌ والمجــدُ عاذِر | لأنِّي فوق ما يكفيــك شاعِرْ
تعالى قَــدْرُ مجد بني سَــعيدٍ | عن الإنصاف من مُثْنٍ وشاكر
فهــل يُحصى مناقبَهم لسانٌ | وهم أبنــاءُ عمّار بن ياسر
فغايةُ مادحيهم أن يقُولوا | همُ خيرُ الأوائل والأواخر

٥

إتِهْنِــك سُــنَّة أرضيتَ فيهـا | رســولَ الله في كَرَم التّصاهر
كما أَرضاه(١) جدُّك في أُمور | من الإســلام تُسخط كُلَّ كافر
طِبْ نفساً وقــرَّ بذاك عيناً | فأنت أجلُّ مَن يُهدى البشائر

في أغيد

١٠

وقوله :

[طويل]

وأغيدَ وافَى يعطف السُّكْرُ قــدَّه | وأيُّ قضيب ينثني مثــلَ قــدِّه
تطلَّع للأبصار في نَرجســيّة | كلَون الذي يشكُو مَرارة صَــدِّه
وفي يَده اليُمنى شَــبيهُ عِذاره | وفي يده اليُسرى شــبيهةُ خدّه

في بركة

١٥

وقال أيضا(٢) :

[كامل]

ولقد طربتُ على محاسن بِرْكةٍ | وَرقاءَ تحسبهُــا مُذابَ الجَوْهرِ
قــد كُلِّلت حافاتُهــا بربيعها | فتقيّــد الأبصارَ بهجةُ مَنظر
وكأنمــا المِرآة في تدويرها | قــد طوّقوها طوق شمع أخضر

في وسيم عض وردة

٢٠

وقال ارتجالا في فتى وسيم عض وردة ثم رمى بها إلى الأرض، وسُئل ذلك منه امتحانا :

[كامل]

ومُعجزِ الأوصاف والوُصّافِ في | بُرْدَى جَمالٍ طُرِّزا بالتِّيــهِ
سَوسانُ أنمُــله تناول وردةً | فغــدا تُمزِّقها أقاحِيَ فيــه
فكأنّني شَبَّهت وجنتَــه بهــا | فرمَى بهــا غَضَــباً على التَّشبيه

(١) ب : « أرضاك » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ت .

في وسيم عضه كلب
[32 B]

/ وقال في فتى وسيم عض كلبٌ وجنته :

[طويل]

وأغيدَ وضّاح المحاسن باسمٍ ... إذا قامر الأسياف ناظرُه قَمَرْ
تعمّد كلبٌ عَضَّ وَجنته التي ... هي الوردُ إيناعًا وأبقى بها أَثَرْ
٥ فقلتُ لشُهب الأُفْق أين(١) حُماتكم ... وقد أثّر العوّاء(٢) في صَفحة القمر

في وسيم يحمل شمعة

وقال أيضا في فتى في يده شمعة حلفاء(٣) :

[متقارب]

وشمعة حَلفاء في راحتَيْ ... شِهابٍ يَحُلّ بُروجَ الفِكَرْ
تُجلّي الظلامَ بأهدابها ... فيَشفع فيه سوادُ الشَّعَرْ
١٠ وتَنفي شياطين وِلدانها ... بما ألفتْ من رُجوم الشَّرر
متى لَعِب النُّور بالنار أو ... متى أَلِف البرقُ كَفَّ القمر

وله في خياط

وقال في خَياط :

[مخلع البسيط]

وخائطٍ رائعٍ جمالًا ... وِصاله غاية اقتراحي
١٥ تَنعم منه الخُيوط فَتْلًا ... بين أَقاحٍ وبين راح
تراه في السِّلم ذا طِعان ... بنافذاتٍ بلا جِراح
خِلْقته أشبهتْ فُؤادي ... لكثرة الوَخز في النَّواحي
تُقطِّع الثوبَ راحتاه ... كَطابع(٤) ألحاظه المِلاح
فقبله ما رأيتُ بَدْرا ... مُمزِّقا بُردة الصَّباح

٢٠ وله في قائد قاده

وقال أيضا :

[طويل]

ويومٍ شَربنا فوق شاطئ جَدول ... هو الدُّرّ ميّاعا يُسمُّونه نَهَرا
كبارَ زُجاجات أعادتْ عُقولنا ... عقولَ صِغار تحمل النَّفع والضُّرا

---

(١) ت : « كيف » .

(٢) العواء : اسم نجم ، من منازل القمر .

(٣) ت : «وقال يصف شمعة حلفاء» .

(٤) ت : « كصبغ» .

ولما آنفصلنا بالمُصلَّى عشيةً   تناثر سِلْكٌ كان مُنتظِما دُرّا
وصرتُ وذهنى عازبٌ غيرُ حاضر   وقد قُيِّدت عن خَطوِها[١] قدمِى سُكرا
إلى أن أتاح اللهُ لى نَجل حُرة   حدانى إلى المَثوى فيسّر لليُسرى
سأشكره واللهِ عُمرى فإنها   يدٌ عُرفت لو أنّ صاحبها يُدْرَى

٥ من نثره

عنوان نثره[٢] :

ووصل فلان وهو يصل الزفرات، ويتقطّع حسرات ؛ حين خاب ظنه الذى لا ينبغى أن يَخيب ، ولم يَفُز قِدْحه وهو المُعلَّى فى الخدمة السالفة بنَصيب ؛ وحَق له أن يصدُق ظنه فيما أمّل ، ويُصرف فى أحسن الأشغال ولا يُهمل ؛ ولِم لا يُحسن لمن آستحسنت خدمته ، وقُدمت ذمّته وحرمته ؛ بما أسلف لهذا الحزب الغالب من آنتباه والناس نيام ، وآنتصار بالمال والنّفس والكلام ؛ وخَوض فى لجج المهالك، وقَطع لمَضيقات المسالك؛ حتى يجنى ثمرة ما غرس ، ويمشى فى ضوء ذلك القَبس .

١٠ [32A]

فصل :

وإلى هذا فإنّا كتبنا إليكم — كتب الله لكم من النّعماء ما يَهطُل غمامه ، ومن العزة القَعساء ما تتفتّح عن زَهر المَسرة كِمامه ؛ من قُرطبة — حرسها الله — والخيرات تزدحم علينا ، والمسرات تتسابق إلينا ؛ والذى بيننا لا يحتاج إلى وساطة الأقلام، ولا يُخاف عليه تغيُّر الليالى والأيام . ولما وصل بكتابكم المَرعىّ المحفوظ، المقبول الملحوظ؛ الفقيه أبو فلان وجدنه فيما التمس ، ضدّما وجد المتلمِّس[٣]، وعاد من قضاءِ غرضه به عَوْد المباكر المغلِّس . وهو لعمر الله أهل لأن تتحقق أغراضه، ولا تتصوّح بالإهمال رياضُه؛ ومثله من تشفع فيه، وتطالب له ما يكفيه .

١٥

(١) ت : « خطوا » .

(٢) جاء هذا النثر مقدما فى الأصلين (ص ٨٥) بعد البيتين :

نعمى وليست حياة الدين إلا هى   جلت وعزت فلم تلحق بأشباه
يا واصفيها عجزتم . عن حقيقتها   قولوا جميعا عليها الحمد لله

(٣) المتلمس : هو جرير بن عبد العزى ، شاعر جاهلى . يشير إلى الكتاب الذى حمله وفيه مقتله ، فلما علم بما فيه أحرقه ونجا .

١٣ — ابو الحجاج يوسف بن محمد البياسى (*)

شىء عنه

من أشياخ المؤرخين ، الأُدباء المشهورين ، بالتَّصنيف والإقراء ، صحبتُه زمانا بإشبيلية ثم بالجزيرة الخضراء ، ثم حاضرته غير ما مرة بحضرة تونس ، أدام الله لمالكها اتصال الظهور والاعتلاء . وفى جميع ذلك آستفدتُ من فنون آدابه مالا أنسى به ذكره ، ولا أنتقص (١) - متى أخذته الألسن من جهة / الأمور الدينية - قدره ، فقد كان - سامحه الله - حافظا لنكت تواريخ الأندلس حديثا وقديما ، ذاكرا للفُكاهات التى صيرته للملوك والكبراء جليسا ونديما ، إلا أنه بُلِى بالتقتير على نفسه ، إلى حين حُلول رَمسه ، فكان يجمع ما يحصل له من المرتب وأنواع الإحسان ، ولا يُخرج من ذلك إلا ما لابُد له منه مما يقيم به أَوده الإنسان .

[33 A]

شعر له فى وسيم

١٠

ومما أنشدنيه من شعره قوله فى طالب من أعيان الجزيرة الخضراء ، تهافت فى حُبه جماعة من الأدباء والشعراء : [خفيف]

قد سَلونا عن الذى تَدريه ... وجفوناه إذ جَفا بالتِّيه
وتركناه صاغرًا لأُناس ... خَدعوه بالزُّور والتَّمويه
لِمُضلٍّ يَهديه نحو مُضلٍّ ... وسَفيهٍ يقُوده لسَفيه

لشاعر فى هجائه

١٥

وكان من القوم الذين هاموا بهذا المذكور ، وقاموا فيه بالمقام المشهور ، أديبٌ يقال له الفار ، وسُلط (٢) على أبى الحجاج البياسى حتى سافر عن الجزيرة ، وكان يلقَّب بالقُط . فقال أحد الشعراء : [طويل]

عذرت أبا الحجّاج من ربّ شَيبة ... غدا لابساً فى الحُب ثوباً من العارِ
وألجأه الفأرُ المُشارك للنَّـوى ... ولم أَرَ قُطًّا قبله فَرَّ مِن فار

بينه و بين صديق له

٢٠

وكتب إليه بعضُ أحبابه مذكِّرًا بالأيام السوالف ، التى قَطعوها وهى أَزين بحلبة المسرات من السوالف (٣) : [وافر]

أبا الحجّاج تَذكُرُكم نَعِمْنا ... وحُجتنا تَخال على الشباب
بوادى حِمْصٍ أو وادى شَريش ... سَقى بلَديهما دَرُّ السحاب

(*) المغرب (١ : ٢٠٥ و ٤٢٧ ، ٣ : ٧٣) .

(١) ت : « ولا أنقص » . (٢) ت : « وتسلط » .

(٣) أى أول ما يعصر من الخمر يريد : « السلاف » .

وللآداب أكواسٌ أُديرت على أَهل الصبا زَمن التَّصابى
وأقمـار الجمـال بكل أُفْق تُطالعنا فنزهد فى المَتـاب
فديتُك إنّ بى نجوًى وشوقاً وليس البُرء إلّا فى الجواب

فكان جوابه ما لا يخفى حُسنه ، إذ تأوّد فى رَوض الأدب غُصنه :

٥

[وافر]

أبا حَسن لَعمرك إنّ ذِكرى لأيّام النَّعيم من الصَّوابِ
أمثلى ليس يَذكُر عَهد حِمص وقد جَمحت بنا خيلُ التصابى
ونحن نَجُر أثوابَ الأَمانى مُطرَّزة هنـالك بالشَّـباب
وعهدٌ بالجزيرة ليس يُنسى وإن أغفلتَه عنـد الخطاب
هو الأَحلى لدىّ وإن حَمانى عن العسل ٱجتماعٌ للذُّباب

١٠

[33 B] / أشار فى هذا البيت الى المحبوب الذى كان يشاركه فيه فى الجزيرة الخضراء ، وكان كثير الاجتماع به فى جنة لوالده على وادى العسل ، فقد طرّف ما شاء ، وأحسن الإبداع والإنشاء .

وله فى غلام

ولمـا اجتمعتُ به مُستحسنا لهذا المقصد ، قال لى : قد كنت ذكرته أيام تلك المزاحمات ، ثم أنشد :

[مجزوء الرجز]

١٥

جنّـــة وادى العَسلِ كم لى بهـا من أَملِ
لو لم يكن ذُبابهـا يمنـع ذَوْق العَسل

بينه و بين ابن سعيد فى هذا الغلام وقد كبر

ولمـا التقينا بتُونس بعد إيابى من المَشرق ، وقد دلج ظلامُ الشَّعر على صبح وجهه المُشرق ، قلتُ لأبى الحجاج مُشيرا إلى محبو به ، وقد غطّى هواه عنده على عيو به :

[سريع]

٢٠

خلِّى أبا الحجـاج هذا الذى قد كنتَ فيــه دائم الوَجدِ
فانظُر إلى لحيتــه وٱعتبر فيما جَنى الشَّعرُ على الخــدّ

فأطرق ساعة ، ثم قال خارجا عن السمع والطاعة :

[سريع]

لئن غدا الشَّعرُ شِعـارًا له فإنه كالوَشْى[(١)] للـــبُردِ
وهل ترى أحسنَ من روضة يلتف فيهـا الآس بالوَرْد

٢٥

فتركته وهواه ، وأيقنت أنه لا يفارقه إلى أن يلاقى صداه[(٢)] .

(١) ب : « والبرد » . مكان « للبرد» .

(٢) الصدى : طائر — زعموا — يخرج من هامة الميت إذا بلى . عبر به عن الفناء .

١٤ — أبو العباس أحمد بن الحاج الإشبيلى (*)

شئ عنه

كان أبوه من التجار ، فنزعت به همته إلى منافسة الصدور فى الإيراد والإصدار، فنشأ منتهضا بالأدب ، مائلاً إلى القيام بلسان العرب ، إلى أن صار يقول : إذا متُّ فعل أبو الحسن بن عصفور فى كتاب « سيبويه » ما أراد ، فإنه لا يجد من يردّ عليه .

٥ وأبو الحسن الآن إمام بهذا الشأن فى المغارب والمشارق ، وهو حيث حلّ فعلمه نازل بالمحل الرفيع ومقابل بالبر الفائق .

مع ابن سعيد

وجالستُ أبا العباس كثيراً بجامع العذيي (١)، وكان عزيز المجالسة لشيخنا أبى الحسن الدّباج . فأذكر أنه جرى منه مرةً فى المذاكرة، ما أوجب أن أكتب إليه معتذرا بما صدر عنه فى المبادرة ، للرد فى المحاورة والمحاضرة : [بسيط]

١٠ عُذرًا لفضلك يا أستاذ من (٢) صَخَبى ... إذ ليس يخلو ذوو الآداب من شَغَب

[34 A] / فالكُل منهم يَرُوم السبقَ مُجتهـدًا ... لكى (٣) يُرى سابقًا نوعاً من الغَلب

وما نطقتُ بشىء قد نطقتُ به ... إلا وقد ملكتْنى نشوةُ الأَدب

بينه و بين سبط الدباج فى غلام

وكان معنا بعض العشيات بجامع العذيي (٤) بإشبيلية، فنظر سبط الرباح [أبو بكر] (٥) إلى أسود حافظ للحدث يقرأ عليه صبى جميل الصورة، فقال لابن الحاج : أجز يا أبا العباس :

١٥ [مخلع البسيط]

آنظر إلى قارئ حديث ... مُشبِهِ حُورٍ على غُلامِ

فقال آبنُ الحاج مُجاوباً له آرتجالا : [مخلع البسيط]

كأنه الصُّبح مُستمدًّا ... سَناه من غَيْهب الظَّلامِ

فقال : أجز أيضا يا أبا العباس : [كامل]

٢٠ ومُعشَّق مثل النهـار لمحتُه ... يتلو الحديثَ على أخى (٦) دَيْجورِ

(*) نفح الطيب (٥ : ١٧) .

(١) ت : « القابس » .

(٢) ب : « محنى » مكان « صخبى » .

(٣) ب : « لكن » .

(٤) ت : « العويس » .

(٥) التكملة من ت .

(٦) الديجور : الظلام .

فقال ابنُ الحاج ارتجالا :

[كامل]

فأجبتُ مَن أبدى التعجبَ منهما : نورُ الحــديث أتى بذاك النُّورِ

أسره وشعره في ذلك

ثم ركب البحر فحصل فى الأَسر ، فخاطب الحضرة العلية الأميرية المقدسة ، مُستصرخا من الثقاف[1] ، فخلصه ما هو المعهود ممّا خصه[2] الله به من الحنان والإلطاف . فمما قاله فى ذلك الشان ، وقد صار فى حضرة تونس من الأعيان :

٥

[كامل]

ناديتُ والبحرُ الخضَمُّ مُعارِضٌ بَحْــراً بجُودك لا يغيب ببرِّهِ

فأجبتنى إذ لا مُغيث ولم يكن إلاّك يَشْعُر للغــريب وشِعْرِه

وأنفتَ للآداب مِن أَسرى[3] وقد أسديتَ ما حاز الثناءَ بأَسره

ثم تضاعف تقريبُه ، وتوفّر من المال[4] والجاهَ نصيبه .

١٠

(١) الثقاف ، أى الأسر .
(٢) ب : «مما خصها»
(٣) ت : « فقد » مكان « وقد » .
(٤) ت : «الملك» .

١٥ — ابن همشك التنملى

شىء عنه الشيخ الفقيه الأديب [١] أبو عبد الله محمد بن يحيي بن أبي بكر ، المعروف بابن هَمُشْك [٢] التنملى .

وسبب معرفتهم بهذا الاسم محاربة جده أبي بكر لابن هَمُشْك الأندلسى [٣] الثائرَ بجيان وقهره له ولقرابته ، حتى جاز بهم البحر إلى سلا ، وأسكنهم مكناسة بأمر صاحب المغرب . وولى بعد ذلك أشغال سبتة برا و بحرا ؛ وكان مشكور السيرة ، حسن السريرة ؛ معروفا بالنزاهة والطهارة/ ، وتُوفى بغارة [٤] ، ودفن بسبتة عام ستة وستمائة . [34 B]

شىء عن أبيه ونشأ والده الشيخ الفقيه الخطيب الصالح أبو زكريا يحيى بسبتة ، ولقى علماءها وصلحاءها فروى عنهم وسمع منهم . وأخذ عن أبي محمد بن حوط الله فى اجتيازه عليهم جملة ، منها : الحديث المسلسل فى الأَخذ باليد .

وكان من أهل الصلاح والدين ، مشهورا بالنزاهة والطهارة ، مع حظ من حفظ الحديث والفقه . وولى الإمامة بجامع قصبة سبتة والخطبة بها ، والأمانة على مفاتح القصبة والبلد والبحر والمجاز وغير ذلك أربعين عاما . ثم خرج من سبتة عام ثلاثين وستمائة فى فتنة أبي العلاء بن المنصور وسطوته بالموحدين خوفاً على نفسه ، فاستوطن الجزيرة الخضراء وسكنها ستة أعوام مجاورا للعلماء والفقهاء ، عاكفاً على الصلاح والخير مع الانقباض والزهد . وبنى مسجدا بها عند النجارين منها ، يعرف بمسجد ابن هَمُشك إلى الآن . ثم رحل منها إلى سبتة عام ستة وثلاثين . وعاد إلى ما كان عليه من الولايات والجاه إلى أن ولى الوزير أبو على بن خلاص سبتة وثار بها عام واحد وأربعين وستمائة . فأبقاه على ما كان عليه ثقة به ، وركونا إلى ما صح عنده من أمانته ودينه . ثم خرج من سبتة عام سبعة وأربعين ، وقد جف ماء عمره المعين ، بعد موت أبي على بن خلاص وخروجه منها بعام . فأقام بحضرة

---

(١) ت : « النبيه » .

(٢) قال ابن الخطيب فى الإحاطة (١ : ٣٠٥) ، وقالوا : هامشك : معناه : ترى المقطوع الأذن ؛ و « ها » عندهم قريب مما هى فى اللغة العربية . و « المشك » : المقطوع الأذنين .

(٣) هذه العبارة ساقطة من ت . (٤) ب : « بالغارة » .

تونس ملازما للجامع ، محافظا على الصلوات وتلاوة القرآن ، مشتغلا بما يَعنيه ، إلى أن تُوفى على تلك الحال فى الثالث عشر لرمضان المعظم عام ستة وخمسين وستمائة .

وشهد جنازته خلقٌ عظيم من الخاصة والعامة ، ولم يتخلّف كبير أو أحد من الدولة ، وكسروا نعشه تبرُّكا به ، وأتبعوه ثناء جميلا .

وكان أهلا لذلك . رحمه الله . ٥

تتمة الحديث عنه

ونشأ أبو عبد الله المذكور أيضا بسبتة وتأدّب بها وبالجزيرة الخضراء ، فى حين سُكنى أبيه بها ، وقرأ بها القرآن . وكان حسن الصوت به ، مليح التلاوة ، من أهل الطلب والذكاء ، والفطنة والدهاء ، كثير المشاركة ، جميل المعاشرة ، جامعا لأنواع العلوم والآداب ، كريما جوادا بماله وجاهه ، لكل[1] من قصده ، ويكتب فى حق الناس لجميع الآفاق بالاعتناء والوصية ، مُقدَّما عند الحكام ، وجيها ناهضا فى الأمور ، واسع الحيلة ، ١٠
جيد النظر عند الحوادث والملمات ، / فصيح اللسان ، صاحب حُجة . [35 A]

شعر له فى جارية اسمها نسيم

ومما أنشدنى من قوله فى جارية اسمها نسيم ، وكان يكْلف بها ويهيم ، ويستضىء بنور تخيلها فى الليل البهيم ، وكانت من الأدب والظرف ، وتمم المسمع والطرف ، بحيث تختلس القلوب والألباب ، وتعيد إلى أخلاق الشيب الشباب : [طويل]

تبارك بارى الخلق إذ صوّر الخَلْقَا ... وأتقنهم صُنعًا وأطلعهم أُفْقَا ١٥
وأودع فى الأجفان سحرًا مُضاعَفا ... يعلِّمنى التَّهيامَ والوَجد والعِشْقا
وذكّرنى من كنتُ أعهد أنسه ... مُقيماً ولمّا بان أورثنى شوقا
خليلىّ عيدُ الفِطر وافى فهاجَنى ... غراماً وتَهياما وزاد الحَشى خَفْقا
ولما رأيتُ الحُسن بالطاق طالعاً ... لمحتُ ثَناياها وقد لمعتْ بَرْقا
صبوتُ وقد يصبو الحليمُ لمثلها ... يَرِقُّ وكم صَبٍّ لغانيةٍ رَقّا ٢٠

وله إلى الجانب العلى

وكتب إلى الجانب العلىّ : [متقارب]

أيا ملِكًا سعدُه مُقْبِلُ ... خرجتَ وساعدك الجَحْفَلُ
إلى الصَّيد أرسلتَها أكلُبًا ... تَصيد الوُحوش ولا تقْتُل

---

(١) ب : « يصل » .

يُحلّق صـقرُك وَسْـط السماء ويُردى الـكَراكِى إذا يـنزل[1]
فهــنّاك الله ذاك الخُروج فَلِلخلق خيراتُه تَشْــمل
فيابن الخليفـة حُزتَ العُــلا وقــد رَضِى اللهُ ما تفعــل

وكتب لهم : [طويل]

بعثتُ بـه حُلو السَّريرة والجَـهر كذِكرك يا مولاى فى مَحفـل الفَخرِ
أتى مِن رءوس النّخل مُستطرف الجَنىَ لغــير زَمانٍ حاجبٍ نُوَب الدّهر
ووافَى على بُعــد المَزار مُـغرِّبا مُناى بإتحـافى له واحدَ العَصر
ومِنّته تهــدى القَبولُ فأَسـعُدى به أقبات لا زال فى أَنْفس[2] الذِّكر

بعثت به صقيل الأديم ؛ كأنمـا غُذى[3] جسمه من تسنيم ؛ راض[4] قابه الصنع اللطيف[5] ؛ فجاء به أبيضَ سليماً من الزَّيغ والتحريف، بُشراه من وجههكم [الكريم][6] بِشرُه، وحسب باعثه ذكركم بالشكر المعطّر نشره .

وكتب لهم .

أبقى الله نِعم مولانا ظلالا ، يَرِد بها الآملون عَذبا زُلالا ؛ بعث عبدُهم إلى حضرتهم الناضرة من ذوابل الأقلام ، ما تُثمر نُوّار أنوار أوامرهم الكرام ؛ فياعجبا لهـا نَحيلة تحمل مواهبهم الجسام ؛ فتُلقيها بقرطاس كأنه السماء إذ فيه رزق الأنام؛ وكأنها قطع بحر أرادت الوصول إلى بدر التمّـام ، فى مثلهم رضى الله عنهم ومثلها يصلح[7] من نظم الكلام :

[بسيط]

/تفجّر الفجُر أقلاماً وحقّ[8] لهـا لمـا رأى عجباً للبدر إذ كتبا [35 B]
عُطارد كنُّــه لكنّ مَطلعــه سعدُ السُّعود به تُستمطر السُّحبا

(١) ت : « تنزل » .
(٢) ت : « الذخر» مكان « الذكر » .
(٣) ت : « مزج » .
(٤) ت : « ورآض » .
(٥) ب : «الجيل » .
(٦) التكملة من ت .
(٧) ت : « يعلم » .
(٨) ت : «له» مكان «لها» .

وكتب لهم :

[مجزوء الرجز]

مَـدينة مُسوَّره تحار فيها السَّحَرهْ

لم تَبنها إلا يَد عذراء أو مُخدَّره[1]

بَدت عروساً تُجتلى من دَرْمك[2] مُزعفره ٥

ومالها مَفاتح إلا البنان العشره

مدينة ميمونة الطائر ، غنيّة الأزهار عن السحاب الهامر ؛ تجلّت جواريها داعية إلى الأنس ، فيالها أوانس ليست من الإنس ، بل مالها فى الحيوان جنس ؛ تزخرفت قُبتها من الأزهار بأصفر كالعِقيان ، واخضر كالزُّمرد وأحمر كالمَرجان ، وأقامها عمود الصبح لكن لا يصحب غَبشا مذ كان ؛ طاعت لجلالك ، ودانت لبهائك وكمالك ؛ نخُذها فألاً ١٠ لما تُقلد[3] من الولاية ، فى أيام مولانا المنصور الراية .

وكتب إليه الحكيم أبو الحسن المَروزىّ :

[كامل]

من شاء يَبلُغ فى المَعالى رُتبة ترقى على الفَلَك المُكوكب منزلَهْ

فمحمدَ[4] بن هَمُشْك يأتِى قاصداً ويقرّ عيناً بالذى قد أَمّله ١٥

كتاب المروزى إليه

يا أخى الذى أتنعّم بلقائه ، وأسأل الله طولَ بقائه ؛ وصلتْنى تحيتكم فأحيت سرورى وأنسى ؛ وبسطت آمال نَفسى ؛ هذا وإن كانت كاستدراك الكاتب ، وقدح الراكب ؛ كأنها دَخيل فى قوم ، أو خَيال فى نوم ؛ فقد يُرتاح بالنسيم العليل ، ويكثُر من تُحب القليل ؛ وتَصلكم تُحفة الإدلال ؛ وجهد الإقلال ؛ ومجال العذر لديكم فى القبول فسيح ، ولسان الود كاسان العز فصيح : والله يُبقى[5] ودكم ، ويحفظ عهدكم[6] . والسلام . ٢٠

(١) هذا البيت ساقط من ت .

(٢) الدرمك : الدقاق من كل شىء . ولعله يريد به هنا : فتات الزعفران .

(٣) ت : « لما تقدم » . (٤) ت : « لمحمد » . (٥) ت : « ينسى » .

(٦) ب : « ولدكم » . وظاهر أنها من أوهام الناسخ .

كتاب ابن بلال إليه

وكتب إليه أبو الحسن بن بلال، بعد ما أمره[١] بذلك من يعز عليه :

[هزج]

حُسام راق للعَيْنِ زها منه بلونَيْنِ
يُشبَّه منه مَرآه بليل بين صُبحين
وإلّا فهو محفوف بهَجْرين[٢] ووَصْلين
له من كُل ذى طَرف سوادُ القلب والعَين

٥

لا زال فى خضراءِ غضٍّ نضيرها، ومشارع صافٍ[٣] نميرها، ولا زيع بانقضاض الباشق[٤]، والنَّسول[٥] الطارق، وحُيِّيت أيها الفاضل المودود من ناظم ناثر، جامع بين الزّهر والأزاهر؛ ولا زلت تُتحف ذوى الأخطار، بكل ما سَبح ومشى وطار؛ ناجح المسعى، خصيب المَرعى؛ ما هَدل حمام، وهَمل غمام، وعليك/ أفضل التحية والسلام.

١٠

[36 A]

كتاب ابن أبى الحسن إليه

وكتب إليه من القاهرة الحاج أبو الحسن بن أبى الحسن لتُونس، حرسها الله تعالى :

[سريع]

[يا بن همُشْك][٦] أرى حَنينى إليك طُول الزّمان يَنْمى
وذِكْرك الدَّهـرَ فى لسانى لأنه مُذْهِبٌ لهَمّى
ألا رَعى الله ما تقضَّى كأنما كان عيش حُلم
ونحن فى غِبطة وأَمن وحادثُ البَين ليس يَرمى
ثم انبرى[٧] بعد ذا بنَزْع لو يَمّم الهند كان يُصْمِى
إن نَثَرُوا عِقْدنا عساه يعُود يوماً بحُسن نَظم
فيغتدى الشمْلُ فى اجتماع ويَعدل الدَّهرُ بعد ظُلم

١٥

حرس الله ذلك الوفاء، ولا كَدّر ذلك الصفاء؛ فلم يُبد خَايلٌ بعد الفِراق، ما أبديت من التفقّد والاشتياق؛ تمتد الأيام وذكرك مُبدٍ[٨] ومُعيد، وتَبلى الليالى وعَهدك كودّك جديد :

٢٠

[طويل]

ولاشكّ أنّ الأصل فى المجد ثابتٌ غدا فرعُه بالفَضل والوُد مُثمِرا

---

(١) ت : « بعد أمره ».
(٢) ت : « بوصلين وهجرين ».
(٣) ب : « طاف ».
(٤) الباشق : طائر من الجوارح.
(٥) النسول : الذئب، لانسلانه وإسراعه.
(٦) التكملة من ت.
(٧) ت : « ابتدى ».
(٨) ت : يبدى.

ولما وصل بكتابكم قريبُ الرئيس أبي عثمان صاحب منرقة تُلقّ بالراحتين ، وحُملت حوائجه على الرأس والعين ، وكذلك ابن مهدى محمد تلقاه أخوكم بما اقتضاه تنبيهكم عليه ، وصَرْف وجه عنايته إليه :

[سريع]

وكُل من يُقبِلُ [مِن][1] حاجرٍ فليس يُلقَى بخلاف القَبُولْ ٥

ولما وصل الحاج المذكور الى تونس كتب لابن هُمُشك :

لا أوحش الله من مَرآكم ، ولا أخلى مِن لفظكم ومعناكم ، يصلكم من المُهاداة[2] ما يُعلِم أن الذكر متصل ، والوُد غير منفصل :

[متقارب]

وغِبتم عن العين مُذ مُــدةٍ فمُـنُّوا افتقاداً[3] بأن تحضُروا ١٠

يا أخى ، فى الاجتماع بكم فوائد : فتى خُفّ بكم وصلتم ، وإن حسبتم أنكم تثقلون فما أنصفتم :

[متقارب]

وما كنتُ أعدل عن ذاتكم[4] لو انى ابتدأت دُخول البَلَدْ

وعُذرىَ بادٍ إلى أن أرى مُحيَّا السُّعود وغِيلَ الأَسد

والله يُعينكم على ما أُجبلتم عليه من السعى فى حوائج الإخوان ، والثُّبوت على تقلب الأَخوان[5] . ١٥

[36 B]
كتاب العزبى صاحب سبتة إليه

وكتب إليه الفقيه أبو القاسم العزبىّ صاحب سبتة / ، الى تونس ، حرسها الله تعالى :

[وافر]

إذا ما مال قلبُك نحوَ شخصٍ فنحوَك قلبُــه أبدا يَميلُ

وإن تشكُرْه يوماً وهــو نا ٍ فشُكرك عنده وافٍ جَزيل ٢٠

---

(١) التكملة من ت . (٢) ت : « السادات » .
(٣) الافتقاد : الطلب عند الغيبة . (٤) ت : «داركم» مكان ذاتكم» .
(٥) الأخوان : يريد الليل والنهار . وفى ت : «تقليب الزمان» .

تخصكم أيها الولى الكريم المُبارك المأمون[1] غَيْبُه، المزرور على الصفاء والوفاء جَيْبُه، خَصَّكم الله تعالى من المَبَرة بأكملها، ومن المَسرة بأشملها. تحيَّة الله الطَّيِّبة الكريمة، ورَحمته الصيِّبة وبركاته العميمة؛ من مُحبكم ومُجلكم البرّ بكم، الحافظ لعهد ولائكم، المثْنِى على وفائكم، محمد بن أحمد العربى. وبعد:

٥ فكتبت إليكم - كتب الله لكم عزّة دائمة، ومبرّة ملازمة - من سبتة - حرسها الله - ولا جديد إلا ما عوّد سبحانه من كريم صُنعه، وجميل لطفه؛ فله سبحانه الحمد كثيرا على البر بجنابكم[2]، والتكريم لولائكم، والإخلاص فى ودكم، والدعاء لأكيد عهدكم، والشكر لسرو مذهبكم فى المواصلة، وكريم قصدكم. والله يصل ذلك فى ذاته، ويقيه من غِيَر الدهر وآفاته. وإلى هذا وصل الله عزتكم ومبرتكم، وحرس ولاءكم الأصدق ومودتكم؛ فإنه وصل لمحبكم كتابكم المبرور

١٠ تقرّرون فيه ودكم، الذى أبى له أن يتغير عن حال صفائه الكرم، وعهدكم الذى لم يُنْضِ نُضرة معالمه القِدم، وتثنون الثناء الذى يُثْنيه وفى مثلكم زكت منه الشمائل والشيم؛ فوقف مُحبكم عليه وقوف مُغتبط بمودّتكم على بُعد الدار، حافظاً لأذمّتكم المُرّة[3] على الدوام والاستمرار؛ شاكراً ما عندكم، مُظهرا الغَيبَ من المقاصد الفاضلة التى لا تُنكر على أمثالكم، من الأفاضل الأحرار، مُقيما على ما يرضيكم لأيام القُرب والجِوار.

١٥ وكتب إليه الرئيس أبو عثمان بن حكم صاحب مَنرقة، من رسالة:

كتاب ابن حكم إليه

ووصل الكتاب المُفيد، المُجاد المجيد، المسمى بالطالع السعيد، فى محاسن [أعلام][4] الكرام بنى سعيد؛ فأسديتم لعمرو الله يداً، وأهديتم ما مثله يهدى وبه ويهتدى؛ ولم يزل من يدى حين وقفت عليه حتى قلت:

[سريع]

إنّ كِتاب الطالع السَّعيدِ ... فى وَصف أعلام بنى سَعيدِ

٢٠ أحسن من وردٍ نَدٍ نَضيدِ ... ومن حُلًى فوق طُلًّا لِلغيد

جاب لنا من أفقٍ بعيدِ ... أمواجَ بحر وفِجاج بِيد

فنحن منذ عادنا فى عيد ... ما لا يرى عليه من مزيد[5]

---

(١) ت: «الميمون».
(٢) ب: «بجانبكم».
(٣) المرة: المحكمة.
(٤) التكملة من ت.
(٥) هذا العجز ساقط فى ب.

كتاب التيجانى إليه

وكتب إليه الفقية أبو عبد الله التِّيجانى :

[سريع]

[37 A]

/ بلِّغ سَـــلامى يا أبا القاسم لاْبن هُمُشْـــكِ أوحد العالَمِ

التَّمْلى أَكرم به من ذى آء تقادٍ ســالف ســالم(١)

٥

وفى الزُّجاجات وإهدائها ما شئت من سَعد له قائم

من بلد الحُبشان قد أُهديت للعربىّ الفاضــل العالم

فأَقدم الرســلَ عليه بها حتًّا بجاءت تُحفة القادم

والكُتْب تأتيه جواباتُها خُطوِطهـا تُذرى على الرَّاقم

كتاب ابن حسنى إليه

وكتب إليه أبو القاسم بن حَي ، حاجب(٢) صاحب مالقة :

١٠

[كامل]

خُذها أبا عبــد الإله كما قضى حُكْمُ الوِداد على ذَوى الأَلبـابِ

نجوى آمرئ أصفَى إليك ضميره بالغَيب فِعــلَ خُلاصة الأحباب

مكاتبة الأولياء — أدام الله علاكم — فى حالى النأى والقرب تشد أَمراس الإخاء ، وتُبرِم عَقد الوفاء ، وتؤكد أسباب الِمقة والُحب ، لا سيما عند من يحقق أن المرء بأخيه كثير ، وأن الُحرّ إلى الآستكثار من الإخوان فقير(٣) . ولمـا كانت — أعزكم الله — أخباركم ترد علىّ ، وآثاركم تهدى إلى ، أزكى من الزهر ، وأرق من السحر ، واقترن بها وصول خطابكم الكريم ، الواقع منى مورده العذب موقع النسيم ، اهتززت إلى لُقياكم اهتزاز الغصن المَرُوح ، وارتحت إلى معانيه ما عرفتم به ارتياح الغريب إلى وطنـه غِبّ النُّزوح ، فإن سمح بذلك إخاؤكم الكريم ، قابلته — وإن كنت لم أزل أقابله — بمـا يجب من الشكر الجسيم ، والثناء العاطر الوَسيم .

١٥

٢٠

وله إلى قابس

وكتب من حضرة تونس إلى قابس ، وشاركه فى ذلك الفقير الكاتب أبو عبد الله التِّيجانى :

[طويل]

وأَورق(٤) مَنسوب لغـاية قابس بقلبىَ مِن ذِكراه جذوةُ قابِس

يُردِّد فوق البـاسقات هَـــديلَه فيُرقص أعطافَ الغُصون الموائس

(١) كذا فى الأصول .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى ب

(٣) ت : « لفقير » .

(٤) الأورق : البعير يخالط سواده بياض .

فكم صَفَّقت أجناحه وهو طائر كنَصفيق دارٍ للتّلاحين دارس
يُريك من المَرجان حُمْر أنامل ومن رائق الفَيْروز زُرق مَلابس
ويَنظُر عن ياقوتتَيْن تَودّ لو حوتْهنّ أجيادُ الحِسان الأَوانس
إلى مِثله تَصبو النُّفوس[1] محبةً ففيه غِنًى عن مُطرب ومُجالس
٥ عسى[2] آبن هَمُشْك أن يرى ما نرى به فليس وإن شَطّ المزار بآيس
ولم لا ولى عند آبن مكىّ الرِّضا ذَخيرة دار رسمها غير دارس
[B 37] /سيُهدى[3] مع المَلاّح زوجين منه أو سيبعث[4] لى زوجين صُحبة فارس
فكم من كريمٍ أقبلت منه تُحفة على نأى دارٍ وآتصال بسَابس
فوجِّه أبا مروان لى مُتفضلا به فلقد[5] عُوِّدت بَذل النفائس
١٠ يُسلِّى هُمومى حسنُه[6] وغناؤه فيُصبح من بعد الحَبيب مُؤانسى
عليكم سلامٌ من مُحبكمُ الذى يُحلِّى بعَلياكم صُدورَ المَجالس

كتاب ابن ياسين إليه

وكتب إليه الشيخ أبو على الحسن بن ياسين من ظاهر سبتة :

وصل كتاب الشيخ أبى عبد الله بن هَمُشْك ، وصل الله وداده ، ويَسَّر فى كُل صالحة مُراده ؛ وعُلِم مقتضاه من حفظ العهود ، والجرى فى حلبة الوفاء على السَّنن المحمود ؛ فشكر
١٥ الله ما أَولاه ، وأحسن جزاءه وتولّاه ، وبادر بتيقظه النبيه ، إلى التعريف بما وصل من اللطائف والتَّنبيه ؛ وأى لطائف مُعجبة ، ومحاسن مُعربة ؛ مثل ما أهديتم إلىّ من أدبكم ، وأوليتم من حدكم المعلوم من مذهبكم ؛ فلقد أوردتم من الأدب عذبا مَعينا ، وأوجدتم من مستطرف الأنس على الوحشة مُعينا ؛ فكتابكم نُصب الطرف فلا برح ودكم بمثله مُتحفا ، والدهر ببقاء جنابكم مُسعفا : [سريع]

٢٠ يا قمرَ الأُفق ونُور الصباح ومورد العَذب الزُّلال القَراح
فَضضتُ عن كُتبكم خَتمه كما يُفَضّ الختم عن صِرف راح

(١) ت : « يصبو الحليم » . (٢) ت : « يحيى » . (٣) ت : « سأهدى » .
(٤) ت : « ليبعث » . (٥) ت : « بهما فقد » . (٦) ت : « واعتناؤه » مكان « وغناؤه » .

وقلتُ لما راقنى حُسنُه ... مقال مَعنىً بلثم المِلاح
كأنما يَبسم عن لؤلؤ ... مُنضَّد أو بَرَد أو أقاح

وقد انتهى الثناء على حكم الاختصار ، مع أن الإطالة فيه أولى من الاقتصار ، ومدار المودة على المعتقد ، وقد حصلت منها على الإبريز المنتقد ، والله يُديمها فى ذاته ، ويحفظ على كمالكم حسن أدواته : ٥

وكتب إليه الحاج أبو الحسن على بن أبى الحسين ، المتقدم الذكر :

مما كتب به إليه أبو الحسن أيضا

[بسيط]

الحمد لله قد[١] عُوفيت من سَقَم ... ولُحت كالبدر موجوداً من العَدَم
وبشَّر الله إخواناً تُحبهم ... وهُم بحُبك ما حالُوا على القِدَم
يَدْعون منك أخاً برّاً بأجمعهم ... ما زال مُهْتبلا[٣] يُعْنى بأمرهم ١٠
سُررتُ لما وعى سَمعى بأنك قد ... أصبحتَ[٤] تركب أو تمشى على قدَم
وقلتُ والشوقُ يَطْويني وينشُرنى ... وقد ترنَّمتُ مِن لَحن[٥] ومن نَغم
/يامنزل ابن هَمُشْك لا خلوت من الـ ... أفراح والجاه والرَّاحات والنِّعم
[38 A]
وللرواقص والقَينات مُقتعد ... فى ساحة لك لا تخلُو[٦] عن الخَدم
مولاك مازال مغرى بالمِلاح و بالـ ... ألحان والراح والريحان والكرم ١٥

---

(١) ت : « المدة » .

(٢) ت : « إذ » .

(٣) مهتبل : مشغول .

(٤) ت : « أصبحت » .

(٥) ت : « فى بحر » .

(٦) ت : « القدم » مكان « الخدم » .

١٦ — الفقيه أبو الحسن بن الفضل

شيء عنه

أصله من أُوريولة(١) ، ولزم سُكنى إشبيلية ؛ فصار معدودا فى أعيانها(٢) ، واستقل بها فكاد يخلد فيها لو أن آمرأً يخلد ، وكان له فى أثناء تلك المهلة من أنواع التنعم ما لا يُحدّ ولا يعد ؛ وحسبك أنه لم يكد يوماً يخلو من وجه جميل ، وكأس وخليل ؛ وألحان تُطارب الثكلى ، ومحاضرات أشهى من بلوغ الآمال وأحلى ؛ ما بين قصور طريانه(٣) وشنتبوس(٤) ، والبساتين السلطانية والعُروش ؛ وكلما صعد المد ارتفع معه إلى فَم الخليج الباسم ، عن أزهاره ؛ فإذا نزل الجزر انحدر معه إلى حصن الفرح القائم خطيباً للذات ما بين رياضه وأشجاره .

من شعره إلى أبي عمران

وله الموشحات السائرة فى أقطار المشرق والمغرب . وأما شعره فوجدتُ بخط والدى : أنه كتب لى مرة ، وأنا بديوان الروم بإشبيلية ، من موضعه المعلوم بالزكاة :

[مديد]

يا أبا عِمران كُن لى مُخلصاً ... واتخذنى من كِبار الناصحين
قد حَبانا(٥) الله من إحسانه ... ما أثَرنا منه غيظَ الحاسدين
قُسِّمت من بيننا حِصّصٌ فلا ... نَدع اللذاتِ فيها أجمعين
لكَ عُشر الرُّوم فيها وأنا ... أبدا حظّى زكاةُ المُسلمين

قال : وكَتب لى مرَّةً اخرى من موضعه المعلوم بالمواريث إلى دار المُختص :

[خفيف]

يا خَليلى وأنت نِعم خليلٌ ... عَدِّ عمّن يَدين بالتُّرّهاتِ
وٱغتنم فُرصةَ الزمان وحظّاً ... قد أتى لم أخله فى الدّهْريات
قُسِّمت حِصَصٌ بيننا بٱعتدالٍ ... فكذا فَلْتكن من اللّذات
أنت تَجبى أحياءها دائمَ الدّهـ ... ـر وعندى جبايةُ الأموات

بينه وبين أبي عمران فى شأن ابن جامع

وسمعته يقول لوالدى ، وأنا حاضر : ما رأيت أكرم من الوزير أبى سعيد بن جامع ، ولا أحسن سياسة ، وكأن الله خلقه لغير الوزارة : لما طلعتُ إلى حضرة مَرّاكش سلمت عليه ، وترددت إليه ، وعرضت عليه يوماً قصيدة / رغبت فى رفعها للمستنصر ، [38 B]

---

(١) أوريولة (Orihuela) : حصن بالأندلس ، من كورتدمير .

(٢) هذه العبارة « من أنواع التنعم » ساقطة من ت . (٣) طريانه (Triana) : من كور إشبيلية .

(٤) شنبوس : Santiponce . (٥) ت : « حباك » .

فتبسم وقال لى : ٱجتمعْ فى شأنها مع الكاتب. فاجتمعتُ به . فأعلمنى أنهم أمروا ألا يَرفع إليهم شيئا[1] من هذا النوع . فصنعت هذه الأبيات وعرضتها على الوزير :

[خفيف]

يا إماماً له مِن الله حُكمٌ عادلٌ فى تصرُّف الأحكامِ
كيف يأبى المديحَ مَن بحُلاه ومَعاليه مِدحةُ الأيامِ ٥
هَبْك خَلَّيت حظَّ عَلْياك منه أين حظُّ الوُفود أهلِ النِّظام

فقال : هذا أحسن من طريق الأدب الذى قرأناه فى الكتب ، ولكن قواعد زماننا ما تَحتمل مثله ، بل التقرُّب[2] منه يُبعد، فما المطلب الذى جعلته إليه وسيلة ؟ قلت: شغل الزكاة والمواريث بإشبيلية ، من غير أن يكون للحافظ بها علىّ أمر ولا نهى . فقال : يُنظر فى ذلك . ثم لم تمر إلا أيام قلائل وكتب لى بذلك ، وزُوِّدت وانفصلت أحسن انفصال. ١٠

شعره فى مدح أبى العباس

ووقفت له على قصيدة يمدح بها أبا العبَّاس حين بايع لنفسه بإشبيلية ، مطلعُها :

[خفيف]

خدمتْك السيوفُ والأقلامُ ورعتْـك الشُّهور والأعوامُ

وكان مُعجبا بهذه البدأة . ويقال : إن الممدوح انتقدها لسوء التأويل[3] فيما ٱفتتح به صدراً وعجزا . ١٥

شعره فى مدح ابن هود

ومدح محمد بن هود فى أول دولته بقصيدة منها : [مخلع البسيط]

أحييتَ فى الناس يا ٱبن هُودٍ مُلكَ بنى هُـودِ الكِرامِ
ولم يزل أمرُنا قديمًا فى آل لَخم أو فى جُذام

يُشير إلى بنى عبّاد ، أعظم ملوك الأندلس ، وهم من لخم ؛ وهود من جُذام .

وسار إليه حين كان بغَرناطة فأقام بها مدة ، فقال — وهو مما لا يخفى مكانُه من الإحسان — : ٢٠

[متقارب]

سئمت المُقـام بغَرناطة وألسُن حالِى بذا تَنْطِقُ
وما أنكرتْ مُقلتى شخصَها ولكنَّها غيرَها تَعْشـق

(١) ت : «ألا يرفع إليهم شىء» (٢) ت : « التقرب » . (٣) هذه الكلمة ساقطة من ب .

وفاته

ثم كانت وفاته سنة سبع وعشرين وستمائة .

شعره فى محاربة أبى بحر

ومن محاسن شعره فى مجاوبة أبى البحر صفوان، صاحب كتاب «زاد المسافر»[1] وكان والدى لا يرى فوقه غاية فى مقصده : [سريع]

أنكرتُ أن راع الزمانُ أدبى — وهل رأيتَ ذا نُهًى مُؤَمَّنَا

٥ وفيك لم تَقْضِ الفُروض حقَّها — أفى تَرجو أن تُقيم السُّنَنا

[39 A]

من نثره إلى أبى عمران

/ وأما تَرسيله فمما يدُل على طَبقته قولُه فى رسالة خاطب بها والدى فى إحدى سفراته إلى مراكش :

وأما مانشأ من عجائب هذه السفرة التى أَطربت نوادرها ، وأضحكت مواردها ومصادرها ، حكاية شيخنا القاطى مع خديمه المراهق ، الأسمر الفائق ، ذى الطَّرف

١٠ الكحيل ، والخد الجميل ، والرِّدف الثقيل ، والخَصر الضئيل : [بسيط]

ذاك الذى مِتُّ من وَجدٍ به وغَدتْ — فيــه أحاديثُ جُلّاسى وسُمَّارِى

نَشوان من خَمرة الدَّل التى شَغلت — مَن ظَلَّ يعشقُه عن كُل خَمَّار

يا لها أُعجوبة طريفة ، أطرف من فقه أبِى حنيفة : [مجتث]

أعجوبةٌ ما سمعنـا — بأختها فى أوانِ

١٥ قد صار شيخُك منها — أُضحوكةً فى الزَّمان

وذلك أنّا لمـا خرجنا من عين القِدح قاصدين قصر كُتامة ، ظهر من هذا الشـيخ فى هذا الأسمر ما لم يظهر من الذى تمنَّى أن يكون هامَه[2] ، وصار يغار عليه من الألحاظ ، ولا يبرح متى كلم أو نظر يغتاظ ، إلى أن وصلنا إلى وادى المخازن ، والسيلُ قد ضاقت بطلائعه صَدره ، وهو أبداً يزيد مدُّه ولا يُلم به جَزْره ، ولم يَسع الوقت جوازُ الشيخ والغلام ،

٢٠ بل بادر بتَجويزه وقد أقبلت كتائب الظلام . فلما أن دخل الشيخ فى ذلك الجانب ، بعـد

(١) هو « زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر » لأبى بحر صفوان بن إدريس التجيبى المرسى . وقد طبع ببيروت (١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م) .

(٢) الهـامة : طائر يخرج من رأس الميت إذا بلى .

اللتيا والتى من خوض ذلك العُباب[١] ، منع الوادى نفسه بمزاحمة[٢] المياه ، وبقى الشيخ فى أعظم مصاب ؛ وكنت يا أخى فيمن ظفر بالمجاز[٣] ، وحصلت له الحقيقة بعد المجاز :

[وافر]

فبات الشيخُ فى همٍّ وغمٍّ ضجيعَ الفكر والحُزْن الطويل

وبتُّ ضجيعَ أسمره أُنادى بحىَّ على التواصل والوُصول

فلا تسأل — فديتُك — عن مَبيتى هناك وسَل صِحابك عن مَقيلى

ثم إنه لما وضح النهار ، وأصبح الشيخ كالمولّه لفقد الجوار ، اكترى الشيخ مَن سبح به إلينا ، وأرسل الله منه نقمةً علينا . وجمله الأمر أنا ظفرنا ليلة برب هواه ، وصفعنا نهاره جميع قفاه .

---

(١) ت : « المغاب » .

(٢) ت : « من مزاحمة » .

(٣) ب : « وكتب يا أخى من ظفر بالمجازى » .

١٧ — أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز بن صاحب الرد(*)

شيء عنه [39 B]

بيته بإشبيلية من أجلّ البيوت ، ولم يزل له مع تقلّب الزمان ظهورٌ وخُفوت ؛ /إلى أن كانت دولةُ ابن هود فكان ابن صاحب الرد هذا مَن أشعل فتنها ، وشَعَّب(١) إحَنها . ولّاه فى أول أمره معقل رُنده(٢) ، فخدع عقله بأن جعل حكم السيف فى يده ، وإنما استدرجه بذلك للخروج عن بلده . وحضرت مع والدى على رُندة وأمرها إليه ، فعُجنا الركاب عليه ؛ وأقمنا فى ضِيافته مدة ، واستفدت من محاضراته وكتبه فوائد عدة ؛ وكان الرجل أديبا شاعرا ، ذوّاقا لأطراف العلوم ، يغلب عليه الذكاء حتى يُميله إلى التهور والحدة المفرطة . ثم وصل إلى إشبيلية فجعل يطعن على وُلاة ابن هود ، إلى أن أمكنته الوثبة فأخرج أخاه سالم ابن هود منها ، وجمع أشياخها . ولم يشكّ أحد أنه يطالب الأمر لنفسه . فقدّم ابن عمه أبا مروان أحمد بن محمد الباجى وخرج يذُب عنه بمن اجتمع له من الجند ، وانتقل من الكتابة والقلم ، إلى السيف والعلم ، وأخذ بقول الشاعر فى ترك الدفاتر ، للزمان(٣) الغادر .

فحمل فى العرب حملة لم يكن عنها رُجوع ، وبات لديهم بليلة نابغيّة لم يدر فيها طعم الهجوع . ثم أرادوا التقرّب به لابن الأحمر المستحوذ حينئذ على قُرطبة وحظُّوه فى يديه . فأقام عندهم أشهرا ثم أطلقه على أن يسعى له فى شأن إشبيلية . فلما حصل بها مع ابن عمّه الباجى لَهَا(٤) عن ذلك . ثم احتاجوا إلى الاستنصار بابن الأحمر على ابن هود فنصرهم ، وقد نوى الفتك بهم . فلما فرغوا من هزيمة ابن هود على حصن الفرح ، واتفقوا على الخروج والمساعدة على أخذ شريش وغيرها مما هو فى طاعة ابن هود ، وثب عليهم بظاهر إشبيلية فى الأخبية ، ثم ضرب أعناقهم وملك بلدهم ؛ وذلك فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

من شعره

ومن شعر أبى بكر فيما كان يرومه فيخوِّفه منه الناظرون فى العواقب ، قولُه من قصيدة : [رمل]

مُرَّ مَرَّ السَّيل لا ترجعْ إذا ... خَوّف الناهى وقد طاب الحِمامْ

وآعلمنْ أنّ المَنايا قُدِّرت ... فى مِهاد الأمن أو حدّ الحُسام

(*) نفح الطيب (٤ : ٢٩٢) .

(١) ت : « وشغب » .

(٢) رنده .

(٣) ت : « الفاتر » .

(٤) لها ، أى صرف وانشغل .

شعره فى غلام

ومن لطائف الشعر فى غلام كان أدباء إشبيلية قد فُتنوا به ؛ وكان مروره على دار أبى بكر الأستاذ الذى يقرأ عليه القرآن[1] ، فكان ربما اعترضه ومازحه :

[سريع]

[40 A]

/ياأبدعَ الخَــلْقِ بلا مِرْيةٍ وجهك فيه فتنةُ النّاظرينْ

٥ لاسيما إذ نتقى خطرةً فيغلب الوردُ على الياسمين

طُوبى لمن قد زُرته خاليًا فمتّع النفسَ ولو بعد حِين

من ذلك الثغرِ الذى وَرْدُه ما زال فيـــه لذةُ الشاربين

وما حَوى ذاك الإزار الذى لم يَعْــد عنه أملُ الزائرين

وله معه النادرة الشائعة بإشبيلية : حُكى – والله أعلم بالحقائق – أنه أعطاه فى زيارة خمسين دينارا ، ومرت أيام فصادفه عند داره فقال : هل تُريد أن أزورك ثانية ؟

١٠ فقال له أبو بكر فى الحين : لايلدغ المُؤمن من جُحر مرّتين .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ت .

١٨ — أبو جعفر أحمد بن طلحة(*)

شيء عنه

من بيت مشهور بجزيرة شُقر من عمل بلنسية . كتب عن وُلاة من بنى عبد المُؤمن، ثم آستكتبه آبن هود[1] حين تغلّب على الأندلس ، وربما آستوزره فى بعض الأحيان . وهو ممن كان والدى يُكثر مجالسته، وبينهما مُزاورة كثيرة ، ولم أستفد منه إلا ما كنت ٥ أحفظه من مُجالسته .

بينه وبين ابن سعيد

وكان شديد التهور كثير الطيش ، ذاهبًا بنفسه كل مذهب . سمعتُه مرة يقول، وهو فى محفل : تُقيمون القيامة بحَبيب، والبُحترى، والمتنبى ! وفى عصركم من يهتدى إلى مالم يهتدوا إليه ! فانبرى له شخص له حِقه وإقدام ؛ وقال : يا أبا جعفر ، فأَرِنَا بُرهان ذلك، وما أظنك إلا تعنى نفسك . قال : ما أعنى إلا نفسى ! ولم لا ، وأنا الذى أقول مالم ١٠ يَهتد إليه متقدِّم ولا يَهتدى لمثله متأخر :

[سريع]

ياهَل ترى أَظرفَ من يومنا	قلّدَ جيدَ الافق طوقَ العقيق
وأنطق[2] الوُرْق بعيدانها	من فضة كُلَّ قضيب وَريق
والشمس لا تَشرب خمر النَّدى	فى الرَّوض إلا بكؤوس الشَّقيق

فلم يُنصفوه فى الآستحسان ، وردّوه فى الغيظ إلى أشدّ مما كان . فقلت له : ياسيدى ، ١٥ هذا والله السحر الحلال! وما سمعت من شعراء عصرنا مثله ، فبالله إلا مازدتنى من هذا النمط . فقال : لله درّ أبيك من مُنصف آبن مُنصف ! آسمع وافتح أذنيك ؛ ثم أَنشدنى قوله :

[وافر]

٢٠ أَدِرْها فالسماءُ بدتْ عَرُوسًا	مُضمَّخة المَلابس بالغَوالى
/ وَخدُّ الروض خَفَّره أصيلٌ [40 B]	وحِقْو[3] النَّهر كُحِّل بالظِّلال
وجِيد الغُصن يُشْرف فى لآل	تُضىء بهن أكنافُ الليالى

(*) نفح الطيب (٤ : ٢٨٤ و ٥ : ٣٥ ، ٢٨٤) المقتضب من تحفة القادم (ص ١٥٧) المغرب (٢ : ١٣٦) الاحاطة (١ : ٢٤٤ — ٢٤٥) .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود . مات مقتولا سنة ٦٣٥ هـ .

(٢) ت : « وانطلق » . (٣) الحقو ، بالفتح والكسر : الكشح . يريد الشاطىء .

فقلت : بالله أعد وزِد . فأعاد والارتياح قد ملأ عِطفه، والتيه قد رفع أنفه، ثم زاد قوله :

[سريع]

لله نَهـــرٌ عنـد ما زُرته عاين طَرفى منـه سِحراً حَلالْ

إذ أصبح الطَّـلُّ به ليـلةً وجال منها[1] الغُصن شبهَ الخيال

فقلت : ما على هـــذا مَزيد فى الإحسان ، فعسى أن يكون المَزيد فى الإنشاد . فزاد ارتياحه وأنشد : ٥

[وافر]

ولما ماج بحرُ الليـل بَينى وبينكمُ وقـد جَدَّدتُ ذِكْرا

أراد لقـاءكم إنسانُ عَينى فمدّ له المَنـامُ عليه جِسرا

فقلت له : إيه ! زادك الله إحسانا ! فزاد :

[وافر]

ولمّـا أن رأى إنسانُ عَينى بصَحن الخـدِّ منه غريقَ ماءِ ١٠

أقام له العِذارَ عليه جِسرا كما مدّ الظلامُ على الضيـاء

فقلت : كل ما يكرَّر ويطوَّل فإنه مملول ، إلا ما أوردته آنفا فإنه كنسيم الحيـاة ما إن يمَل ، فبالله إلّا تفضلت بالإعادة والزيادة . فأعاد ثم قال : وهذا حسبك لئلا تكثر المعانى عليك فلا تقوم بحقّ فهمها وإنصافها . ثم أنشد إذ ذاك :

[كامل]

هاتِ المُدام إذا رأيتَ شبيهها فى الأُنْق يا فرداً بغير شَبِيهِ ١٥

فالصُّبح قد ذَبح الظلامَ بنَصله فغَدت تُخـاصمه الحمـائمُ فيه

فقلت : مَلأ الله سمعك بكُل بُشرى ، فما زالت المحاسن على مَن قبلكَ تترى .

وله فى علج لابن هود

وكان قد تهتك فى عِلج لابن هود . ولكثرة هزائم ابن هود ربمـا انهزم ابن طلحة مع العلج فباتا على ما ذكره :

[مخلع البسيط]

يا ملكاً لى أنْ أراه يَنهزمُ الدهرَ للأعادى ٢٠

معنًى له ألفُ ألفِ سرٍّ لا يخرج الدهرَ من فؤادى

---

(١) ت : « فيها » .

كم بتُّ فى قفرة وظبىٍ عليه ما مال من[1] بجادى
فقلتُ والقلبُ من حبيبٍ ومن عدوٍّ لدى جهاد
ما لم يزل لى بك انهزام نلت فلا أيّدوا مرادى

[41 A] ومن محاسن شعره

/ ومن محاسنه فى هذا المعنى قوله :

[وافر]

ألفتُ الحربَ حتى علّمتنى مُقارعَة الحَوادث والخُطوبِ
ولمْ أكُ عالمًا وأبيك حرباً بغير لَواحِظ الرِّشأ الرَّبيب
فها أنا بين تلك وبين هذى مُصابٌ من عدُوٍّ أو حَبيب

فراره وما كان مع قائم سبتة

ثم إنه لما حضر ابن هود وقعة حصن الفرج فانهزم ، فرّ بالعلج المذكور ، واختفى فى بعض قرى الشرف ، ثم نزع إلى إشبيلية وأحسن لقاءه وحباه صاحبه أبو بكر بن صاحب الرد ، واعتكف مع العلج المذكور فى وادى إشبيلية مصعدا ومنحدرا ، ومتسترا ومشتهرا ، إلى أن جرت كائنة قتل ابن صاحب الرد ، ثم رجوع إشبيلية لابن هود ، فهرب بالعلج إلى سبتة ، فأحسن له القائم بها أبو العباس الينشتى[2] ، فلم يقنع بذلك الإحسان وكان يستريح بما يوغر صدره. قال الينشتى يوما فى مجلسه : رميت يوما بسهم رمية ، فبلغ السهم إلى كذا وكذا — ذكر أمدا بعيدًا — فقال ابن طلحة إلى شخص بجانبه : والله لو كانت قوس قزح! فشعر الينشتى إلى أنه قال مايشبه ذلك . فلما انفصل المجلس استدعى ذلك الشخص وعزم عليه أن يحكى له ما سازه به . فأخبره . فأسرّها فى نفسه . ثم بلغه أنه هجاه بقوله :

[وافر]

سَمِعنا بالموفّق فارتحلنا وشافِعُنا[3] له حَسب وعِلمُ
ورُمْت يداً أُقبلّها وأخرى أعيش بفَضلها أبداً وأَسمو
فأنشدنا لسانُ الحال عنه يدٌ شَلّا وأمرٌ لا يَتم

---

(١) ت : « نجادى » . (٢) ب : « البنشى » . (٣) ت : « وشفعنا » .

فزاد ذلك فى حنقه وبقى يترصّد له الغوائل ، وكان له عليه أُذن ممن يشرب معه . لحفظ عنه أبياتا قالها فى شهر رمضان ، وهو على حالة استهتار :

[وافر]

يقول أخو الفُضول وقد رآنا ... على الإيمان يغلبنا المُجُونُ

أَتنتهكون شهر الصَّوم هلَّا ... حماه منكمُ عقل ودِين ٥

فقلت اصحب سوانا نحن قومٌ ... زنادقةٌ مذاهبُنا فُنُون

نَدين بكُلّ دين غير دين الرِّ ... عاع فمابه أبداً نَدين

فحَيَّ على الصَّبوح[1] الدهرَ ندعو ... وإبليسٌ يقول لنا أمين

فيا شَهر الصيام إليك عنّا ... إليك ففيك أكفرُ ما نكون

فأرسل إليه مَن هجم عليه وهو على هذه الحال ، وأظهر إرضاء العامة بقتله / وذلك فى سنة إحدى وثمانين وستمائة . ١٠ [41 B]

(١) ب : « الصباح » .

١٩ – أبو بكر بن البناء محمد بن أحمد الإشبيلى (*)

شىء عنه

كان أبوه أحمد بنّاء بإشبيلية فنشأت مع ولده همّة من صغره، بلّغته ما شاء من وطره، فاعتكف على القراءة والنّسخ مدة، وكتب عن وُلاة عدة، ثم اختص بالكتابة عمن صار أمر إشبيلية إليه، وصار كل امرىء منهم لا يعتمد فى أسراره ومشاوراته إلا عليه، فانتقل من خُطة الأقلام، إلى الخوض فى النقض والإبرام. وكان مُتّسما بالعفاف والكفاف، وطاب العافية وتوطئة الأكناف، ثم أخرجت منه الليالى والأيام، ضَرَم[1] فتنة وصاعقةً لا تُدفع ولا ترام. عهدى به رئيس بيت الكتّاب فى دولة الباجى وابن صاحب الرد، وهو المشير الذى له فى تلك المحن الإمضاء والرد. ثم امتدت به المهلة[2] إلى أن صار أمر ابن الجد فى يده، وبلغه ماساءه[3] من ذوى منافساته فى بلده، وكان أحقد من دبّ ودَرج، فظهر له فى تلك الرياسة ما نقل عمله[4] المستعمل الى الهرج .

رأى أبى عمران فيه

وكان كثير الصحبة لوالدى والملازمة لمجالسته، وهو أحد من استفدت منه ومن كتبه ومن مجالسته ومذاكرته. فقال لى والدى يوما، وقد مررنا فى مدة الباجى: ما رأيت أعجب من أمر هذا الرجل! هو فى أحواله على ضد ما عند الناس، عُرف بالتّنميس[5] فى الدّين وأهون ما عنده أن يسعى فى سفك دم إنسان، تخاصم مع وكيل له فى شبر من أرض .

وعُرف بالتواضع ولو عاشره عمارة بن حمزة، والفضل بن يحيى، وعبد الله بن ظَبيان، لتعجبوا من هيئته وإعجابه بنفسه وذهابه بها الى ما تُقط دونه الرءوس .

وعرف بالكتابة والإمامة فى طريقتها، ولو فُتشت رسائله لم توجد له نادرة ولا فصل مستطرف، وما كان إلا ناسخ رسائل الناس .

وعُرف بيُمن النّقيبة والوفاء لمن يستكتبه، وقد عددت خلقا ممن كتب عنه فحلّت به فاقرة[6].

إلا أنه عند ما يدبر أمره أو يُعزل يتحيّل فى الانفصال منه، فلا يُنسب له ما يحل به، لا يظهر إسلامه له. وإلا فما رأيناه قط سافر مع والٍ عُزل عن إشبيلية، وترك بسبب الوفاء له وطنه .

(*) المغرب (١ : ٢٤٩)

(١) الضرم، بفتحتين: مصدر «ضرم»: اشتعل. والذى فى الأصلين «صرم» بالصاد، والصرم: القطعة والجماعة .

(٢) ب: «ثم أمدت به الموب إلى». (٣) ع، ت: «ما شاء». (٤) ت: «عقله».

(٥) التنميس: التلبيس. (٦) فاقرة: داهية.

[42A] قال/: والحقيقة فى أمره أنه أشأم الناس على من كتب له وأسعدهم فى خاصة نفسه، لم تجر قط عليه نكبة ، مع ما قاسى من آختلاف الدول وآشتعال الفتن . وآل به الأمر أن خرج من إشبيلية حين آستولى عليها النصارى فى أول شهر رمضان سنة ست وأربعين وستمائة ، ومات بسبتة فى شهر شوال منها .

٥ وكنت قد كتبت من نظمه ونثره كثيراً ، ثم تفقّدته بعين الانتقاد فنبذت الجميع ، إذ لم أر فيه من غريب ولا بديع ، ولم يتعلق بخاطرى من شعره فى هذا الوقت إلا أبيات له من قصيدة مدح بها الباجى وآبنى عمه، ووزيريه : أبا بكر بن صاحب الرد، وأخاه أبا عمران؛ وكان معجبا بإنشادها ، ومُنعماً على السامع بإيرادها :

[سريع]

١٠
أنتم وُلاة الأمر رغماً على ... آناف[1] أعداءٍ وحُسّادِ
فى ضِئضِىء المجد[2] اشتركتم وفى ... بحبوحة الرأى لدى النّادى
ثلاثة مثل الأثافى على الرأ ... ى الذى يعدو على العادى
هُزّوا بما أعليتم قُبّة الـ ... قصر وهزوا قُبة الوادى

وهذا النمط كما تراه ، هو المختار مما كتبه سامعه ورواه .

١٥ بين ابن سعيد وبين أبيه فى شانه

وسألته يوماً بحضر والدى أن ينشدنى شيئاً من غزله ، فاعتذر وخجل وفكّر ولم يأت بشئ . ثم آنفصلنا فقال لى والدى : ما إخالك تعقل[3] ، هذه صورة ينطبع فيها عشق أو آرتياح أو شئ من أسباب الرقة ، إنما أسأل منه أن يُنشدك فى فتنة أو سخط أو بلاء ، فطبعه أميل الطباع إلى ذلك .

شعره فى رثاء أبى حفص ٢٠

وتراخت المدّة بعد مفارقته إلى أن لقيت الكاتب أبا عبد الله بن الأبار البلنسى بحضرة تونس ، فأنشدنى لابن البناء المذكور ما لم أر فى شعره مثله ، وهو قوله فى رثاء السيد أبى عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن ، وقد عُزل عن بلنسية وولى إشبيلية فمات بها :

[طويل]

كأنك من جنس الكواكب كنتَ لم ... تفارقْ طُلوعاً حالها وتواريَا
تجلّيت من شرق تروم تلاليا ... فلما آنتحيت الغربَ أصبحتَ هاويا

---

(١) ت : « أنوف » . (٢) الضمضىء : الأصل .

(٣) ت : « ما أقول لك » مكان « ما إخالك تعقل » .

٢٠ — أبو القاسم أحمد بن محمد البلوى الإشبيلى (*)

شىء عنه

[42 B]

كاتب شهير المكان فى الصناعة ، أديب غير مرضىّ (١) البضاعة ؛ ولم يرزقه الله كتبا ينتفع بها ولا جلسا يُنتاب ، لحرمانٍ لزمه ملازمة / التطيُّر للغُراب . عهدى به فى إشبيلية حيثما ألقاه لا يأخذ إلا فى زَمانة (٢) الزمان ، وخيانة الإخوان ؛ حتى صرتُ أتراوغ عن لقائه ، ٥ وأدعو الله ألا يُعذِّبه بطول بقائه .

من شؤمه

كتب عن جماعات من سادات بنى عبد المُؤمن الوُلاة ، ثم صار مَشئوم الطالعة لشؤم اشتهر به مع جرى القدر بقلة رزقه وانقطاع سببه ، فلا يتعرّض لرئيس فيَستكتبه ، ولا يأخذ فى صحبة نبيل فيَصحبه .

كتابه وقصيدة له

وصنف كتاباً فى رسائل كتّاب عصره ، ترجم فيه خَبره عن خُبره . واشتهرت له بدأة ١٠ قصيدة انتقاها أبو العلاء ، حين جلس للهناء ، بقُبة وادى إشبيلية ، وقد جاءت البشائر بقتل البيّاسى ، الذى أضرم الأندلس نارا ، وهى : (بسيط)

* ياهبّة السعد هُزِّى قُبة الوادى *

لم ألق بإشبيلية من الأُدباء والشعراء إلا مَن يحفظها و يلهج بذكرها ، ثم لا يحفظون مابعدها .

من شعره

ومما أنشدنيه أبو القاسم لنفسه ، وهو فى بيته كأنه فى رَمسه : [وافر]

١٥ لمن أشكو مُصابى مِن (٣) البَرايا	ولا ألقى سوى رجُلٍ مُصابِ
أُمور لو تدبَّرها (٤) حكيمٌ	لعاش مدَى الزمان أخا اكتئاب
أمَا فى الدهر مَن أفضى إليه	بأسرارى فيُؤنِسَ بالجَواب
يئستُ من الأَنام فما (٥) جليسٌ	سَرَى عنّى الهُموم (٦) سوى كِتابى

وقوله : [متقارب]

٢٠ لَبُعد حَبيب إذا ما حَصَلْ	وقد فَنِيتْ فى رضاه العِلَلْ
وقُربُ عدوٍّ على فَجأة	حَسودٍ حَقُودٍ كثيرِ الحِيَل

(*) نفح الطيب : (٤ : ٣٠٠) .

(١) ت : « مزجى » .

(٢) زمانة الزمان : أى آفته ، وما يصيب به .

(٣) ت : « فى » .

(٤) ت : « حليم » مكان « حكيم » .

(٥) ت : « فما جليس » .

(٦) ت : « وعزعلى نهاى » .

ولُؤْمُ صَديقٍ على غَفلةٍ أوانَ[1] إليك سَعى وآرتحل
فأَحوجك الدهرُ يوماً له وقد نهضتْ بمُناه الدُّوَل
أخفُّ على ناظرى طلعةً من الشَّيب إذجاء قبل الأَجل
وولّى الشبابُ ولم أَقْضِ من زيارته ورِضاه الأَمل
فطُوبى لمن مُتِّعت نفسُه به ثُم فى ذَيله قد رَفل

٥

وأنشدنى قصائد طويلة تَدُل على طُول نفسه ، وشدّة مرسه[2] .

وكتبت من تَرسيله هذه الفصولَ ، وآختصارها عُنوان عما يطول :

من رسائله

فصل :

وما كتبتُ إليكم يا أخى المُشفق الحَدِب هذا الكتابَ ، إلا وأنا مولَّه العقل ممّا حلّ بى من آعتداء الزمان وخِذلان الأصحاب ، وأشدّ من ذلك / اختلالُ أحوال ربّة الدار ، وكونها جارت فى أفعالها وأقوالها وجرَت على غير الآختيار :

١٠ [43 A]

[بسيط]

عندى من الحُزن ما لو أنّ أيسره يُلْقَى على الفَلَك الدوّار لم يَدُرِ

وكيف يهنأ العيش مع سوء الحال باطنا وظاهرا، وواردا وصادرا ؛ أحيانى الله بالحِمام، وحيانى بحُلول دار السلام .

١٥

فصل :

لا مُشتكى يا أخى إلا إليك ، وإن كنت أُورد من ذلك ما يشُق عليك، لكنى أعلم حُسن مشاركتك فى السرّاء والضرّاء ، ومُحافظتك على شُروط الوداد والإخاء . أصبح أخوك بهذه البلدة أفرغَ مما[3] يجلب الرزق من حجّام ساباط[4] ، وأشغلَ فيما يُثير الأفكار من ذات النِّحيين[5] ولم يكن لها المسكينة بذلك الشغل آغتباط .

٢٠

(١) ت : « وإن » . (٢) المرس : الممارسة وشدة العلاج . (٣) ت : « عما » .
(٤) ساباط : بالمدائن . وكان فيها حجام يحجم الناس بنسيئة ، فإن لم يجد أحد حجم أمه ، حتى قتلها . تضرب به العرب مثلا . (٥) النحى : الزق . وذات النحيين : امرأة من تيم الله ابن ثعلبه ، وكانت تبيع السمن فى الجاهلية ، فساومها خوات بن جبير ، فحلت نحياه مملوءا ، فقال : أمسكيه حتى أنظر غيره ، ثم حل آخر وقال لها : أمسكيه فلما شغل يديها ساورها حتى قضى ما أراد وهرب .

فصل :

ولو شاهدتَ ما نحن فيه من اشتعال الفتنة ، واشتغال أصناف الناس بأنواع المحنة ؛ لذُهلت عن تلفيق كلمتَيْن ، وحَمدت الله فيما حَماك به عن هـذا الموطىء المَسخوط عليه من البَين ؛ سيف مجرّد ، وخَيْف[1] محدّد ؛ وحقد لا يَقتصر على النفوس، وغِل لا يُشفى

٥ إلا بقَطف الرءوس .

وفاته وكانت وفاة هذا المُمتحن بخاطره المولّه ، فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، بعد ما فارق[2] من الوسواس عَقله .

(١) الخيف : جمع خيفة ، بالفتح ، وهى السكين . وفى ت : « حيف » بالحاء المهملة .

(٢) ب : « ماق » . وماق : حمق والتاث .

٢١ — أبو الربيع الدانى سليمان بن أحمد بن على بن أبى غالب(*)

ثى ٤٥ من بيت مشهور بدانية نبيل المراتب . كان أبوه أبو جعفر قاضيا بمالقة . وله شهرة بالعفّة والأدب والقصائد فى أمـــداح أرباب الدولة . ولم يزل ملحوظ المكانة ، موصوفا بالجلالة والصيانة ، إلى أن جرّت الأقدار إليه ، أن أودع الجزيرى المشهور بالإنكار والقيـام حين أُخذ فى يديه . فيقال إن امرأة القاضى أشفقت عليه فأطلقته . ويقال إنها ارتشت عليه بمال باعتْ فيه دم بعلها ، وأوردته شر المواردبذميم فعلها . رُفعت القضية للمنصور فخرج أمرُه بأن يُضرب ألف سوط ثم يُصلب . فكان ضربه بإشبيلية . فلمـا انتهى إلى خمسمائة خرجت روحه ، فضرب بقية الألف حتى تناثر لحمه . فقال ابنه أبو الربيع يرثيه ، بما برّز على من سلك ذلك المسلك وافتنّ(٢) فيه : [بسيط]

[43 B]

/ جهلا لمثلك أن يبكى لمـا قُدِرا ... أو أن يقول أسًى ياليته قُبِرا

فاضت دموعُك أنْ قاموا بأعظُمه ... وقـد تطاير عنها اللحمُ(٣) فانتثرا

وأوثقوه إلى شمّـاءَ ماثلة ... يُنكّس الطرفَ عنها كُلُّ من(٤) نظرا

ضاقت به الأرضُ ممّا كان حمّلها ... مِن الأيادى فجمّت شِلْوَه صجرا

وعزّ إذ ذاك أن يحظَى به كفن ... فما تسربل إلا الشمسَ والقمرا

لم تضحِ(٥) أعظمه يوما ولا ظمئت ... دمعى لهن وقلبى مُزنةٌ وثرى

يا أحمدَ بن علىٍّ هُبَّ مِن وَسَنٍ ... فما عهدتك تكرى(٦) قبلها سحرا

تاق الدجى والمُصلى تحت غيهبه ... إلى تلاوته(٧) الآياتِ والسُّورا

ثم أُنعم عليه بدفنه ، فقال حين دفنـه وقد غُصّ بماء جفنه : [وافر]

خليلى لو ترى فى حِمْص دفْنى ... أبى لهجرتَ طعْمك والمنـاما

أُواريه بسترٍ مِن ضَريح ... كأنّى مُغْمِد منه حُسـاما

كأنّ محاجرى ودقت(٨) لديه ... عشيةَ قُمت أدفنه غمـاما

(*) المغرب (٢ : ٤٠٦) نفح الطيب (٤ : ٢٨٧) . وفى ت « بن أحمد بن غالب بن أبى غالب » .

(١) ب : « الحريرى » . (٢) فى ب ، ت : « وأفتى » .

(٣) ت : « وانبترا » . (٤) ت : « ما » .

(٥) لم تضح ، أى لم يصبها حر الشمس . (٦) تكرى : تنام .

(٧) ت : « تلاوتك » . (٨) ب ، ت : « ورثت يديه » . وظاهر أن صواب العبارة ما أثبتنا .

تتمة الحديث عنه

وتعلّق ابنُه[1] بطريقة الكتابة، فأبلى فيها شَبابه ؛ ثم مال فى شَيَخه[2] إلى طريق التوثيق، وتمدّح فى أثناء ذلك أربابَ الدولة بما يُنفِّس عنه بعضَ الضّيق . عهدى به بإشبيلية يجالس والدى كثيرا ، إذ كان شريكه[3] قبل ذلك فى كتابة السيد عبدالواحد بغَرناطة . واستفدتُ منه فى ذلك الأوان فوائد، ثم تضاعفت أيام اجتماعنا بمرّاكش فى تلك الأزمات والشدائد.

٥ ولما بُويع صاحبه أبو محمد عبد الواحد بمراكش اختصه بالاستدعاء ، وجزاه على سالف خدمته من الإحسان أعظمَ الجزاء ؛ ثم لم تَطُل المدة، حتى حصل بعد خلع مخدومه فى شدة؛ وتقلّبت به الفِتن ، ولم يَخْل فى وقت من شكوى زمن ؛ إلى أن وقع فى المحنة العظمى، بدُخول يحيى بن الناصر مراكش ومدحه إياه بالقصيدة التى اشتهر منها هذا البيت :

[بسيط]

فَمُلْكُ يحيى حياةٌ لا نَفادلها ورُكن إدريس واهى الرُّكن مُنْدرِسُ

١٠ موته

فسار هذا البيت حتى خاف من أَجْله حُلول أَجَله ، فاستتر مدة ثم شرد على البلاد إلى أن مات سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

من شعره

وسمعت منه ، ومن والدى عنه ، مقطّعات لم أرض منها ، مع ماتقدم ، إلا قولَه :

[رمل]

الذى أهواه يَدرى أنّنى هالكٌ فيه ولا يَرحمنى

[44 A] / والذى يلْحَى عليه ناظرى حُسنُ خدَّيه ولا يَعْذرنى

١٥ كُلّ أحوالىَ فيه عَجَب وهواه بعد ذَا يُعجِبنى

وقوله :

[مجتث]

مصاحبى الضيف مهلا ليسوا بأهل ودادى

لا أُحسن الظنّ فيمن مُرادُه كمُرادِى

وكيف آمَنُ شخصًا صلاحُه فى فسَادى

---

(١) ت : « أبوه » .

(٢) الشيخ ، بالتحريك : الكبر ؛ مصدر : شاخ يشيخ .

(٣) ت : « شريكا له » .

ومما يدلك على منزع نثره، هذه الفصول المُقطّعة من رسائله فى حُلْوه ومُرّه :

من نثره

فصل :

فكتبناه لكم[١] [كتب الله لكم[٢]] نظرا يصلح أفكاركم[٣] ؛ ويؤمن جهاتكم وأقطاركم – من غرناطة – حرسها الله. وليس شىء بفضل الله وبركات الأمير – خلده الله – له عوارف السعد المتوالى إلا كل ما يسر سماعه الأولياء ، ويسوء الأعداء . والحمد لله الذى قضى لنا بذلك ، فهو المتصرف المالك. وقد رأينا – ونسأل الله ألا يعدل بنا عن الرأى الذى فيه النجاح ، ولا يضفى عليكم منّا غير ملابس الخير والصلاح – أن نُقدِم عليكم القائد الأجل أبا فلان سدد الله مقاصده ، وأنجح لديكم مَصادره وموارده . وقد أوصيناه بما يُوجب الشكر من المخلوق ، والأجر من الخالق ، وهو على ماجربناه ناهض عاقل مجرب صادق .

٥

فصل :

١٠

وبعد . أبعد الله عنك مايكدر خاطرك ، ويقذ[٤] فى ناظرك ؛ فإنى كتبته إليك ، وأنا اعتمد فى النظر كيف يكون الخلاص عليك ؛ من مَرّاكش جبر الله صدعها ، وأذهب ضُرها وأعاد نفعها ؛ وأحوالها قد تحولت ، ودُولها قد تنقّلت ؛ والرأس قد عاد ذَنبا ، والذّنب قد أصبح رأسا متوّجا معصّبا ؛ والفتنة على ساقها قائمة ، والحرب[٥] مع اختلاف الليل والنهار دائمة .

١٥

فصل :

كتب مُجِلُّ مقداره ، ومُلتزم إجلاله وإكباره ؛ المُثابر على حفظ عهده ، المُناظر على ما لا يختلف فيه غير حاسد من كَريم مجده، فلان بن فلان بن فلانة؛ والحال بنعم الله حالية، والآلاء بفضله متوالية ؛ وعندى من حسن المُعتقد لفضلكم ، مايكون عند من عرف مقدار فرعكم وأصلكم ؛ وصله الله فى ذاته ، وجعله مبلغا لمرضاته .

٢٠

---

(١) ت : « إليكم » . (٢) التكملة من ت . (٣) ت : « أنظاركم » .
(٤) يقذ : أى يؤذى . (٥) ب : « والفتن » .

٢٢ — أبو العلاء بن عبد الحق بن أبى على بن حسان المرسى (*)

[44 B] شئ عن جده

من بيت شهير بالحسب ، موصوف بالكتابة والأدب . كان جده أبو على / كاتبا لابن مَردنيش صاحب مُرسية ، ثم توالت الأحوال المُنسية ؛ فصارمع الموحدين ، وحل منهم بالمكان المكين .

٥ زواجه ببنت أبى محمد بن عطية

وكان بينه و بين أبى عبد الرحمن بن طاهر رئيس مُرسية مُمازحة ، فاستشاره يوما فى الزواج فأشار عليه ببنت أبى محمد بن عطية صاحب التفسير ، وقال : إنها كانت فى عصمتى ثم خرجت عنى بائنة ولا أرتهن لك فى مرآها(١) . فهى بمكانٍ لمن يرغب فى الدين والدنيا . فتزوجها . وولد له أبو جعفر عبد الحق بن أبى على ، فذهب مذهب أخيه من أمه : عبد الحق بن أبى عبد الرحمن بن طاهر، فى الفلسفة والطب وغير ذلك من العلوم القديمة ، حتى برع فيما ذهب إليه ، وصارت الإحالة فيه بمرسية عليه . ١٠

شىء عن أبى العلاء

وولد له أبو العلاء فجمع صفتى أبيه وجده ، حتى خرج فى العلم القديم طبًّا وفلسفة وغير ذلك وفى الأدب نسيج وحده ، وصعد — حين فرَع — إلى مراكش ، فقصر آماله على الوزير أبى سعيد بن جامع فأبلّ(٢) به يده، وأعانه على ماشاء وعضده ؛ وتقلبت به الأمور إلى أن رأيته مع والدى فى إشبيلية وقد قذفت به تلك الفتن إلى ان اضطرمت نيرانها فى حَضْرة ملكهم ، ونثرت على الآفاق فرائد سِلكهم . وكان أبو العلاء من أغلاها فريدة ، ١٥ فله رحمه الله محاسن عديدة . ثم سكن الجزيرة الخضراء حين ولى والدى أعمالها من قبل ابن هود ، فهنالك كثرت منه الإفادة ، إذ كان لايزال يُجرى فى حلبة المحاضرة جياده .

من شعره يخاطب أبا عمران

فمما سمعته من شعره حينئذ قوله وقد لامه والدى على منادمة الرعاع ، وكونه خرق فى ذلك من صنعه قاعدة الإجماع : [رمل]

يأأبا عمران دعنى والذى ... لم يَمِل لى خاطرٌ إلا إليه ٢٠

ماندِيمى غيرُ مَن يخدُمنى ... لا الذى يُجلسنى بين يديه

يرفع الكُلفة عنِّى ويَرى ... أنها واجبةٌ منّى عليه

(*) نفح الطيب (٤ : ٢٨٨)

(١) ب : « فى · واها» .

(٢) ت : « فاحل » .

وله يخاطب أحد المنعمين عليه

وقوله يخاطب أحد المُنعِمين عليه ، وقد استدعاه إلى منزله والمسير إليه :

[سريع]

أَنْعِمْ بإسعافى إلى مَنزِلٍ ماحُسنه إلا بأيّامكا
وادخُل إليه ناظرًا سامعا لكى ترى آثار إنْعامكا

٥
رحلته الى مراكش

[45 A]

ثم رحل إلى مَرّاكش فصار بها كاتبًا للرشيد ، واتفقت له القضيّة المشهورة فى الكنز الذى أصابه عندما هَدم موضعًا فى داره للبُنيان ، ونَمّ به إلينا ، ورُفعت المسألة للرشيد ، فقال : هذا شىء أعطاه الله لاسبيل إلى أن يعاد علينا / فيه كلمة . فمازال فى ذلك المال الهنىء يَخضم ويقضم ، ويتنعم ويُنعم ؛ إلى أن حيل بينه وبين مُناه بالمنيّة ، وأظنه بلغ معظم الأُمنية .

١٠
وفاته

وكانت وفاته بمراكش سنة إحدى واربعين وستمائة .

٢٣ — أبو عبد الله محمد بن غالب الأستجى (*)

شيء عنه

ساد بنفسه ، وبنى يومه على غير أُس من أَمسه ؛ ورحل عن إستجة فسكن مالقة ، وما زال ينهض لبلوغ المجد حتى دانقه ؛ فصار يكتب عن ولاتها ، ويُعد من سَراتها . لازمت مجالسته أيام إقامتى بهذه المدينة فعاينت منه مايهزنى من الظرف (١) ، مع التزام الوقار والسكينة . وأفادنى من نظمه وكتبه ومجالسته أحسن إفادة .

٥

من شعره

وهذا عنوان ما أنشدنيه من شعره ، الذى يسلم له فى الرقة أبو عبادة (٢) ، قوله من قصيدة :

[كامل]

لا تَخش قولاً قد عَقدت الألسُنا — وآبعث خيالَك قد سَحرتَ الأعينَا

وآعطف علىّ فإنّ رُوحى زاهقٌ — وانظُر إلىّ بنَظرة إنْ أمكنا

لا يَخدعنّك أنْ ترانى لابساً — ثَوبى فقد أصبحتُ فيه مُكفَّنا

١٠

ما زال سِحرك يَستميل خواطرى — بأرقّ من ماء الصَّفاة وألْينا

حتى غدوتُ بِبحر حُبٍّ زاخر — فرمتْ به الأمواجُ فى وَشطّ الفَنا

وقوله من أُخرى :

[كامل]

ما للنَّسيم لَدى الأَصيل عَليلاَ — أتُراه يَشكو زفرةً وغَليلاَ

١٥

جَرَّ الذُيول على ديارِ أَحبّتى — فأتى يجُرّ من السَّقام ذُيولا

وقوله :

[كامل]

بين الأَراكة والكَثيب حبيبُ — يَسبى القلوب جمالُه (٣) فتذُوبُ

قد كان يَصعد فى السماء توقُّداً — لو لم يُثقِّل مِعْطفيه كَثيب

٢٠

(*) ت : « أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن غالب الأستجى الجبرى » .

(١) ت : « الطرب » . (٢) هو البحترى أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى الشاعر .

(٣) ب : « فيذيب » مكان « فتذوب » .

وقوله :

[مجزوء الرمل]

لى بذاك الوجه شُغْل عَن صديقٍ وعدوِّ

ليتنى لم أَخْل منه فى رَواحٍ وغُدوِّ

أسطُر الحُسن به لم تَمحُ آيات السُّلوّ

٥

وقوله فى رِضوان الشاعر :

[مجتث]

يصُدّ رِضوانُ عنى تِيهاً ويسخر منّى

ولا يَزُور إباءً ويَغتدى خِلْف مَيْن

كأنما فى يديه مِفتاحُ جنة عَدن

١٠

وفاته
[45 B]

وبلغنى / أنه مات سنة آثنتين وأربعين وستمائة بغرناطة .

٢٤ — أبو عبد الله محمد بن على بن عسكر الغسانى قاضى مالقة(*)

شىء عنه

عهدى به فى بلده، ورياسةُ فتواها وحكمها الشرعىّ فى يده ؛ ومجلسه مُنتدَى الأعيان ، ومُرتقى لفلان وفلان ؛ وهو يُقرئ كل فن ، ولا ينفصل عنه كل طالب إلا انفصال الخليع عن الدّن . وهو ممن انتفعت به وبكتبه وبمجالسه ، وظفرت فى وطن الاغتراب ببرّه وتأنسه . وكان متشيعا فى حُب بنى سعيد ، ومادحاً لهم بغير ما رسالة وقَصيد ؛ حتى إنه ٥ صنف كتاباً فى أنسابهم ، وما حواه علمه من مناقبهم وأحسابهم .

من شعره

وكانت نيّة الرحلة المشرقيّة ، والزورة النبوية ؛ قد ثارت حينئذ فى خاطرى ، وملكت باطنى وظاهرى ؛ فأودعنى هذه الأبيات التى أنشدتُها عند الرّوضة ، على ساكنها أفضل الصلوات والسلام : [وافر]

علىّ إذا أتيتُ ثَرى محمدْ	صلاةُ الله لا تَعدوه سَرمدْ ١٠
فقبّله وقُل صَبٌّ غَريب	بأقصى الغَرب أمَّك وهو مُقعد
أراد زيارةً فَثناه عُذر	وكم سَيفٍ جُراز وهو مُغمد
فإنْ مُنع المَسير أتاك منه	سَلام طَيّب أبدا يُردّد
ومَدح لا يزال بكُل حين	من الآداب كالدر المُنضَّد
أقمتُ وأنت ترحل يابن مُوسى	لقد نامَ السُّرور وظَلْت مُكمد ١٥

ورغبت إليه فى أن يُنشدنى شيئاً من غَزله ، وكان لا يتظاهر بذلك إلا أنه لا يخلو منه ، لما جعل الله فيه من الرقة واللطافة ، وسَلب عنه من الغثاثة والكثافة . فأنشدنى وقال : حسبك منى ، واكتُمه بفضلك فى بلدى عنّى : [سريع]

أهواك يا بدرُ وأَهوى الذى	يعذُلنى فيك وأهوى الرّقيبْ ٢٠
والجارَ والدارَ ومَن حولها	وكُلّ من مَرّ بها من قَريب .

* المغرب (١ : ٤٣١) التكملة لابن الأبار (ت ١٠١١) النباهى (ص ١٢٣) نفح الطيب (١ : ٦٩٥) طبعة أوربة .

ما إن تنصّرت ولكنّنى أقولُ بالتّثليث قولاً غريب
تطابق الألحان والكأس إذ تَبْسم عُجْباً والغزالُ الرّبيب

بينه وبين أبى عمران

وبينه وبين والدى مخاطبات، منها هذه الرسالة فى حق طالب قصده للتصرف فيما قلده من الجهات ؛

٥

[مجزوء الرمل]

[46 A]

/ يأبن عمّار بن ياسرْ أوّلاً طِبْتَ وآخِرْ
لســت تحتــاج لِتَنْ بيهِ على كَسب المــآثر

وَصل الله لسيدى ، وأسنى ذخيرة فى يدى ؛ ما عوّد من جاه قائم ، وثناء مُلائم؛ يرد[1] لذلك الوارد ، ويصدر بهذا الصادر العائد. تشيّع معظِّم بينكم، ومادح حيكم ، ومؤبّن ميتكم، عنده من حسن الظن والأمل فيكم ، ما يحمله على إسعاف مرجيكم؛ ثقة بما يصدر عن تلك الأوامر، و ما يليق بالأوائل منكم والأواخر. و إن الفقيه النبيه الناظم الناثر أبا فلان — بلغه الله ساحتكم الجابرة، وألثمه راحتكم الزاخرة — لم يزل يرتاح متى ماذكرتم إلى لقائكم، ويدعو الله أن ينعم عليه بالمهلة فى بقائكم، إلى أن ارتفعت عوائقه، واستقامت على الطريق طرائقه ؛ فقصد جهتكم المحروسة بقلب ملآن من الآمال ، وخاطر[2] إلى محل محلى[3] بمحط الرحال ؛ وقد أرسلت منه ظامئا إلى نهر زلال، ووكلته إلى ما حباكم الله من كرم الخلال .

١٠

١٥

وفاته

ومات بمالقة سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

(١) ت : « يريد » . (٢) ت : « وناظر » . (٣) ب : « محيينى » .

٢٥ — أبو أمية بن عفير قاضى إشبيلية(*)

شيء عنه

كان بينه وبين والدى أحسن ما يكون بين اثنين ، وكان مجلسه مسرَّة للقلب وقُرة للعين ؛ إذ كان مع براعته وتقدمه فى العلوم الشرعية ، أقوم الناس بالفنون الأدبية ؛ وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال ، وعدم المناظر له فى ذلك المجال . رأيته كثيرا ما يصنع القصائد والمقطعات ، وهو يتحدث ويفصل بين الخطباء فى أكثر الأوقات . ومع سرعته ٥ فى هذا المنزع ، فإنه لا يأتى إلا بأحسن ماتظُنه وأبدع . وآلت به الحال إلى أن صعد إلى مراكش فانقطعت عنى أخباره من سنة ثلاث وثلاثين ، ثم سألت عنه حين قدمت من الشرق فلم أقف من سنة وفاته على يقين .

من شعره

هذه فرائد من شعره ، تدل على مانبهت عليه فى ذلك من مخبآت فكره . فمن ذلك قوله :

١٠ [مخلع البسيط]

دِيارهمْ تلك نُصْبَ عَينى — وليس لى وُصلة إليها

إلاَّ سلامى لذى ٱبتداد — من بُعد سُكّانها عليها

[46 B] / وقوله فى قضية اتفقت له بمجلس حُكمه :

[مخلع البسيط]

١٥ تخاصمت ظَبية وتَيس — عندى فطالعت(١) فى الرءوس

نخفت من هَزها لخارت — فى مَذهب العاشقين تُوسى

ولم يكُن من يكون مثلى — يَقضى على الظّبى للتيُّوس

وقوله :

[وافر]

٢٠ ووجهٍ تَغرق الأبصارُ فيه — ولكنْ يترك الأَرواحَ هِيَا

أتانى ثم حَيّانى حَبيب — به وأبَاحنى الخــدَّ الرَّقيا

فمر لنا مُجون(٢) فى فُنون — سلكتُ به الصراطَ المُستقيما

إلى أن قلتُ هل لك يا حبيبى — إلى أن نَربح الأُنس المُقيما

(*) نفح الطيب (٤ : ٢٨٩) . (١) المطالعة : المسافدة . (٢) ت : « جنون » .

بشَدوٍ يَبعث الإيناس فينا ... وكأسٍ تترك الدُّنيا نعيما

فقال تُبيح[1] أكواس الحُميّا ... فقلت : نعم إذا كنتَ النديما

فلم نترك من اللذّات وجهاً ... أوانَ يُعانق الغصنُ النسيما

تبسّطنا على الآثام علماً ... بأن أمامنا ربًّا كريما

ولإعجابه بهذا المقصد كرره فى قوله ، والعَود فى مثله أحمد :

[بسيط]

ومُذْهَب الخدِّ تيّاه أخى شَرفٍ ... نَشوان من خَمرة الإدلال والمَرح

وافَى فوفَّى بوعدٍ ظَلّ يَمطُلنى ... فيه وأَطلع صُبحًا قبلُ لم يَلُح

فقلت هل لك فى تكميل لذّتنا ... بحَثِّ كأسٍ بها إكمالُ مُقترح

فقال لى هل تُبيح الخمر قلت له ... نعم إذا كان منك النَّقل للقدح

فقال هاتِ على اسم الله مُغْتبقا ... إن شئتَ نيلَ الذى من بعد مُصْطبح

فلم نغادر من اللذات مُقترحا ... ولا قطعنا زمانا فى سوى القَدح

بحياة الظرف والأدب ، إلا ما أصغيت إلى هذا الكلام المنتخب ؛ وعجبت كيف لم يَسْقه ماءِ جله والفرات ، وأعجب من ذلك : من أنتج مثله كيف مات !

(١) ت : « يتبح » .

٢٦ — أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الجيانى

شيء عنه

عرف بابنِ السماك ، كان سامحه الله من أهجن العباد ؛ لايكاد يسكت عما يصدع الرءوس ، ويؤذى جلساءه بأشدّ من خُمار الكؤوس ؛ وكان يحفظ كثيرا والمختار منه قليل ، وبالجملة فإنه كان من نُفاية[١] الكُتّاب وممن ليس له تحصيل .

٥ [47 A] جالسته بإشبيلية وبمالقة وغرناطة فكنت أُبلى / بمحاضرته فى كل بلد، ولا أنفصل عنه إلا بنذر فائدة وكثير نكد . وأنشدنى من شعره جملة يكفى منها ما أورده ، وأما فصول نثره فلم أرضها لمن يعرف الكلام وينقده ؛ فلذلك أضربت عنها، وفى غيرها من فصول هذا الكتاب المفيدة عوضٌ منها .

وفاته

وكان والدى من أبغض خلق الله فيه ، فقُدِّر أن ماتا فى سنة واحدة، وهى سنة أربعين.

١٠ وقد كان يكتب عن وُلاة بلده فى مدة ابن هود وما سلف من دولة الموحدين .

من شعره

فمما سمعت عنه من شعره ، فعنونتُ به عن مقدار قدره ، قوله : [بسيط]

إيّاك أن تكثر الإخوان مُغتنِمًا ... فى كل يومٍ إلى أن يكثُر العددُ

فى واحدٍ منهم تُصفِى الودادَ له ... من التكاليف ما يَفْنَى به الجَلَد

وقوله : [طويل]

١٥ أصاحبَ هذا الوقت والواحدَ الذى ... بقيتُ به فى غُربتى مُوحشًا وَحْدى

أمَا نظرةٌ فى عبدك المُخلص الذى ... يُريد إذًا يَرعى الوفاء عن[٢] العبد

وهل نافعٌ أنّى بلغتُ جميعَ ما ... أردتُ ولم أُدرك به البعض من قصدى

إذا أخصبتْ نجدٌ ولم يكُ[٣] لى بها ... مَرادٌ خَصيبٌ فالسلامُ على نجد

وقوله : [طويل]

٢٠ تحنُّ رِكابى نحـو أرضٍ ومالها ... ومالىَ من ذاك الحنين سوى الهمِّ

بهذا قضى الرحمنُ فى كُل ساخطٍ ... يموت على كُره ويحيا على رَغْم

فكم راغب فى موضعٍ لا ينـاله ... وأمسيتُ فيه مثلَ يُونس فى اليمّ

ولم يكن له فى طريقة فى الغزل وِرْد ولا صدر .

---

(١) ت : « نفاثة » . (٢) ت : « على » . (٣) ب : « ولم يكن » .

٢٧ — أبو محمد عبد الحق الزهرى القرطبي (*)

شىء عنه

لا يكاد أحد يعرفه إلا باليقين . وهو كاتب أديب شاعر ، وربما تصرف فى القضاء فارتكب ما لا يليق ، إذ هو من أحفظ الناس بأشعار أبى نواس .

ولأبى القاسم بن هشام القرطبي فيه أقوال مشهورة ، وأخبار فى طريق أهل الأدب مذكورة . وكثيرا ما جالسته بإشبيلية ومالقة فرأيته من المُمتعين ، وكأنما يغرف من ماء عذب مَعين ؛ وما أدرى هل بقى إلى هذا الأوان ، أم غُيب شخصه عن العيان .

من شعره

علق بخاطرى من شعره قولُه من قصيدة أنشدها الباجى القائم بإشبيلية حين خلع طاعة ابن هود ، وبدّل شعاره الأَسود فى البُنود[1] :

[بسيط]

كأنما الرايةُ السوداءُ قد[2] نَعبت ... لهم غُراباً ببَيْن الأهـل والولدِ

مات الهُدى تحتها من فَرط رَوعته ... فأَظهر الدهرُ منها لِبسة الكَمد

هو وابن سعيد فى غلام

وكنت معه يوما بمالقة على الساحل ، فجاء غلام بديع الصورة ، وتجرّد وشقّ البحر كالسيف المهند ، فقال :

[مجتث]

جِسمٌ هو المـاء لُطفـاً ... وارته شُـقة ماءِ

فقلت :

لا بل هو النُّور أَضحى ... يَدِبّ فى الظَّلمـاء

فقال :

يَخفى كسَيف بغِمْد ... ويُنْتَضى للَمضاء

فقلت :

كأنه نَجْمُ رَجْم ... يَشُقّ ثوبَ السماء

(*) المغرب (١ : ١٢٠) صلة الصلة لابن الزبير (ص ١٠) .

(١) ب : « بالبنود » . (٢) ت : « نعبت » مكان « نعبت » .

٢٨ — أبو بكر محمد بن عبد الله الدانى

شىء عنه

كان أبوه من دانية ، وأما ابنه المذكور فإشبيلىّ الدار ، بينى وبينه المجالسة والمذاكرة والجوار . وهو شاب مُشتغل بالأدب ، يُدخل نفسه فى أهـل التعبير والحسب ؛ كثير الوقوع فى الناس ، مؤذٍ بمحاضرته جميع الجُلاس . جالسته ببلده غير مرة ، ثم تجنّبته لأنى لم أنفصل قطُّ عنه إلا بمضرة . وكان يُدلّ بالخال[١] والمال ، إذ كان ابن أخت أبى العباس ابن بنىّ ، مشرف إشبيلية . وإذا أنشد طلب من كل سامع إظهار الاستحسان ، وتحريك اليد والرأس واللسان . وبالجملة فكان رضاه غاية لا يدركها أحد ، ومودته لا تستطاع إذ طَبَعه الله على الغلّ والحسد . وحملته نزواتُ جنونه ، ومختلجات ظنونه ؛ على أن نزع من بلده إلى ابن الأحمر حين غلب على قرطبة ؛ والفتنة قد أشعلت نارها ، ورفعت منارها ؛ وخاطب جماعة من إخوانه بإشبيلية يرفع فيها من مخدومه الجديد ، ويذم أهل بلده ما بين القريب والبعيد[٢] . ثم جرى على تلوّنه ، وترك تنسكه[٣] وتصوّنه . نُمى إلى ابن الأحمر أنه عاملَه بتلك المعاملة ، وخرق فى خدمته ستر المجاملة ؛ فصلبه على نهر قرطبة والقلم[٤] مربوط ببنانه ، لكى يعلم الناس أنّ ضاربَ عنقه سيفُ لسانه . وذلك فى سنه إحدى وثلاثين وستمائة .

لابن البناء فى رثائه

وعهدى بالكاتب أبى بكر بن البناء لمّا بلغه خبره تمثّل بقول أبى الطيب :

[بسيط]

قالوا لنا مات إسحاقٌ فقلتُ لهم ... هذ الدواء الذى يَشفى من الحَمَق

من شعره فى خاله [48 A]

/ وكان مشهور الشّعر ، ولم يثبُت بخاطرى منه إلا قولَه لخاله ، فى عتاب خصّه به لتقصيره فى تبديل حاله :

[سريع]

قد كنتَ فى قُربك ذا غِلْظةٍ ... وسَقْطةٍ فى الدّهر لا تُستقالْ

أَدعوك بالخالِ ولكنّها ... مُردَفة بالداء عند المقال

يَشح فى كُل ما رُمتهُ ... من مَطلبٍ بُخلاً وكم شَحّ خال

(١) ب : « بالجلال » . (٢) ب : « ما بين القريب منهم والبعيد » .

(٣) ت : « تمسكه » . (٤) من هنا إلى قوله: «قصيدته أولها» (ص ١٣٨) ساقط من ت .

أُنسيتَ ما تذكره دائما ياتاركى عند ٱختيار الرِّجال
لكُل شخصٍ فى الورى لُقيـة تخرج والأيام مثـلُ الخيـال

أبو عمران مع خاله فى شأنه

قال والدى : كلمت فيه خاله المذكور ، وكان من أهل المُروآت مع البعيد فكيف مع القريب ، فقال : إنه أكثر من عتابى حتى خرج إلى الهجاء . وأنشدنى هذه الأبيات . فقلت : والله إن هذه حكمة وتذكرة . فقال : يافلان ، أنا أعرف به منك . والله ما يطلُب إلّا من يضرب عنقه ، ولا يصلح لى ولا لغيرى أبدا . فلم تمض إلا شهور ، حتى كان له الخبر المشهور .

٥

٢٩ — أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندى(*)

شيء عنه

ينسب إلى شَقُندة، قرية مُطِلّة على نهر بقُرطبة، مجاورة لها من جهة الجنوب. وهو ممن كان بينه وبين والدى صُحبة أكيدة، ومجالسات أُنس عديدة، ومداورات تتّصل، ومحاضرات لاتكاد تنفصل. وهو ممن انتفعت به وبمجالسته.

رسالته

٥

وله رسالة فى تفضيل الأندلس يعارض بها رسالة أبي يحيي الطنجى فى تفضيل برّ العدوة، أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع، وعُذوبة المشرع؛ وكان جامعاً لفنونٍ من العلم الحديثة والقديمة، وحسبه أن كان ممن عُيِّن بمجلس المنصور فلم تزل له بها مشاهدة غير ذميمة.

١٠

ولايته القضاء وموته

ووَلِى فى وقتٍ قضاء بَياسة وقضاء لُورقة. ولم يزل ملحوظ الجانب، محمود المذاهب؛ إلى أن كانت وفاته بإشبيلية سنة تسع وعشرين وستمائة.

من شعره

سمعته يوماً يُنشد والدى قصيدة فى المَنصور على الأرل(١)، وقد نهض للقاء العدو، ومطلعها:

[بسيط]

إذا نهضتَ فإنّ السعد مُنتصر ... يَرمى السعود سِهاماً والعِدا غرضُ

إذا البسيطة تَطويها وتَنشرها ... فليس فى كُل ماتَنويه مُعترض

١٥

[48 B]

/ وسمعه يقول: أنشدتُ الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها(٢): [بسيط]

استوقفْ الركب قد لاحتْ لك الدارُ ... واَسأل برَبعٍ تناءت عنه أقمارُ

لاخفّف الله عنّى بُعد بَينهمُ ... فإنى سرتُ والأحباب ماساروا

إلى أن انتهيت إلى قولى:

٢٠

ألا رعى الله ظبياً فى قِبابهمُ ... منه لهم فى ظَلام الليل أنوار

غدا أنيساً بهم لا شيء يَذْعره ... لكنه عن جَنانى الدهرَ نفّار

قال: فقال لى الوزير بلوذعيته: يا أبا الوليد، هذا الظبي يفارك، فمر يُوافِك. فخجلت، وقلت: قد قيل: إياك وما يعتذر منه! فكيف ومالى اعتذار!

(*) نفح الطيب (٤ : ١٧٧ و ٢٠٨).

(١) كذا فى الأصل. (٢) إلى هنا ينتهى السقط من ت.

من نسيبه

ومن محاسنه فى النسيب قوله :

[خفيف]

علّلانى بذكر مَن هِمتُ فيه وعِدانى عنه بما أَرْتجيه
وإذا ما طَربتُما لٱرتياحى فٱجعلا خَمرتى مُدامةَ فِيــه
ليت شعرى وكم أُطيل الأمانى أىّ يوم فى خَلوة أتّقيه ٥
وإذا ماظهرتُ يوماً بشَكوى قــال لى أين كُلّ ماتدّعيه
لادُموع ولا سَقام فمَن ذا شاهدٌ عنــك بالذى تُخفيه
قلت دَعنى أَمتْ بدائى فإنى لو بَرانى الغرامُ لا أَبريه

من شعره فى إبلاله من مرضه

وأخبرنى أحد إخوانه أنه مرض فى بيّاسة ثم أبلّ ، فقال فى عَوده ، مايشهد له بلطافة مقصده : ١٠

[مجزوء الرجز]

إنى مَرضتُ مرضةً أُسقِط منها فى يدى
فكان فى الإخوان مَن لم أره فى العُــوّد
فقلتُ فى كُلهمُ قولَ ٱمرئ مُقتصِد
أيُر الذى قد عادنى فى آست الذى لم يَعُدِ ١٥

٣٠ — أبو الوليد إسماعيل بن حجاج الأفلح اللخمى (*)

شىء عنه

من البيت المَشهور بإشبيلية . منهم إبراهيم بن حجّاج الذى دام له القيامُ بها والآستيلاء عليها فى مُدة بنى أُمية إلى حين وفاته . ولم يزل منهم مع توالى الأعصار ، وتصرُّف الليل والنهار ؛ أعلام عِلم ودين، وأرباب تَرفيع وتمكين ؛ إلى أن نشأ أبو الوليد المذكور فرفع فى طريق الأدب منارهم، وأوقد فى علَم العُلوم نارهم ؛ وعهدى به مع والدى فى آتصال مُزاورة، وآطراد مُجالسة ومحاضرة ؛ وفى أثناء ذلك اقتبست من أدبه ، واستفدت منه ومن كُتبه . [49 A] وتقلّب به الحال مابين قاضٍ ووزير ، وكاتب ومُشير ؛ إلى أن أَخرج سالمَ بن هود من إشبيلية ابنُ صاحب الرد (١)، فلم تعطفه عليه الأواصر اللخميّة وأظهر للدولة السالفة وفاء العهد، ولحق بسالم المذكور ، وكان له فى السّعى معه القيامُ المشهور ؛ وصار يكاتب من شَريش أقاربَه ومعارفه ، ويمنّيهم صلاته وعوارفَه ؛ حتى أُودعوا الحبُوس ، وكادت جسومهم تفارق الرءوس ؛ ثم إن الأقدار جرت بعود آبن هود إلى ماسُلب عنه ، فحظى عنده آبن حجاج وتمكّن منه ؛ وخَلع عليه وزارته ، وأَسند إليه إرادته ؛ فأصبح لا يرد السلام إلا بالإيماء، وآنطلقت فيه ألسنُ الشعراء بالهجاء ، والعامة بالدعاء .

بين ابن سعيد وابن سهل فيه

ومن أبدع ماوقع فيما يتعلّق بهذا الفصل ، ماجرى لى مع إبراهيم بن سهل ؛ وذلك أنى كنت أسايره يوماً وإذا بأبى الوليد قد أقبل فى موكب يغَصّ به الرَّحب ، والعين تمجّه أكثر مما يمجه القلب ؛ إذ كانت طلعته غير مَقبولة ، وراحته عن المكارم مَعقولة ؛ فنظر ابن سهل إلى صورته أعلى (٢) شفته ، فقال ما يشهد له الإبداع فى صفته :

[سريع]

* وزيرُنا ياويحنا أفلحُ *

فقلت :

* فهل ترانا معه نفلح *

فقال :

* يقرأ راجيه على فيه لا *

(*) نفح الطيب (٤ : ٢٩٢) .

(١) هو أبو بكر بن عبد العزيز ، ابن صاحب الرد . وقد مرت ترجمته ص ١١٢ — ١١٣

(٢) ت : « لأعلى » .

فقلت :

* لحاجة المسكين لا تنجح *

وبلغ والدى ما جرى بينى وبين ابن سهل فى هذا الشأن ، فاغتاظ وشكا من أهل سره لفلان وفلان ، ثم أحضرنى وقال : أخبرنى بما كان بينك وبين اليهودىّ فى شأن ابن حجاج . فأخبرته . فقال : ما أبعدَ الفلاح من وجهك ! ما كفى أنك أدخلت روحك فى النميمة ٥ بهجو الأعيان ، حتى رضيت أن تكون زاملة ليهودى شاعر ، فاشتركت معه فى الصفة بالهجو وانفرد بحصول المعنى . فخجلت وأقسمت ألا أعود إلى مثل ذلك .

وبلغ الوزير القضيّة وصادفتُ أن أمر لى بإحسان ، فسعى فى قطعه وصار يعد إقباله فى أحزان . فقال والدى زاجرا عن الوقوع فى مثل ما فرط ، وواعظا بضرب الوزير على رسم الإحسان كأنه غاط : [كامل] ١٠

أبُنَىّ لا تَهجِ الرجالَ تَهجِهمُ ... ومتى مكرتَ(١) فمكرُهم لا يُغفلُ
واحذره مثلَ النار إن واقعته ... فلقد أذاقك غرسه لو تَقبل

ثم حَضَّنى على أن أعتذر له بقصيدة أُوشِّيها بمناقبه ، وأُحلِّيها بوصف ما أعلى/ الله من [49 B] مراتبه ؛ فلما نظمتها ورمتُ إنشادها أبى ، قال وهو يبتسم : مرحبا بالشاعر مرحبا . ثم قَبض وجهه وقال : من أين يليق بمثل حَسبك الشعر فى الهجاء أو فى المدح ؟ فقلت : ١٥ ياسيدى ، اسمع قصيدتى وقل بعد ذلك ما بدا لك . فاستحيا وجعل يتأملها ويهز رأسه مظهرا لمواضع الاستحسان ، ثم صار يعقد بالبنان ، إلى أن بلغ هذه الأبيات :

[سريع]

مَن كان فى مَنصبكم فليكُنْ ... يَفعل ما يطعن(٢) فى المَنصبِ
أأن أساء القوم لم تُحسنوا ... فى الفعلِ والحِلم لدى المُغْضب ٢٠
هـذا بذا فما الذى سُدتم به ... ونقّمتُم عن كُل ذى مَطلب
كُنّا نَروم العَفو لكنّكم ... أنتم به أَولى من المُذنب

---

(١) ت : « ومتى غفلت » . (٢) ت : « ما يعطن » .

فارتاح غاية الارتياح ، وأكذب من قال : لم يبق من تهزّه الأمداح . ثم قال : أنت الأديب الحسيب ؛ وغرم لى ذلك الإحسان من عنده ، ثم سعى لوالدى فى عمل الجزيرة الخضراء وأظهر فى ذلك وفاءً بعهده .

هو وأبو عمران

ثم سُلِّط على والدى من لم يكفه الله شره إذ أحسن إليه ، فتوجّه إلى إشبيلية ولم يزلْ
٥ يرفع عليه ؛ فكتب فى ذلك إلى هذا الوزير ، بجاوبه بما فيه عنوان عن محلّه من النظم والنّثير[1] :

وذلك مَن عَلم — أعزك الله — ما أحرزت من الأدوات ، وعرف ما برزت به من المعلوات ؛ كان جديراً ألا يهمل[2] من رعايتك جانبا ، ولايزال نحو ما يُرضيك ذاهبا :

[متقارب]

فكُن واثقاً بى فإنّى امرؤ — أَميز الخبيثَ من الطِّيبِ

١٠ فإنّى علمتك عَن[3] خِبرة — فمهما وصفتُك لم أَرتب

لئن كنت فى الأرض ذا رتُبةٍ — فإنك أَعلى من الكوكب

ثم مال مع الزائغ[4] وتأخير والدى ، فلما وصل تنكّر له جانبه ، وتكدّرت بعد الصفاء مَشاربه ؛ ولم يُمهله الله بل مات فى تلك السنة ؛ وهى سنة اثنتين وثلاثين ، وعند الله يجتمع من يصدق فى المودة ويَمين .

---

(١) ت : « والنثر » .

(٢) ت : « ألا يحتمل » .

(٣) ت : « من خيرة » .

(٤) ت : « ثم قال مع الرائع » .

٣١ — أبو إسحاق إبراهيم بن أبى عبد الله محمد بن صناديد[١]

شىء عنه

[50 A]

قائد ابن قائد ، جمع ما بين الطارف والتالد ؛ كان أبوه بجيّان ، بمنزلة إنسان العين من الإنسان ؛ إن هطل السماح فهو سحابُه [٢] ، أو اضطرم الكفاح / فهو شهابه . وهو ممدوح مَدغلّيس فى أزجاله ، وقد وصف فيها محاسن أفعاله . ونشأ ابنه لبّاس أردية الملوك ، وسالك مَسحة[٣] الشمس عند الدُّلوك . مَرّ له فى تَرف العيش زمان نضير ، إلى أن تَعس جده مع ابن عمه ٥ فى الأخير ؛ وذلك أن أبا مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد نشأ بجيّان مُكبًّا على البادية والصيد فى جانب من شظف العيش والخمول ، وابن عمه أبو إسحاق قد بلغ من دنياه غاية المأمول ؛ فكان لا يَرشح له بصُبابة ، ولا تَعطفه عليه الأواصر والقرابة ؛ ازدراء واحتقارا ، و إباء عن معاشرته واستصغارا ؛ إلى أنْ مرّ الزمان ، وتقلّبت بجيّان أحوالُ السلطان ؛ وذلّ الرفيع ، وارتفع الوضيع ؛ وسعى عبد الملك فى أَمر قصبة جيان ، ومكّن منها أبا عبد الله ١٠ ابن الأحمر ، وأخرجها عن يد ابن هود فرعَى له ذلك وصار عنده فى مرتبة الوزارة بل أكبر ؛ فأحوج الدهر ابن عمه أبا إسحاق إليه ، فقاسى معه فى غرناطة ما قضى ، بأخذ ثأره منه ، وتركه يعض على ما فرط منه فى يديه ؛ فلم ير إلا الراحة بالارتحال ، فكان ذلك ولكن بعد مقاسات أهوال ؛ فجاز إلى بر العدوة وهو فى عقدة التسعين ، فكانت وفاته بسبتة فى سنة ثلاث وأربعين . ١٥

وهو ممن أكثرتُ مجالسته بإشبيلية وانتفعت بأنواع آدابه ، ومجالسه وأصحابه ؛ إذ كان مجلسه[٤] منتدى للاعيان ، وأدباء الزمان .

من شعره

ومما أنشدنيه من شعره ، فرأيتُ إصابته لنباهة ذكره ، قولُه وهو فى الانخلاع والانطباع كما تراه :

[مجزوء الرمل]

لا تكُن تَعشق إلّا أَملحَ العالَم طُرًّا ٢٠
فإذا مُتَّ غراماً وهوًى ألفيتَ عُذرا
عَجباً ممن يرى الشّمـ ـس ويُصْفى الحُبَّ بَدرا

---

(١) ت : « صنانيد » . (٢) ت : « مجابه » .

(٣) مسحة الشمس ، أى أثرها البادى .

(٤) ب : « ومنزله » .

ثم إن شئتَ حياةً تُرتضى لا تَصْحُ سُكْرا
واقْطع الدُّنيا يَقينا وذَرِ اللَّذات تَتْرى
لا تكُن أعدى عدوٍّ قاتلًا نفسَك صبرا

وذكر لى الشيخ أبو محمد بن خطاب أنه كتب لإخوان له أبياتا عِلق بخاطره منها
٥ هذا البيت وحده ، وهو :

[بسيط]
[50 B] / ماذا تقـول لأَقوامٍ ذوى كَرم قد أَزمعوا أخذَ أرواح الأَباريقِ

٣٢ — هارون بن عبد الله بن هارون

شيوخه

من كتاب إشبيلية الذين لم يُجهل مكانهم، ولا صَغُر فى هذا الشأن شأنهم، اشتهر بالكتابة عن أبى عمران بن أبى عبد الله بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن والى بجاية ؛ ثم لما أخذها مولانا الأمير المقدّس المرحوم[1] من يده ، عاد هذا الكاتب إلى بلده، وكان يلازم سكنى شنتبوس ، مُكبا على الفُرج وإعمال الكئوس ؛ وكثيراً ما كنت أجالسه وأستفيد من محاضرته ، ثم مرقت الأيام بيننا ، فبلغنى أنه صيرّ سبتةَ دار مهاجرته .

من شعره فى رثاء ابن خلاص

ونقلت من خطه قولَه من قصيدة فى رثاء ابن القاسم[2] ابن الرئيس أبى علىّ بن خلاص المتولّى على سبتة حينئذ، وقد أرسل ولده المذكور إلى هذه الحضرة العلية، نغرق تحت الليل فى الغراب الميمون ، وكاد أن يخرج الحزن بوالده عليه إلى حد الجنون :

[طويل]

هو الرُّزءُ ما أَبقى عزيزًا ولا صبرا ... دُهينا من الأيام بالبطشة الكُبرى

حَقيقٌ علينا أن تَسيل نفوسُنا ... دمًا من دُموع مازجتْ مُزنُها القَطرا

وأنْ نَهب الدنيا نضارةَ عَيشنا ... وإن كان عيشًا لا شَهيًّا ولا نَضرا

أبا قاسم لهَفى عليك وإننى ... لِفقدك لا أنفكّ ذا كَبِدٍ حَرَّى

هكذا يكون حُرّ الكلام ، وبمثل هذا يُعزَّى أعلام الأنام. ولولا ما قدمناه من شرط الاختصار، والعدول عما يُمل من الإكثار ، لأوردنا جميع القصيدة ، فإنها فى منزعها وحيدة فريدة، وبعد ماتقدم من محاسنها التى يجب على الأديب ألا يهملها ، ولا يخليها من مجموعة المُحلّى ويغفلها .

ثم ختم هذه القصيدة بذكر إنعامه عليه فى إطلاقه من الأسر، وذكر ما بُليت به إشبيلية فى ذلك الأوان من الحصر ؛ وما أدرى هل بقى حيًّا بين الورى ، أم استردته التى منها خلق فأُودع بطن الثرى .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ت .

(٢) ب : « رثاء القاسم » .

٣٣ – أبو بكر عزيز بن عبد الملك بن خطاب الأزدى[(١)]

[51 A] شىء عنه

من بيت جليل مشهور[(٢)] بالقاعدة المُرسية ، له ذكر نابه فى أخبار الدولة العامرية . ونشأ عزيزا فى عزة الآباء ، والتيمن بشعار الزهد والعلماء . وأخذ نفسه بالتواضع الذى أمال قلوب العامة إليه ، وصيّر زمامها فى يديه ؛ حتى كانوا يطالبونه بالدعاء ، ٥ ويزدحمون عليه عند اللقاء . وحُسد على ذلك ، حتى رفع إلى مَراكش أنه يضمر ارتقاب الوثبة على ما هنالك ؛ فدُوفع عنه بالتخلى من أسباب الدنيا ، وشُهد فيه أنه غير متصد لمراتب العَليا . ومرت الليالى والأيام ، وتلونت وجوه الشهور والأعوام ؛ إلى أن صار شيخَ مُرسية فى دولة محمد بن هُود ، وصار إليه الحلّ والعقد فى كل محلول ومعقود ؛ ولما وصل مرورنا[(٣)] بمرسية سنة ست وثلاثين اجتمعنا بشيخ غرناطة أبى الحسن سهل ١٠ ابن مالك ، وهو حينئذ مُغرب عن بلده وأهله ، لما شنع عليه من قوله ، الذى خيف أن يتطرق إلى فعله ؛ فجمع بين والدى و بين ابن خطاب ، ثم تكررت المجالسة فرغبت إليهما فى الحضور عنده وسماع ما يكون فى مجلسه من فنون الآداب ؛ وصرت فيمن انتفع[(٤)] بكتبه ومجلسه ، وظفرت ببرّه وتأنُّسه ؛ إلا أنى لم أجسر على أن أستنشده شيئا من شعره ، إعظاما لشيخه وهيبة لجلال قدره ؛ ثم كان الانفصال ، فبلَغنا بحضرة تونس أنه انتقل من زى العلماء ١٥ إلى زى أصحاب السيوف ، وأخذ فى أخذ الأموال من غير وجهها وسفك الدماء ؛ فاستعذنا بالله من الحَوْر بعد الكَوْر[(٥)] ، وعلمنا أنه سيُقتطف اقتطاف النَّوْر ؛ فلم تمض إلا شهور حتى بلغنا أن زيان بن مردنيش صاحب بلنسية قد انقض عليه انقضاض العُقاب ، وحمله أهل بلده وذوى حسده على ضرب رقبته ، وزعموا أن ذلك بما ضرب هو من الرقاب .

أخبرنى صاحب حملته ، وكاتب بيعته الشيخ أبو المطرف بن عميرة ، أنه بويع بمرسية ٢٠ صدر المحرم من سنة ست وثلاثين وستمائة . وقُتل : يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان فى هذه السنة . بيعته

(١) « الأزدى » ساقطة فى ت . (٢) زائدة فى ب .
(٣) ت : « ولما برزنا » مكان « ولما وصل مرورنا » . (٤) ت : « فصار فيمن انتفعت » .
(٥) الحور بعد الكور : أى من النقصان بعد الزيادة . وقيل معناه : من فساد أمورنا بعد صلاحنا .

من شعره

واجتمعت بعد ذلك بأبي إسحاق بن ليون المرسى ، فأنشدنى له هذين البيتين فيما كان يرومه من الوثوب ، والتعرض للحسام المخضوب :

[كامل]

آربأ بنفسك أن تكون مُتابعا ما الحُرّ إلّا من يُؤم[1] فيُتّبعُ

٥ لا يَدفعن الذُلّ عنك مُقدّرا ما بالحِذار يُذاد ما يُتـوقع

[51 B]

/ وأنشدنى له غيرَه هذين البيتين :

[خفيف]

لى حبيبٌ أَراه فى كُل آنٍ هو أُنسى وبُغيتى وجنانى

رام قومٌ أن يَحجُبونى عنه فآختفى عن عيونهم وأتانى

---

(١) ت : « يومى » .

٣٤ — أبو القاسم بن حسان الإشبيلى

شىء عنه

جَلّ فى إشبيلية مقدارُه ، وشهر فيما بين المنازه والديار مَنْزهه وداره ، إذا قيل : قصر ابن حسان ، فلا يشاركه فى هذا الوصف إلا ما كان منزلاً للسلطان .

قصره

ودخلت إليه مع والدى وهو بهذا القصر فى بهوٍ قد ملأه من الكُتب ، وحَلّ منها بمنزلة البدر من الشُّهب ، لا بل الشمس فى تكاثف السُّحب ؛ فسافرت[1] أبصارنا فى تلك الساحة العريضة الطويلة ، وتقيدت بمحاسن رياضه البديعة الجميلة ؛ ثم جالس والدى بما لديه من فنون الآداب فأطنب وما قَصَّر ، وانفصلنا عنه وقد امتلأت حقائبنا من رغائب السمع والبصر . وكذلك إذا قيل فى المنازه التى على النهر الأعظم منزه بَيْسانه ، مال كُل ذى سمع و بصر إلى ألحان أطياره وأفنان أشجاره المُزدانة ؛ وكم للأدباء والشعراء به من متنزهات ، وفكاهات مُتصلات ؛ إذ كان صاحبه — رحمه الله — أحبَّ أهل بلده فى استدعاء أديب غريب ، وتأنيسه و إنزاله من مكارمه بالمحل الرَّحيب ؛ وكثيراً ما جررنا فيه ذيل العيش النضر ، وصعدنا له مع المد ونزلنا عليه مع الجزر .

أخبرنى أحد خواصّه أنه كان ربما خلا فى الأسحار ، وأخذ فى الصلاة والاستغفار ، ثم رفع يديه مُتضرعا داعيا ، ثم قال فى أذيال ذلك : اللهم يارب النِّعم علىّ ، حُطْ بعينك التى لا تنام قَصرى ورياضى ، لا أسألك فى الدنيا زيادة عليها .

من شعره

ودخلت مع والدى عليه فى هذا المنزه[2] ، فلما أخَذَت المحاضرةُ والمؤانسةُ حقَّها سأله والدى أن يُنشدنى شيئا من شعره ، أتشرّف بين أقرانى بذكره ، فأنشدنا فيما[3] بين يديه من الأسفار والأزهار عجِلا ، حتى ظننا أنه قال ذلك مُرتجلا : [بسيط]

إنى اطرحت سوى ما تستلذّ به	عينى وسَمْعى من زَهر ومن أدَب
فلستُ أبرح والأيام شاغـلةٌ	أُقسِّم الطرف بين الرَّوض والكُتب
كم رُمْت حيث نجومُ الأُفق مَرتبةً	فعارضَتْنى خُطوب الدَّهر فى الرُّتب
فحين أعطتْنىَ الأيام خِبرتها	أَرحتُ نفسىَ من هَمٍّ ومن تَعب
وإنْ بُليت بشَخصٍ دون منزلتى	فالبدرُ يُبلَى على إعلائه بالذَّنب

[52 A]

(١) ت : « نسافرت » . (٢) ت : « المنزل » . (٣) ت : « ما » .

ولما كُنّا بمرّاكش فى مدة العادل اجتمعنا به هنالك ، وقد تُلقِّىَ بقبول طويل عريض ، ثم انفصل إلى بلده بجَناح غير مَهيض ، وساق[١] لأصحابه ظهائر ، وصار له فى إشبيلية موارد ومصادر ، فوجَد من ذلك فى نفسه أبو العلاء حتى نفاه ، وأسكنه البيسانة مدينة اليهود وأدام فيها مداه[٢] ، إلى أن عفاعنه بالشفاعات وأقام بإشبيلية مُطَّرح الجانب ، غير آمن شر العواقب ، إلى أن احتاج أبو العلاء كِتاباً أُحيل فى وجوده على خزانة كُتبه ، فوجّه إليه فى طلبه رجالا كان فى وقوفهم على بابه قضاء نَحبه ، فكُتب فيمن مات خَوَراً[٣] من غير يقين ، وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين .　٥

---

(١) ت : « وصار » .　(٢) ت : « وأنام فيها مدة » .

(٣) الخور ، بالتحريك : الضعف .

٣٥ — أبو بكر محمد بن قسورة بن زهر الإيادى

بنو زهر

حسب[1] بنى زُهر بإشبيلية أشهر من أن يُنبَّه عليه، ومكانُهم من العلوم والمناصب أجلّ من أن يُشرح ماليه. وهم قسمان: بنو عبد الملك الذين منهم أبو بكر صاحب الموشحات، وبنو قسورة الذين منهم أبو بكر هذا. ولبنى قسورة فى جزائر نهر إشبيلية مظهر قديم، لم يزالوا يَجرون من حكمه على صراط مستقيم.

من شعره فى جنة قشتيلة

وكان للشيخ أبى بكر بن قسورة جنة قشتيلة أمام قورة، وهى مشهورة بحسن المنظر مقصودة بالتنزه، إذ هى جزيرة مُعترضة بمحاسنها من صعد أو انحدر كالبُرد المُحبَّر؛ وكم لنا بها مع هذا الشيخ وابنه «خصيب» الفتان الصورة[2] الظريف الأديب من ليال وأيام، كأنها فى فم الزمان ابتسام؛ وكان يجرى لنا فى أثنائها من المجالسات المحتوية على فوائد الأدب، ما تغصّ بجمعه حقائب الحقب؛ ولا أنسى من لذات الدنيا يوما ركبنا فيه النهر إلى هذه الجزيرة، إلى أن أطلانا على مبانى قورة؛ وهى أمامنا كالحسناء الغريرة؛ فهز الشيخ إلى القول ما عاينه من ذلك المنظر الذى لم يخلق لغير النعيم، فقال مخاطبا لى ولولده وهو فى ذلك قُعدىّ[3] يزين التحكيم: [كامل]

[52 B]

اشرب على الوادى على الأنسام	تهفو الصَّبا منهنّ بالأعلام
وانظُر لقورة كالعروس وعِقدُها	نهرٌ حَباها منـــه شِبْه حُسام
واعطف على قشــتيلة الغرّاء لا	تَبْرح تحيّيها بكأس مُــدام
هى جنة الدنيا وإن نازعتنى	فأقِم بها تأمن صُروف حِمام

شجاعته

وكان الشيخ أبو بكر على حالٍ جليل من الصيانة، والخير والأمانة؛ حتى قدّمه أهل بلده إماما بجامعهم الأعظم، وكان — رحمه الله — حقيقا بأن يؤتم به ويقدم؛ وكنت أرغب فى مجالسته، والاستفادة من منازعه وملاطفته.

بينه وبين وكيله

رأيته يوما وقد جاء وكيله بمرتّبه، فأعطاه درهمين منه. فاستحيا الوكيل وقال: لا إله إلا الله! أنا آخذ هذا القدر كما يأخذ الأجنبى من الناس! فقال: ياولدى، هذه عادتى فى كل شهر مع من ساق المرتب كائنا من كان، وأخاف إن منعت ذلك من مثلك أن يصير لى عادة ويطيب لى الإمساك، فأفعل ذلك مع غيرك فيذُمنى.

(١) ت: «كانت».

(٢) ت: «الصوت».

(٣) القعدى: بالكسر والضم: العاجز، كأنه يؤثر القعود.

وكنت معه يوما فى قبلة الجامع ، وإذا بشيخ كثير التضجر والتبرم ، فكدّر علينا ما كنا فيه ، فقال له الشيخ أبو بكر : الدار التى تسكن فيها هى لك أو بالكراء تسكنها ؟ فقال : هى لى . فأفكر ساعة ثم قال ، فأحسن ماشاء فيما نحاه من المنزع والمقال :

من شعره فى متبرم

[كامل]

خُذ بالتعزِّى تَسترح وانظر إلى ... مَن حُطَّ دونك فى الحُظوظ وأَجْمِلِ

ولْتنتظر نُوَب الورى واصبر على ... غَمَرات دَهْرك راجياً فستَنجلى

كم مِن ذَليلٍ عاد وهـو مُعزَّز ... وعزيز قَومٍ عاد مثل مُذلَّل ٥

فِيم التضجُّر والتبرمُّ دائما ... مُستعجلا فى الرِّزق مالم يُعْجَل

ما أنت فى حالٍ تسوء وأنت قد ... ظفرتْ يداك بِبُلغة وبمنزل

دارِ الأُمور وكُن به متكتِّما ... والقَ الورى بتعزُّز وتجُّمل ١٠

ومن المحاسن المعدودة قوله يخاطب أبا العلاء حين بايع لنفسه بإشبيلية :

وله يخاطب أبا العلاء

[كامل]

والله ما أدرى بما أتوسّلُ ... إذ ليس لى ذاتٌ بها أتوصَّلُ

لكنْ جَعلتُ مودّتى مع خِدْمتى ... لِعُلاك أَحظى شافعٍ يُتقبَّل

إن كنتُ من أدوات زُهْرٍ عاطلاً ... فالزُّهْرُ[1] منهن السِّماك الأعزل ١٥

(١) زهر الأولى : قبيلة المترجم له . وزهر الثانية : النجوم .

[53 A]

٣٦ — / أبو على عمر بن محمد الأزدى الشلوبينى (*)

بلده

ينسب إلى شَلُوبينة ، من حصون غَرناطة الساحلية ، وهو إشبيلى .

طلبه للعلم

كان والده خبازا بإشبيلية فأنفتْ نفسه من صنعته ، وٱنحرفت همتُه عن حرفته ، وعكف من صباه على النحو حتى برع فيه ، ولم يترك أحدا فى عصره يوازيه . شهدتُ مجلساً أقرأ به بإشبيلية غاصًّا بالبلديّين والغُرباء من الآفاق ، ثم رحلت فوجدت ذكره قد ملأ مسامع الشام ٥ والعراق ، كان مع إمامته فى النحو مُقرئا لمصنَّفات الأدب الجليلة ، قائما بمعرفتها وضبطها وروايتها عامرا بذلك غُدوَّه وأَصيلَه .

منزلته وكتبه

قرأتُ عليه منها "الكامل للمبرد" و"ديوان أبى الطيب" ، وسمعت غيرى يقرأ لديه غير ذلك وهو فى جميعا كالعارض الصيِّب ، إلا أن النحو كان الغالب عليه ، والجالب من أقطار البلاد ١٠ إليه . وله فيه تصانيف مذكورة ، منها : التوطئة ، ثلاث نسخ ، شرح الجزولية . وكان كلما صنف كتابا زاد فيه بزيادة عمره ، ولا يخلى منه إلا بحُلول قبره . واشتهر فى إقرائه بحدة الخُلق والسب لأئمة النحو وغيرهم ممن يعرض له ذكر لا يبالى من وضع فيه لسانه ، شانه ذلك أم زانه .

لابن عتبة فيه

وفى هذا الشأن يقول ٱبن عُتبة الطبيب ، وكان ربما ألمّ بمجالس إقرائه إلمامَ الرقيب :

[وافر]

١٥ تجنَّب إن رشُدت أبا علىٍّ ... ولا تَقربه ما بين الأنامِ
ونكِّب نحوه إن كنت تأبَى ... وتأنُف همــةً سَقَطَ الكلامِ
يمُد الرجل فى الإقراء جهلاً ... ويلعن سيبويه بلا ٱحتشامِ
وإن باراه مُعترض بحق ... سمعتَ لديه غَوغاء الطَّغامِ

هو وابن الصابونى

واتفق له مع ٱبن الصابونى الشاعر الحكاية المشهورة ، وذلك أن الشاعر المذكور كان ٢٠ يلقب بالحمار ويغتاظ من ذلك ، فبينما هو ذات يوم يقرأ عليه كتاب «الإيضاح» إذ مرت مسألة :

(*) المغرب (٢ : ١٢٩) التكملة لابن الأبار (ص ٦٥٨) بغية الوعاة للسيوطى (ص ٣٦٤) الديباج المذهب لابن فرحون (ص ١٨٥) الشذرات للعماد (٥ : ٢٣٢) النجوم الزاهرة (٦ : ٣٥٨) .

« السَّمن مَنوان بدرهم» ، وتشعبت المذاكرة إلى أن اغتاظ الأستاذ عليه، فزحف إليه من صدر مجلسه وقال له : ياحمار ابن حمار بن(٢) ! وجعل يصعد هكذا شيئا فشيئا إلى أن قال له : يامائة ألف حمار! ياملء الأرض حميرا! ثم جعل / إصبعيه فى أذنيه ونهق وهو يزحف إليه. [53 B]
واجتمعت العامة على باب المسجد ، وكانت حالة مضحكة .

٥ هو وأبو العلاء،وقد منعه مجلس الفقه

وكان أبو العلاء بن المنصور قد جعله يحضر مجلس المذاكرة فى المذاهب ، فوضع لسانه فى أئمة الفقه، فمُنع الحضور من حينئذ ، وقيل له : أنت رجل لاتترك عادتك ، وأئمة الفقه ليسوا كأئمة النحو ، ويخشى عليك من أن تتعرض لسفك دمك .

من شؤمه

ولما سافر أبو العلاء إلى مُرسية خطب خطبة قال فى أولها : ثلّمك الله وتَرك . وكان يجعل السين والصاد ثاء ، فتطيّر الناس بذلك ، وكانت الحركة على ما اقتضاه الدعاء ، لم يرجع إلا وقد تناثر سلك الأندلس عليه .

١٠

شعره فى غلام

وكان له نظم اشتهر ، منه قولُه فى صبي اسمه قاسم ، وهو مما سمعتُه منه وكتبته ، للإغراب بمنزعه :

[طويل]

ومما شَجى قلبي وفَضَّ مَدامعي   هَوًى قَدَّ قلبي إذ كَلِفتُ بقاسِمِ

١٥

تمشَّقتُه جَهدى فكان لِشقْوتى   وطُول عنائى قاسياً غيرَ راحم

وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن   وكانت كميمٍ أُلحقت فى الزَّراقم

والزراقم : الحيات . والمراد أنه قاسي . فانظر إلى هذا التكلُّف فى الغزل ، والتعسف الذى يكدر كُل قول وعمل .

من شعره

وأنشد أيضا فى مجالسه لنفسه ، وأنا أسمع قوله :

٢٠

[بسيط]

لو لم تكن لِيَ أعراقٌ لها كَرم   ولم يكن فى رجال الأَزد لى سَلَفُ

لكان فى سيبويه الفخرُ لى وكفَى   بذاك فخرًا فكيف العِلم والشَّرف

فالحمـــدُ لله حمدًا لا انصرامَ له   فكُل ذى حَسدٍ فى مثل ذا يَقف

(١) ب : « ياحمار يا حمار بن » .

من غفلته

وله حكايات مشهورة فى الغفلة ، منها عُنقود العنب الذى وضعه فى نهر إشبيلية ، وهو فى القارب حتى يبرد ، ثم مد يده ليأخذه .

عليه

ومنها أنه كان ينسخ والشعير إلى جانبه ، فينشر الورقة بالشعير فتسود بجميعها .

ومع هذا فإنه كان من ذوى المروءات والعصبيات[1] ، له فى ذلك غير حكاية ، وأما فى درجة العلم والدراية ، فإليه كانت قصب الغاية . ٥

وفاته

وكانت وفاته ببلده إشبيلية فى سنة ست وأربعين وستمائة ، قبل استيلاء العدو عليها بقليل .

---

(١) ت : « التعصبات » .

٣٧ — أبو الحسن على بن جابر الدباج الإشبيلى (*)

[54 A]
شىء عنه

/ كان من الأدب بمنزلة عالية ، لا تزال مجالسه بمحاضرتها حالية ؛ ونسخ من تصانيفه[١] بخطه الرائق مايغنى الحاضر ، و يقصُر عن نضارة منظره مطاول الروض الزاهر . وهو ممن قرأت عليه مدة ، ورويت عنه من الكتب عدة ؛ وكان مع رقة حاشيته ، وتلطفه مع أصناف غاشيته ؛ أمتن الناس دينا ، وأخلصهم لله يقينا ؛ حتى إن أهل إشبيلية ارتضوه لجامع العديس إماما ، ورزقه الله من حب الخاص والعام ما صير حبه لزاما ؛ فحيثما توجه لقى بالقبول ، والبر الموصول . وكانت له فى أثناء إقرائه نوادر سوائر ، وثوبه مما حرم الله طاهر .

هو ورجل فى مجاسه

كان أحدُ المتطلِّبين الأعيان ، كثيرا مايلزم مجلسه لغرض كان له فى بعض القوم ، فدخل على غفلة فرفع الأستاذ رأسه وقال : ارجع إنه ماجاء اليوم . فخجل وعاد على حافرته[٢] ، ومنعه ذلك من مخالطة الصبى ومجالسته ، ثم لم تمر الأيام حتى قرئ بمجلس الأستاذ قول المتنبى :

[بسيط]

وقد طرقتُ فتاةَ الحىّ مُرتدياً بصاحب غير عِزهاة ولا غَزِلِ

فقال ذلك الخجِلُ المتجنب : سيدى ، ما العزهاة ؟ فقال الأستاذ : العزهاة : من ينفر عن محبوبه ولا يعود إليه . فقال : ياأستاذ ، ما أدرى ما أعمل ، إن أقمتُ عتبتَ ، وإن تغيبتُ عيّرت[٣] . فضحك الأستاذ وقال مامعناه : لولا هذه السرائر ، ماحفظت النوادر .

هو وصبى كان يقرأ عنده

وكان يقرأ عنده صبى من أعيان الجند له شارة وَجِدَةٌ ، فصاح به يوما : يا أستاذ ، فلان قال لى : أعطنى قُبلة . فقال الأستاذ غير مكترث : وأعطيته ماطلب ؟ قال : لا . قال : خيرا عملت ، لاتعطه شيئا . وأخذ فيما كان بسبيله من الإقراء . ولما خلا المجلس جاء الطالب وقال للأستاذ : والله ياسيدى لقد كذب هذا الوقح علىّ . فقال : يكفى ما كان ، وإياك أن تطلب منه شيئا آخر ، وتقول أيضا : يا سيدى ، كذب علىّ ! فضحك وانصرف خجلا .

(*) الرايات (ص ١٦) التكملة لابن الأبار (ص ٦٨٣) نفح الطيب (٢ : ٣٢٢) بغية الوعاة للسيوطى (ص ٣٣١) الشذرات (٥ : ٢٣٥) النجوم الزاهرة (٦ : ٣٦١) .

(١) ت : « تصانيفها » .

(٢) على حافرته : أى على طريقه الذى أحسن فيه . (٣) ت : « تغيرت غيرت » .

من شعره

وله موشحات ومقطعات . ومن أحسن ما أخذته عنه من شعره قوله متغزلا :

[بسيط]

لما تبدّت وشَمس الأُفق باديةٌ أبصرتُ شمسين من قُرب ومن بُعدِ

من عادة الشّمس تُعشى عينَ ناظرها وهذه نورُها يَشفى من الرَّمد

٥ [54 B] وقوله ، وقد خرج مع طلبته برسم الفرجة وأكل المُجبّنات يوم خميس / إبريل ، على عادة أهل إشبيلية ، فلما قُرِّبت مائدتها مدّ الأستاذ إليها كفّه ، ما ردّه حرُّ نارها ولا كفّه ، وقال :

[كامل]

أحلى مواقعها إذا قَرّبتها وبُخارها فوق الموائد سامِ

إن أحرقت لمسًا فإنّ أوارها فى داخل الأَحشاء بَرْدُ سلام

١٠ وكانت وفاته رحمه الله بإشبيلية ، وقد آن أن يغلب العدو عليها ، فى شعبان إثر وفاة أبى على الشّلوبين .

وفاته

٣٨ – الأعلم البطليوسى أبو إسحاق إبراهيم بن قاسم (*)

شيء عنه

من المتصدرين للإقراء بإشبيلية. قرأت عليه مدة ماشاء الله من كُتب ، ووقفت على جملة من تصانيفه التى كان يزعم أنه لم يخلق الله تعالى من يصنِّف مثلها فى فنون العرب .

من خلقه

وكان صعب الخلق يطير الذُّباب فيغضب ، وأما من تبسّم من أدنى حركاته أو نطق فإنه لابد أن يُضرب .

٥

من نوادره

فما تعلّق بهذا الشأن ، حكايات تحتمل أكبر ديوان . ومن نوادره فى التبرم وشكاسة الأخلاق ، أنه قال فى إشبيلية ، ولم أسمع بهاجٍ لها أو مفضل عليها أفقا من الآفاق :

[مجتث]

يا حِـمص لازلتِ داراً لكُل بؤُس وساحَـهْ
مافيـك موضـعُ راحه إلّا ومافيـه راحـه

١٠

شعره فى فتنة الباجى

وكان والدى كثيرا مايتعجّب من تبرمه بالزمان، والوقوع فى الإخوان وأصحاب السلطان . قال : جلست معه يوما وأخذت فيما حلّ بإشبيلية أيام فتنة الباجى وقتل من قتل ، وفقر من افتقر . فأطرق وتنفس الصُّعداء وقال : دعهم ، لايفلحوا إذا أبدا . ثم أنشد :

[وافر]

دَعِ الأيامَ تُنصف من أناسٍ إذا صارت لهم حَقروا الكِرامَا
ولا تدمع جُفونُك إن تفانَوْا ولا تقرأ على أحـدٍ سـلاما
ونكِّب عن مَصارعهم بجزاء ولا تحفـظ لمَـذموم ذِماما
وفـكِّر فى صَنيعـهمُ وُلاةً لتشـكر فى تسرُّعه (1) الحِماما
صحبتُ الناس جيلاً بعد جيل فلم أرَ مَن أودّ له المُقاما

١٥

ثم اجتمعت به بعد ذلك فسألته عن قائل هذه الأبيات ، فقال : إنها من جملة مانظمته من الترّهات .

٢٠

مولده ومشيخته ووفاته

[55 A]

وكان مولده ببطليوس . وقرأ بإشبيلية على الأستاذ هذيل . وكان يحكى كثيرا من نوادره ، وينزع منزعه / فى موارده ومصادره . وتركته بإشبيلية فى جملة المقرئين ، ثم بلغنى أنه مات بها سنة اثنتين وأربعين .

(*) المغرب (١ : ٣٦٩) بغية الوعاة (ص ١٨٥) .

(1) ب : « تصرعه » .

٣٩ — أبو المتوكل الهيثم بن أحمد بن أبى غالب بن الهيثم الإشبيلى (*)

شىء عنه

المشهور بالحفظ والارتجال . بدر الحلك ، ونادرة الفلك ، البحر الزاخر فى الرواية ، والروض الناضر فى المعرفة والدراية . إن أخذ فى الإيراد والإنشاد ، فكأنما رُد إلى الحياة جماد . فارس ميدان الارتجال ، فى أى نوع طلب من الأشعار والموشحات والأزجال .

٥ من ارتجاله

عهدى به عند والدى فى دار المختص بإشبيلية يُملى على شخص قصيدة ، وعلى آخر موشحة ، وعلى آخر رسالة ، وكل من حضر يعوِّذ بالله بديهته وارتجاله .

من حفظه

وسأله والدى يوما عن لغة . فنقلها من « الغريب المصنف [1] » ، فاعترضه من قَصَّر بنفسه واستهدف ، فأخذ يسرد الكتاب من أوله حتى وقف عند تلك الكلمة ، وقد كاد يموت ذلك الذى غمطه حقّه وظلمه .

١٠ من حفظه

وبات ليلة فى سماع ، فابتدأ السمع بشعر على القاف فأظهر حفظه ، فقال له بعض الجماعة ممن لا يعرف قدر حفظه : أراك تذكر هــذه الأبيات ! فضحك وجعل ينشدهم من محفوظه على حرف القاف إلى أن طلع الصباح ، وقد ضج كل من أَصغى السمع وصاح . وهو يهدر فى طريق غير مغلق وينشد : [كامل]

* أرق على أرق ومثلى يأرقُ *

١٥

فانتهى به انتهاء الليل فى هذا الموقف ، ومات من الخجل مَن ظل يهرف بما لا يعرف .

من زيه

وكان على حال عجيبة من الزى الخشن [2] الوسخ الأطراف ، إلا أنه مع ذلك لا يزال كثير الإلمـام بمنازل الكبراء والأشراف ، فيحتملونه على علاّته ، كما يُشم الورد فى شجراته .

اجتاز يوما بسقيف أبى الحسن بن الفضل الذى تناهى إليه الظرف بإشبيلية ، وبين يديه ولد له من حُور العين ، وعليه من الثياب المدبَّجة ما يليق بتلك الحـال من التَّزيين ،

(*) نفح الطيب (٤ : ٣٤٨ ، ٥ : ٢١٥ ، ٦ : ٦٧) الرايات (ص ١٨) المغرب (١ : ٢٥٨) التكملة لابن الأبار (ت ٢٠٢٥) .

(١) هو لأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ .

(٢) ت : « الغلف » .

فسلّم وجلس ثم أخذ يقبّل الطفل ويتقرب إلى والده على زعمه بضمّه ، فلما تأنس به جمع حجره ونثر فيه ما كان اشتراه لعشائه من حمّص المرق وأودعه فى كمه . فلما رأى الصبيّ ماحل بثيابه بكى ورمى بالحمّص عند بابه ودخل إلى الدار فى صياح وعويل ، والهيثم فى أثناء ذلك يلقط مارمى به ويضعه من كمه فى أوسخ من منديل .

[55 B] ٥ مقتله

وكنّا / ربما أحضرناه فى الفُرج للتمتع بآدابه وارتجاله ، وتغافلنا عنه عند[1] ذكراه لسقوط همته وابتذاله . وآلت به الحال إلى أن خرج فى حصار الباجى وشدة ذلك الغلاء إلى شريش فاتهم بذهب فقُتل عليه شرَّ قِتلة ، وهيهات أن يخلف الزمان بالأندلس أوغيرها مثله . وكان ذلك فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

من شعره يخاطب أبا العلاء ١٠

وسمعت منه من شعره كثيرا ، ولكون معظمه لم تُنضجه الرويّة ، فتر عن الإكثار منه نشاطى ولم يكن لى فى غير ما أُورد منه فى هذا المكان نية . فمن ذلك قوله يخاطب أبا العلاء المأمون بإشبيلية ، وقد جرى بينه وبين بدوىّ من أهل الشرف وقفة ملهية :

[طويل]

تعرّض لى بالبدو أهوجُ طائش ... أتى مُسرعا نحوى تأبط لى شرّا

وذكرى عجوزى وهى تبكى تأسّفا ... علىّ بُكا الخنساء ذكّرنى صخرا

١٥ فبادرتُ من حَينى صفاةً كقابه ... فإن يَفتتح باعًا فتحتُ له[2] شِبرا

فأُقسم لولا أن نحوتُ له بها ... لقد كان لى زيداً وكنتُ له[3] عمرا

وله فى الشكوى

وقوله ، وقد نظر إلى باب غنىّ مَزُورا ، وبابه إلى جانبه مهجورا :

[بسيط]

يُجفَى الفقيرُ ويَغشى الناسُ قاطبةً ... بابَ الغنىّ كذا حُكم المقاديرِ

٢٠ وإنما الناسُ أمثالُ الفراش فهم ... يُرَوْن حيث مصابيح الدّنانير

وله من رسالة

وقوله فى رسالة :

[بسيط]

قد كنتُ أودع سِرَّ الشوق فى طِرْسٍ ... لكنّنى خفتُ من نارى على الطِّرْسِ

---

(١) ت : « عن » . (٢) ت : « بها » .

(٣) يشير إلى المثل الجارى على ألسنة النحاة : « ضرب زيد عمرا » .

وله في سيل اشبيلية

وقوله في سَيل إشبيلية المشهور ، الذى إذا طَما أتى على المَنارة والدُّور :

[سريع]

لله حِمْصٌ أيما بلدةٍ لو أننا نأمنُ ثُعْبانَها[1]

طاف بها والريحُ رَوّح[2] له فآبتلع الأرضَ وسكّانَها

٥ وقوله وقد حضر عشية مع شَرْب بين مابالفنت[3] من الرياض والمذانب، وقد جنحت الشمس إلى المغارب :

[مجزوء الرمل]

حبّذا الفنت ووادي ـــه إذا رقّ الأصيلُ

والصَّبا مَدّت على الرَّو ض جناحيها البَليـــل

١٠ ولنَور الفُول ألحا ظ لها القلبُ يَميل

وبقايا الشمس في الأُفْـــق كما احمرّت نُصول

(١) الثعبان : مجارى الماء . (٢) ت : « رفع » .

(٣) هو فنت اليدِ (Hontabla) : من منازه إشبيلية .

٤٠ — أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبيلى (*)

[56 A] شىء عنه

/ كان ظاهر الهَرَج، وافر الانزعاج والحَرَج، يضجر فى المحاضرات، ويَلِجُ فى المذاكرات. جالسته كثيرا بإشبيلية فكنت ربما قدحت زَنده لأقتبس من ناره، فلا أخلو من الضرر ببوادر شَراره. وكان مشاركا فى الطب والأدب، حائزا بأسبابهما ما يقصُر عنه مِن نابِهِ الرتب. ٥

لأبى على فيه

وفيه يقول الشيخ أبو علىّ، ابن الشيخ أبى موسى، ابن الشيخ المقدس المرحوم أبى حفص : [مجتث]

إن ٱبن عُتبةَ فيه — من الجُنون ضُروبُ
يضجّ بِقْراط منه — ويَستجير(١) حَبيب
ما فيه عيبٌ ولكن — الكُلُّ منه عُيوب ١٠
سُوءَ التأدُّب يحوى — وهو الحكيم الأَديب

مؤلف شاعر

ومع هذا فإنه كان حافظاً لفنون الآداب، مصنِّفا فيها غيرَ ما كتاب، غائصاً على المعانى التى يبين عليها قُوة التخيل، صاقلا للألفاظ التى لاتخلو من حُسن الإبداع والتحيّل. له موشحات طريفة لطيفة يُغَنّى بها فى الأقطار، ويعرف بها ما كان له فى تلك الطريقة من سُموّ المقدار.

١٥ من مجالس ابن سعيد معه

ومن المجالس(٢) التى جرت لى معه، ولم أكن لمُراده فيها بإمّعة، أنه قال لى يوماً ونحن فى محفل من أهل هذه الصناعة، وما منهم إلا من هو موفور البضاعة : لقد تيّم أهل غَرنا طتكم بموشحة مُهرهم التى يقول فيها :

* ورداء الأصيل يَطويه كفّ الظلام *

فقلت له : تُنصف أو تنصرف ؟ فقال لى : ستجدنى إن شاء الله من المُنصفين. فقلت له : أليس يُعذرون(٣) على ذلك وشيخكم إمام الوشاحين أبو بكر بن زُهر لما سمع ٢٠

(*) المغرب (١ : ٢٥٨) الرايات (ص ٢١) نفح الطيب طبعة أوروبة (١ : ٨١٥) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة.

(١) حبيب، هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر. (٢) ت : «المجالسة».

(٣) ت : «يقدرون».

هذا الذى فخروا به أظهر استحسان مثله من الأدباء، وقال : أين كنا نحن عن هذا الرداء !
فقال : قد قلتُ أنا خيراً مما قال ، ثم أنشد ما بيّن فيه عجز نفسه عن ذلك المجال :

* والظلام قَتيل والصبح دامى الحُسام *

فقلت : الله أكبر ! الآن يبدو الحق و يظهر ، أخذت «والظلام قتيل» من شعر المتنبى ،
٥ وأخذت ما لفقته به من قول أبى جعفر بن سعيد :

[وافر]

شَرِبْنا ها و جيشُ الليل يعدو   وأنجُمُـه عوالٍ للرِّماح
إلى أن خَرّشاكى الليل ميْتاً   وسيف الصبح مُحمّـر النّواحى

وبُهت ولم يُحر جوابا، وأطرق تأسُّفا واكتئابا. ثم قلت له : ومع أنك مُتَّبع والمُهر متبوع ؛
[56 B] فإن كلامه لائق بمجالس السرور، وكلامك لا يجب أن يسمع إلا حيث تُقرع البَيض بالذكور[1] .
١٠ فانصرف مُغضبا من ذلك الانخزال ، وهو يقول بألفاظ الحرج : ما الذنب إلا لمن يخاطب
الجهّال . ثم اجتمعت معه بعد ذلك فتبسّطته باللين فى حاضرته ، وطلب ما يستفاد من
مذاكرته . فأنشدته من شعره ، ما بَرَز به على أبناء مصره ، وذلك قوله :

[وافر]

أَعدنا فَحمـة الظلماء ناراً   براحٍ بات مُوقدها براح
١٥ فأشرقتِ الجهات بها وزادت   بما آسترقَتْه من غُرر المِلاح
وما زِلنا نُدير الكأس وَرداً   وروضُ الجوّ يَبسم عن أقاح
إلى أن شُقّ جَيب الليل شوقاً   وعُبّ بكأسنا ضوءُ الصباح
وقد بُطحت كؤوس الراح منّا   لها صَرعى على تلك البطاح

من شعره   وقوله، وقد حضر مع شَرب بجنّة من جنات إشبيلية ، وهم على الحالة التى ذكرها ابنُ
٢٠ وكيع فى قوله :

[منسرح]

قُم سَقّنى والخليجُ مُضطرب   والريحُ تَثْنى ذوائب القُضب

---

(١) البيض : جمع بيضة ، وهى ما يلبس على الرأس جنة ، والذكور : السيوف . وفى ت : « حيث يقرع صليل الجيش بالذكور » .

فقال :

[كامل]

انظر إلى الُغصن الذى تَهفو به ريحُ الصَّبا وتُميله نحو الكُؤوسْ

أوَما كفاه شُربه من طَلّه أوْلا فلِمْ جُعلت ذوائبه[1] تَنُوس

أَسقيه من أكواسنا ولو أنه سكرانُ يَطفح حتّى مالتَم الرءوس ٥

هذا الطراز العالى ، والنظم الذى يُقصِّر بنظام اللآلى .

ومما أنشدنيه من شعره الذى هزّنى هزَّ الُحسام فى يد الشُّجاع ، وحاز به غاية الإبداع والانطباع ، قوله :

[مديد]

أنجزتْ وعدى على[2] غَرَرِ فقطعنا الليلَ بالسَّهرِ ١٠

فى حديثٍ لا يكدِّره مَرُّ وَسواس من الفِكر

وكأنِّى إذ أُضاجعها بِتُّ فى رَوض النَّدى العَطِر

فى خِتامٍ من تعانقُها خِلْتــه نَسْمة السَّحر

فــدعتْنى للــوَداع فلم تُبْقِ مِن نفسى ولم تَذر

قلتُ ماذا السيرُ فى عَجَــل وغُراب الليــل لم يَطِر ١٥

فانثنت كالغُصن مُشتملا بفُنون النَّــور والزَّهر

ثم قالت كُل ذى غَنَج وَدلالٍ غير مُعتــذِر

قُم فودِّع[3] غــيرَ منتقد قبل شَوْب الصَّفو بالكدَر

فتعانقْنــا لفُــرقتنا ثم لا تسأل عن الخــبر

وأخبرنى صاحبه بمصر أبو الفضل التِّيفاشى قال : قدم علينا بالقاهرة الطَّبيب/أبو الحجاج ابن عتبة ، فلم يجد من يُقبل عليه إلا كهف المغاربة الرئيس السيد جمال الدين بن يغمور ، فصيّره ٢٠

للتيفاشى عنه [57 A]

(١) تنوس : تتحرك وتتذبذب متدلية . (٢) غرر : خطر وتعرض للهلكة . (٣) ت : «وودع» .

مشاركا مع أطباء المارستان ، وكان يأنس به فى بعض الأوقات مؤانسة الإخوان، فسأله مدة عن أخبار بلاده ، فقال: فارقت الأندلس مضطربة بدولة ابن هود ، ومع ذلك فإنى أشتهى الرجوع إليها لما أعاين هنا من أشغال النصارى فى الدولة واليهود ، ثم قال :

[مخلع البسيط]

٥ أصبحتُ فى مصرَ مُستضاماً أرقُص فى دَولة القُرودِ

واَضيْعةَ العُمر فى[1] أخير مع النصارى أو اليهود

بالجد رِزقُ الأنام فيهم لا بذَواتٍ ولا جُدود

لا تُبصر الدهرَ من يُراعى معنًى قصيدٍ ولا قُصود

أودّ من لؤمهم رُجوعا للغَرب فى دولة ابن هود

١٠ قال التِّيفاشى: أنشدنى هذه الأبيات جمال الدين لاحتماله وحُبه فى طرائف الأدب[2] كيفما جاءت ، فقال : أتدرى ما أراد الخبيث فى البيت الأول ؟ قلت : المثل السائر: يُرقص للقرد فى دولته . فقال : قد أشار إلى شكل الغز وتشميرهم . قال : فعجبت من فهمه وحِلمه .

وفاته وكانت وفاته بالقاهرة سنه ستة وثلاثين وستمائة .

---

(١) أى فى آخر العمر . (٢) ت : « أهل الأدب » .

٤١ — أبو العباس أحمد بن عفير[1]

شىء عنه

من شيوخ لَبلة[2] وأعيانها، بل نَبّه من قدرها ورفع من شانها ؛ إذ صار له صيت بالقاعدة الإشبيلية، ونوّهت به فى غيرها من القواعد والأقطار رحلتُه الشرقية؛ وكان ممن برع فى طريقة الوُعاظ، ودخل مداخل[3] الرُواة الحفّاظ؛ وامتد فى الرحلة إلى أنجح وزار، فعاد إلى ما كان بسبيله من الخطايا والأوزار ؛ ولو أنه سلك مسلك الأديب فاتخذ الليل نهارا، ولم يتظاهر بالمعاصى جهارا، لكان أخفى لوَيله ، وأستر لمَساحب ذيله ؛ لكنه أخذ نفسه بركوب المنابر فى البكر ، بما يحمل على التجرد والإنابة ، ثم إذا نزل عنها أخذ فى المراكب الأخر ما يبزّ أحوال صاحب سلامة وحَبابة ؛ إلى أن صارت العيون تُمجّه من الخاص والعام ، فأتى عليه الكُسوف عند التمام .

مقتله

قتله فى سنة ثمان وثلاثين والِى ابن الأحمر على مالقه ، لما أكثر فقهاؤها من وصفه بالزندقة ، وصح عند العالَم أنّ حنينه وأنينه بمجلس الوعظ كانا حيلة على ما فى أيديهم ومَخرقة .

[57 B]
من بليغ وعظه

وقد كان — سامحه الله — بديع الألحان فى وعظه ، رقيق / الافتنان فى معناه ولفظه ؛ يميل بطرائقه إلى الأسماع ، ويهيج بما يبديه من حقائقه فى طىّ مخارقه الطباع . حفظتُ من كلامه فى مجلس إشبيلية : يامن ينام وقد أمره من لا ينام ، إلى كم تسوِّف أمره[4] عاما بعد عام؛ أعندك أمانٌ كل ليلة من البقاء فى صبيحتها ، أم لك دالّةٌ على مالكِ نفسك عند محاسبتها وفضيحتها ؟

من شعره

وأُنشدت له مقطعات عدّة لم أرضها ، لما قلّبت سماءها وأرضها . وأمثل ما ولج سمعى منها قوله يخاطب الكاتب أبا يحيى بن هشام ، وقد كان ينادمه فانقطع عن منادمته لما رأى من تهتكه ، بعد إظهار زهده وتنسّكه :

[سريع]

ما ضرّ من كنتُ نديماً له	لمّا رأى الدانى له بُعدِى
إيناسُ إيحاشى بما يطـــرد الهمّ	ودَعه تاركى وحدى
وإنما الأيام مَقسومة	وها أنا مُنتظر سَعدى

(1) ت : « غفير » .

(2) ليلة : فى غربى الأندلس .

(3) ب : « مدار » .

(4) ت : « أوامره » .

أخبرنى الشيخ الجليل أبو يحيى بن هشام أنه أرسل إليه هذ الأبيات مع القارئ الذى يقرأ بين يديه فى مجلس الوعظ ومعه قلّة مُزَفَّته. قال: فحلفت أنه ليس فى منزلى قليل ولا كثير مما يطابه. فعاد وقال: يقول لك: إن لم يكن فى دارك مُدام، ففيها كثير من [أنواع][1] السُّحت والحرام، ودنّ المدام[2] ملآن، ولى خاطر ولسان. قال: فاستعذت بالله من نزوته، وأعدت رسوله يشكو ثقل قُلّته[3].

من حكاياته

ومن حكايته الطريفة أن أحد التجار الذين يحسنون الظن بالوعظ ٱستدعاه إلى منزله، وقد نَشزت عليه ٱمرأته؛ ليُصلح بينهما برقائق وَعظه، ورقائق[4] لفظه؛ فلما وقعت عين الواعظ عليها حَشر الشعبي[5] من[6] أكفانه، وجعل يُبدى فى طى نصحه ومُلحه لواعج أشجانه؛ ثم قال للمرأة، فى آخر كلامه: وإن كنت قد أبغضتِ الرجلَ لكونه من صنف التجار وأطراف العامّة، فأنا طوع يديك فيما تُريدين، فمالت إليه فى الحين؛ وانتقل من طريقة المُريدين، إلى طريقة المُرتدّين؛ وفسدت على بعلها الفَسادَ الذى لم يؤُل إلى صلاح، فطلّقها وتزوجها الواعظ بنكاح خيرٌ منه السفاح؛ وهذه لقطة من بحره، وساعة من دهره.

---

(١) التكلة من ت.
(٢) ب: «ودير الروم».
(٣) ت: «بثقل قلته».
(٤) ت: «ودقائق».
(٥) كذا فى الأصلين، والمعنى بها غير واضح. ولعلها: «نشر».
(٦) يريد أنه يشبه الشعبى الواعظ فى ورعه.

٤٢ — أبو عبد الله محمد بن ثابت

شيء عنه

أستاذ الجزيرة الخضراء ، وشيخ من لقيت بها من الأدباء ؛ جالسته كثيرا ، واستفدت منه ومن كتبه غزيرا ؛ وكان كثير الغاشية ، رقيق الحاشية ؛ يرجع إلى دين متين ، مع خلق أرقّ من النسيم وأرج من مِسك دارين[١] .

٥ [58 A] بينه وبين ابن سعيد فى غلام

بينما أنا / معه ذات يوم بالجزيرة الخضراء فى موضع إقرائه ، إذ مرّ بنا غلام يميس فى برود شبابه كالغصن فى ورقه وأندائه ، فقال :

[مخلع البسيط]

هـذا هو المنطق الجميلُ فكل قاب له يميـلُ

فقلت :

١٠

* قد حال بينى وبين عقلى *

فقال :

* أفى الهوى تُطاب العقول *

شعره الى أبى عمران

وكتب إلى والدى ، وقد أغفله أيام اشتغاله بالجزيرة الخضراء عما كان يتعاهده به[٢] :

[متقارب]

١٥

أَتنسى فديتُك مَن لم يزل مدى الدهر يذكُر ما تصنعُ

وما زِلتُ ذا ثقـة منـكمُ بمـا قـد أَراه وما أَسمع

وأنت عليمٌ بأنّ الزمان يضُر إذا شئت أو يَنفع

فكتب إليه بما شاء[٣] ، وأزال عنه بالإحسان ما ساء .

---

(١) دارين : مرفأ بالبحرين .

(٢) ب : « منه » .

(٣) ب : « عن شىء » مكان « بما شاء » .

٤٣ — أبو بكر محمد بن عمر الأندى(*)

شيء عنه

منسوب إلى «أندة»، حصن من أعمال رندة. هاجر إلى إشبيلية فاشتغل معي ومع ابن سهل بالتكثّر من فنون الآداب، ومُناهبة فرص أيام الشباب؛ وكان كثير الخروج معنا إلى الفُرج، جامحاً في ميدان الشعر جاريا منه على أوضح مُنتهج؛ إلا أنه كان قاصرا عن طبقة ابن سهل، فلذلك أضربت عن كثير من ارتجاله معنا إذ لم يكن لهذا المضمار بأهل؛ إلا أنه في آخر عمره عذب شَربه، ونما عُشبه؛ والمعاشرة تَحيك، وأحسن الذهب السَّبيك.

من شعره في عباد

فلما رأيته أهلا لهذا المكان، وثنيت عن سواه مُطلق(٢) العنان؛ قوله وقد سايرني لغرض كان بإشبيلية زمان الباجى، وكان عبّاد بن عبّاد بن خيار في ذلك الأوان مطمَح التمنى والتناجى؛ فرأيناه مقدما على جند أبيه كالبدر بين الكواكب، وكل أديب يشير إليه ويقول: هذا زين المواكب:

[سريع]

سطوة عبّاد لعبّاد ... ما بين إصدار وإيرادِ
إذا رَنت مُقلته نحوها ... فإنما الموتُ بمرصاد
أبصرتُه في مِيزة عارضاً ... كالبدر في أَنجُمِ أَجناد
وأعينُ الناس إلى حُسنه ... مِن حاضرٍ فيهم ومن باد
وسُندسيّ الخَزِّ مِن فوقه ... كأسٍ في الدَّوح مَيّاد
فقلتُ واشوقي إلى لَثمه ... ما بين أعدائي وحُسّاد
لو لم تكن أيامُنا أَبرزت ... منه غزالاً بين آساد
[58 B] / ما دمتُ(٣) أَلقاه فأَرنو له ... فالدهرُ لى أيامَ أَعياد

(*) المغرب (١ : ٣٣٨).

(١) ت : «منطلق».

(٢) ب : «ما كنت».

وله فيه

وقوله ، وقد نظر إليه فى ثوب أزرق ، كأنه البدر إذا أشرق :

[وافر]

تَطــلَّع فى سماوىٍّ فساءت ... له فى ذلك الزِّى الظُّــنونُ

فقلتُ أَلبسةَ الأَحزان تُبدى ... لنــا والمُســتهامُ هو الحزين

فقال لبستُها كيما تُســلّى ... فقلتُ هناك أعشقُ ما أكون

٥

لقد شقيتْ بك الأرواحُ حُزْنًا ... كما سَعدتْ بمرآك الجُفون

وتركته يخبط خبط عشواء فى شبابه ، وما أدرى ما تصرفت به صروف الزمان بعد آغترابه[١] .

---

(١) ب : « اغترابى و إيابه » .

٤٤ — أبو الحسن على بن معاوية الطريانى

شىء عنه

منسوب إلى طريانة المقابلة لمدينة إشبيلية . شاعر اديب ، كبير أريب ، جرت لى معه مُجالسات أندى من الروض المَطلول ، وآنس من بلوغ المأمول ؛ وكان من أعرف الناس بالأخذ بالنُّفوس ، وأرقّهم شمائل مع أنه على عفة وطهارة لم يقرُب قط ساحةَ الكؤوس .

٥ من شعره

فما أنشدنى لنفسه فأثبته فى هذا التقييد ، وحل عندى محلّ المحتاج إليه المفيد ؛ قولُه يخاطب بعض الرؤساء الأجواد ، وقد طالت غيبته لألمٍ حجبه حتى عن العُوّاد :

[بسيط]

ياغائباً أثَّرتْ فى الأُنس غَيبتُه ... تَفديك أنفُسنا من كُل محذورِ

أنت الذى تأخُذ الأيامُ زينتَها ... منه ومنك تُمَدّ الشمسُ بالنُّور

١٠ ماذا برَبعك من جُود ومن كرمٍ ... وحُسن خُلْق ونَضل غير محصور

فلا شكوتَ مدى الأيام من ألمٍ ... ودمت فى هِمَّة للنَّفخ فى الصُّور

وقوله ، وهو ممّا أُولع بمقصده ، وأكثر فى نَظمه من تردّده :

[بسيط]

رُوحى الفداءُ لمن رُوحى تَراحُ به ... من كُل هَمٍّ نَعم والسمعُ والبصرُ

١٥ تصرَّفتْ مُهجتى فى حُكمه كَفَاً ... كِمثل ماحكمت فى ظِلّها الصُّور

وله

ومما كرر فيه ، فكان من أنبل مناحيه ، قولُه :

[مديد]

لا أَراكَ الله يا أملى ... مارأتْ عَينى من السَّهرِ

خُلِقت نَفسى مُفزّعةً ... قبل أن تحتلّ فى بَصرى

٢٠ فغدتْ ملآى تَجيش هوًى ... باتصال الشّوق والفِكَر

ويَلوم العاذلون[1] وما ... يَعلمون العينَ بالأَثر

(١) ت : « العاملون » .

[59 A]

/لو دَرَوْا أنِّى أهيمُ بمن	قلبُه اقسى من الحَجَر
لا يُجيب الدهرَ داعيَـــه	نخوةً لم تَخْـل من أَشَر
وأنا فى طَوعِــه أبداً	كاتباع الظِّـلِّ للصُّور
عَذروا فى مِحنتى ورأَوْا	أنها من جُمــلة العِبَر

٥ ثم حكمت الأيام بالفراق، إلى أن اجتمعتُ بصاحب له بالعراق؛ فتذاكرت معه فى شانه، وجال كلَّ مجال فى ميدانه؛ وأنشدته له ما تقدم، وأنا أَحسب أَنِّى لم أُبق له فى المعانى المستحسنة من مُتَرَدَّم(١)؛ فقال لى: غاب عنك أجلُّ ممّا حَضر، ثم أَنشد له هـذا اللغز فى النَّهَر، وهو الغاية لمن أَنصف ونظر:

وله ملغزا

[طويل]

١٠ وخِلٍّ صفَاء زُرتهُ(٢) فوجدتهُ	وشَخْصِى منه فى الضمير مصُوَّرا
وأودعتُــه سرًّا فَأبداه للوَرى	فياحُسن ما أَبدى الغَداةَ وأَظهرا
سَطيح له جِسمٌ بغير جَوارح	يُبارى الرِّياح الجاريات إذا جَرى
أبوه حَليفٌ للــثُّريّا وأُمّه	به حاملٌ فى بَطن مُنخفض الثَّرى
تَضُم عليه الريحُ ثوباً(٣) مُفرَّكا	وتكسوه شُهب اللَّيل ثوباً مُدنَّرا

١٥ فتمنيتُ أن يعيد الدهرَ لقاءه وهيهات، ولا أدرى هل بقى فى الأحياء أو مات.

(١) مترَدم: الاسم مستصلح، أى من كلام يلصق بعضه ببعض. يشير الى قول عنترة:

* هل غادر الشعراء من مترَدم *

أى سبقوا الى القول فلم يدعوا مقالا لقائل.

(٢) ت: «صفا أوردته».

(٣) مفرك، أى مدلوك. ولعله يريد تعرج مسطح النهر الذى يشبه الثوب المتكسر.

٤٥ — أبو الحسن على بن جحدر الإشبيلى (*)

شىء عنه

أكثر اشتهارة بالانطباع فى الزَّجل، وهو ممن جال ورَحل ؛ وكان حافظاً للنُّكت متعلقا بالأدب ، قائلاً من الشعر مايستَحلى فى بعض الأوقات ويكُتب فيما ينتُخب .

شعره فى غلام

جالسته كثيراً بإشبيلية وعهدى به صبيحة يوم وقد أقبل علينا فتى من أعيان بلده ، له علاقة بخلده ؛ فالتفت إليه ، وقال مسلِّما عليه :

٥

[خفيف]

كيف أصبحتَ أيهذا الحبيبُ ... نحن مَرضى الهَوى وأنت الطبيبُ

لاتَزيد الزمانَ إلا نِفاراً ... وَيحها ياعلُّ منك القُلوب

كل أُنسٍ يَغيب عنِّى إذاما ... كنت عنِّى يانُورَ عَينى تَغيب

وعهدى به يوماً آخر وقد دخل عليه أبو العرب بن مَنظور، ووجهه حينئذ بكل لحظ منظور ؛ فقمنا له وتحرك بعضنا ولم يتحرك الشيخ ابنَ جحدر ، وفهم الإنكار فى وجه أبى العرب ، فقال :

١٠

وله يعتذر إلى أبى العرب

[مخلع البسيط]

اعذر أباك المُسنَّ واطلُبْ ... بالأَدب المُستحبِّ غيرِى

فما يُطيــق القيامَ منِّى ... شىء إذا جئتَ غيرُ أيرى

١٥

[59 B] / فخجل أبو العرب ثم قال :

* لابارك الله فيك شيخا *

فقلنا : هذا موزون ، وأعانه الجماعة فقالوا معه :

* ماعنده موضع لخير *

٢٠

ولا أقام الإله أيراً ... يَسير إن قام شر سَيْرِ

موته

وطال عمره حتى جاوز التسعين ، ومات سنه ثمان وثلاثين وستمائة .

(*) المغرب (١ : ٢٦٢) نفح الطيب طبعة أوربة (٢ · ٤٦٢) .

٤٦ — أبو بكر عتيق بن أحمد بن ميسرة الفرغليطى

شىء عنه

من فرغليط ، قرية من قرى شقورة . أحد الشيوخ الذين شرب الدهر عليهم وأكل ، المتبرمين بالأحوال المتنقصين للرجال فى كل قول وعمل ؛ عقربى الطبع ، مشنوء الوضع ؛ سخيف الشكل ، ركيك الفرع والأصل ؛ لا يسلم أحد من لسانه ، ولا يبيت فى أمانه ، ولو أنه غريق فى إحسانه . ٥

مما يحكى عنه من تجريحه للناس

ومن أظرف ما يحكى عنه أنه استعار من أبى العباس بن بقىّ - مُشرف إشبيلية - كتابا ، وجال فى خاطره ليلة أن يذم الرجل ، فسوّد ذلك فى ورقة ، فكان من ذلك : « والعَجب من هذا المشرف المسرف ، الخائن الحائن ، أنه يدعى الانتهاض فى شغل السلطان والأمانة ، ومرتبه فى الشهر عشرون دينارا ، ولقد أعطانى مرة ثلاثين دينارا . فمن أين تلك العشرة ؟ وما أنفق فى ذلك الشهر » ؟

ثم أخذ فى ذمه ، وذكر وخيم منشئه ؛ وكيف تدرّج إلى أن ولى الأعمال ، وداس ١٠ رقاب الرجال . ثم نسى وجعل تلك الورقة مابين ورق الكتاب المُستعار وردّه إلى أبى العباس ، فوجدها وقرأ مافيها وكاد يخرج من عقله من شدة الحَنَق ، ثم استدعاه وأوقفه عليها وأنّبه . فقال له غير مكترث : هذه عادة أهل الأدب . فأمر غلمانه فصفعوه ، وقال : يافقيه ! وهذه عادة خدام السلطان ، والأيمان تلزمنى لاخرجتُ من الثّقاف[1] حتى لا يبقى عليك مما أعطيتك درهم واحد . فما خرج من حَبسه حتى قَبض منه ثلاثين دينارا . واشتهرت الحكاية فاستنبلها من سمعها . ١٥

هو وابن البناء

وكان أبو بكر بن البنّاء الكاتب يقول : إذا رَفع لى ابنُ ميسرة بطاقةً بمدح أحرقها ولا أقرؤها ، لأنه لايقول خيرا على أى وجه كان .

ومدحه مرة بقصيدة منها : [مجزوء الرجز]

أيَابْنَ بنّاءِ الورَى ... صِرتَ رئيسًا فى[2] الذُّرَى ٢٠

رأى أنه مدحه بأن جعله بنّاء الورى ، وما كان أغناه عن ذكر الباء والنون .

شعر له فى الرعينى

وكذلك جرى له مع أبى الحسن الرعينى الكاتب ، قال فيه شعرا : [سريع]

أيا بن نَخّار الدُّنا لا تزلْ ... فى رِفعة مُكمِدة للحسودْ

(١) الثقاف : أى الحبس .
(٢) ت : « الورى » .

وكان أبوه نخارا . وأنشده هذه فى محفل ، فخجل أشد الخجل ، والشاعر يرتّل ذلك وينشده دون خجل .

[60 A] من شعره

وأكثر شعره سخيف المقطع والمنزع . وقد تَندُر له الأبيات ، فما أنشد نى / فكتبته وحفظته قوله من آبيات :

[رمل]

٥ قام أيرى بعد ما أَشبعتَنى   وإذ الزِّقُّ آمتلا قام يُده

وقوله :

[سريع]

هذا الذى أَقبل ما أَجمَلهْ   طُوبَى لمن فى خَلوة قَبَّلَهْ

وبعــد هذا يَنقضى بيننا   ماتَقتضيه ذِلَّة المَساله

أبسُط خدِّى فى الثّرى أو يُرى   يَبســط خدَّيه لمن بَلبله

١٠ وقوله :

[طويل]

توحَّد إذا أحببْت عن كُل ناصح   فسُحقًا لمن يَبغى شريكًا لحُبِّه

فهم حدَّثونى ما آستطاروا بنَقله   وهم أبعدونى كى يفُوزوا بقُربه

موته

وآلت حاله إلى أن كانت حركةٌ[1] بإشبيلية ، سنة خمس وأربعين وستمائة ، آنطلقت فيها أيدى العامّة على كُل من كان يركب فيها من أجناد النصارى ، فهرب جُندىّ منهم فى دَرب غير نافِذ ، فصادف آبن ميسرة فى آخر الدرب فطعنه فى سَلعة[2] كبيرة كانت فى جبهته حان ١٥ بها حَينه ، وكفت المسلمين لسانَه وعَينه . فقد كان معروفا بأنه إذا نظر أحدا نظر استحسان ، حصل فى أنياب نوائب الزمان .

---

(١) ت : « وكانت » .

(٢) السلعة : الغدة تحدث فى الجسد .

٤٧ — أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الحجارى

شىء عنه

ينسب إلى وادى الحجارة من عمل طُليطلة . وبلد أبيـه بَيّاسة، ومنشؤه وناديه هنالك وفى جيّان. وكان أبوه مشتهرا بالأزجال، معروفاً فى البلاد بالحلّ والتَّرحال، ونشأ أبو إسحاق متعلقا بالآداب، ظافراً من الشعر بالأهداب. وكُنّا كثيرا ما نجالسه ونتبرج معه فى إشبيلية ٥ وجهاتها طلباً الإمتاع بهَذيانه ، والتفكّه فى قِلة إحسانه . وربمـا كانـ يرتجل القصيدة من مائة بيت ليس فيها ما يُعقد عليه بَنان ، ولا يَرويه فُلان عن فلان . وقد تقع له نادرة فى النادرة ، وبعيد أن تكون منه كَرّة .

من شعره

عهدى به فى مجالس الباجى المُتنزّى بإشبيلية يُنشده ، إلى أن بلغ إلى قوله يُخاطبه :

[كامل]

١٠ نخرتْ بكم حِمصُ على أمثالهـا … وبحَقها وبحَقها أنـ تفخرَا

فغلب الناسَ الضحك .

وأما أبو يحيى بن هشام الكاتب فإنه غطّى أنفه قاصدا التندير فيه، وكنت فيمن يليه . ثم أنشد بعد :

إن كان فيهـا نهرُها فاقـد غَدتْ … نُعماك فيهـا يابن أحمـد أنهُرَا

١٥ فلمـا انفصل قال له بعض[1] الطلبة : هل هو إلا ابن محمد ! فاغتاظ وقال : أفتردّنا فى الشعر ! وحلف ألا يجالس جاهلا أبدا . فما بقى من لم يضحك من منزعه . وكان فيهم / من تَبعه ، وهو يسُبه حتى حلّ بمربعه .

[60 B]

وما[2] بقى بخاطرى مما نَدر له، ويحمل أن يُتمثل به إلا قوله :

[وافر]

٢٠ إذا أحزنت يوماً لا تُفكـرْ … فتجمع فكرةً تُضنى وحُزنَا

(١) ت : « أحد » . (٢) يت : « فما » .

وجمع شعره على حروف المعجم، وسماه « الوشى المُنمنم». ووقفت عليه فعلِق بحفظى منه قوله :

[مربع]

والله لا أَفلح مَن قد غدَا يرجُو بكم فى الدهر أن يُفْلِحاَ

٥ ما فيكمُ من صالحٍ يُرتَجى وكُلكم نُبْصره مُصلِحا

الحمدُ لله على ما نَرى مِن دولة دارتْ بنا كالرَّحى

نهايته فآل أمره إلى أن جاز إلى بِجاية ، فبلغ من الحياة الغاية . وذلك فى سنة سبع وثلاثين وستمائة .

١٠

٤٨ — أبو بكر محمد بن الاستبى

شىء عنه

من حصن استبه، من عمل قُرطبة. قرأ معنا بإشبيلية على أبى الحسن الدبّاج. وعهدى به شاعر طويل النَّفَس ، لكنْ فيما يدل على تمكن الهوَس ؛ قلما يأتى بطائل، ولو أُمد بلسان سحبان وائل ؛ إلا أنه قد ينْدُر له ما يكون له رَمية من غير رَام ، وكان يرى أنه فى التغزل والرقة أرق من عُروة بن حِزام .

٥

هو وابن سعيد فى شعره

أنشدنى مرة وهو يهز رأسه استحسانا لما اتفق له ، وكُل من يسمعه يودّ أنه فَضّ فاه أو قتله :

[وافر]

إلى مَن قلبهُ حَجَرٌ شـــديدُ ... ومَن لادينُه إلا الصُّدودُ

١٠

إلى ظَبيٍ مَليحٍ ذى دَلالٍ ... مُحِبُّوه لسَطوته عَبِيـد

فآهاً ثم آهاً ثم آهاً ... على بَغضائه وله أُريد

ولما فرغ من الإنشاد قال : هــذا والله الطراز الذى لايحوكه أهلُ بغداد ، وهَبْ من يعرف سمعه فكيف من يَنظمه !

وأنشدنى يوما قصيدة قال فيها :

[سيط]

١٥

إذا رأيتَ نُجـــومَ الأُفْق بادية ... فآعلمْ بأنّ الثُّريا رامت الطَّاعَا

فقلت : هذا بيت لا أفهم له معنى . فاغتاظ وقال : لو كنت تفهمه لكنت من بنى آدم ، أحسن الشعر وأنبله ما يكون معناه غامضاً عن أمثالك . فأضحكنى . ثم حفظت من هــذه القصيدة قوله فى الممدوح ، وهو مثل غيره ثقيل الروح :

[بسيط]

لا تَتركَنْه فإنّ الرِّزقَ فى يده ... وليس يُهمل من أَمسى له تَبعاَ

٢٠

يُردِى عدوّك أو يُوليك منفعةً ... والناسُ خيرهُم مَن ضَرَّ أونَفعا

وله فى ابن الأحمر وركب الرئيس أبو عبد الله بن الأحمر ، لما تغلب على إشبيلية ، إلى جنازة على فرس أخضر ، فقال فى ذلك :

[مجزوء الرجز]

يا حَبذا ابنُ الأَحمرِ وهْو أمام العَسكرِ

٥ وتحتــه أخضرُه أَحْسِنْ به مِن أَخضر

وَهْو على (١) تُؤْدة كَبــدرنا فى المَنظر

مُمَلَّكا مخــوّلا مثلَ سُعود المُشترى

[61 A] نهايته /وتركته بالحياة (٢) خابطاً فى عَشوائه ، وما أدرى هل مدّ له السبب أم كُف عن غَلوائه .

---

(١) التؤدة : بفتح الواو وإسكانها : التأنى والتمهل .

(٢) ت : « فى الحياة » .

٤٩ — أبو بكر محمد بن العوام الإشبيلى

شىء عنه

ينسب[1] إلى الزُّبير بن العوام، حوارىّ النبى صلَّى الله عليه وسلَّم . والذى اشتهر به صناعة الطب إلا أنه تعلق بالأدب ، ولم يكن فيه ضعيف السبب ؛ وبلاه الله بحُب المدام ، حتى خرج سكران فى شهر الصيام ؛ فكادت العامةُ تُبيح دَمه ، لو لم تَرْعَ له من مداواتهم ونسبة ذِمّه ؛ ولكن بعد ما رمَوْه بالحجارة ، وطردوه من حارة إلى حارة ؛ وهو فى ذلك يضرط لهم بفَمه، ويَهُشّ عليهم كالراعى على غَنمه . ولا أحصى كم لقيته فى طريق دَير الرُّوم وهو مَطوىّ على حمار أو بَغل ، يُحمل كما يُحمل الزِّبل ؛ لا يعقل سكرا ، ولا يُبالى حَمل ذما أو شكرا .

من شعره فى منزع الاستهتار

ومن استهتاره المعدود أنه رأى هلال العيد فى بعض الأعوام ، فبادر عند ذلك إلى لقاء كأس المُدام ، وكتب إلى صديق له قد بلغه أنه ناظر فى فطر العيد ، متورِّع عن تلك الليلة خِيفة اللوم والتَّفنيد :

[وافر]

إذا لاح الهـــلالُ فقُم إليـــه	بإهـــلالٍ لتَوديع الصِّيـامِ
ولا تَسمح بقَـــدر اللَّحـــظ إلا	تَلاقى وفد أكواس المدام
وقُل إنْ قيل : حَىّ على[2] حلالٍ	صباحَ الفِطر[2] حَىّ على الحَرام

ومما نزع به منزع الاستهتار ، وأنشدنيه فى مَحفل الافتخار :

[وافر]

إذا أسمعت حىّ على الفلاح	فقُم فى نحـو رَيحانٍ وراحِ
وصَلّ إلى وُجوهٍ من جَمالٍ	كساها الحُسن أَردية الصَّبـاح
ولا تَستـدعِ إلا كُل خِلٍّ	يسُرّك فى دُنوٍّ وانشراح
إذا ما زجتَه حسدْتكَ فيـه	مُمـازجة المُـدامة بالقَـراح
يُقيم كأَيكةٍ يهـتزّ لِينًـا	ويَرحل كالنَّسيم على البِطاح

(١) ت : « ينتسب » .
(٢) ت : « حى على الصباح : هلال الفطر » .

وله فى مثل ماسبق

ولما استولى العدو على إشبيلية ركب البحر إلى جزيرة مَنرقة ، فأقام بها تحت ظل إحسان صاحبها الرئيس أبى عثمان سعيد بن حكم . فلما طال فِطامه عن المُدام ، بشهر الصيام ، كتب إليه ليلة القدر ، مُرتادا[1] لعيد الفطر :

[مجزوء الوافر]

٥ أيا مِسكة دَارِين ورَيحان الرَّياحين

ومَأوى كل مُضطر لدُنيـاه وللدِّين

عُبيـدكُم أتى فى خطـ ـبة بنت[2] الزَّراجين

فجاوبه مُشيرا للحدّ ، وأعلمه بوجوب المَهر والعَقد :

[مجزوء الوافر]

أتى مِن يابس[3] الدِّين نظامٌ ليس بالدُّون

١٠ يرود[4] نكاح بكرٍ من بُنَيَّـات الزَّراجين

و فى رَمضان غابَ وليـ ـها بين الشياطين

وشَوَّال يؤوب به فينكحها على الحِين

[61 B] / وقَدر المهـر مُحتاج إلى تَقـويم تَعيين

وإنِّى للوصىِّ ولا أَرى غيرَ الثمـانين

١٥ موته

ومات هنالك على أثر ذلك . بلغنى أنه شرب مع قوم من أبنائها ، فجرى معهم على عادته بإشبيلية مع أدبائها ، فزلق فيما لا يَسلكونه لسانُه ، وارتمى بحيث لا يَجرون عنانُه ، فضربه أحدهم بجَرة الخمر على رأسه ضربة قضت عليه ، وسيجتمعان يوم يَعَض الظالم على يديه .

---

(١) ت : « مردا » .

(٢) أى الخمر .

(٣) ت : « أيا من يلبس » .

(٤) ت : « وددت » .

٥٠ — أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الإشبيلى (*)

يُعرف بابن الروميّة ، جوال بالبلاد المَغربية والمشرقية. جالستُه بإشبيلية بعدعودته من رحاته فرأيته متعلقا بالأدب، مرتاحا إليه ارتياح البُحترىّ لحَلَب. وعلمه الذى اشتهر به علم أنواع الحشائش . ويقال إنه أظهر جملة منها بالمغرب ، ووقف على أسمائها وصورها بالمشرق .

وكان غير متظاهر بقول الشعر ، إلا أن أصحابه يسمعون منه ويروون عنه. وحملتُه عليه فى بعض الأوقات ، فقال : تكفيك هذه الأبيات :

[بسيط]

خَيِّم بجِلَّق(١) بين الكأس والوَتَرِ ... فى جَنَّةٍ هى مِلءُ السمع والبَصَرِ

ومَتِّع الطَّرف فى مَرأى محاسنها ... تَروض فِكْرك بين الرَّوض والزَّهَر

وانظُر إلى ذَهبيَّات الأَصيل بها ... وَٱسمع إلى نَغمات الطَّير فى الشَّجر

وقُل لمن لام فى لذَّاته بشراً ... دَعنى فإنك عندى مِن سِوى البَشر

وكان كثيرا ما يُطنب فى الثناء على دمشق ويصف محاسنها ، فلا أنفصل عنه إلا وقد امتلأ خاطرى من شكلها فأتمنى أن أحُلّ مواطنها ؛ إلى أن بلَّغ الله الأمل والأمانى قبل المنون :

[وافر]

وإنى لو نظرتُ بألف عينٍ ... لما استوفتْ محاسنَها العُيونُ

وكانت وفاته ببلده فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

(*) الإحاطة (١ : ٢٢٠)

(١) جلق : هى دمشق .

٥١ — أبو القاسم البيانى

شىء عنه

منسوب إلى بيّانة ، من عمل قُرطبة . جالسته بإشبيلية وسمعت منه كثيرا من شعره . وهو جارٍ فى نَمط ما يغنِّى به ؛ وأكثره خالٍ من المعـانى التى تدل على غَوص الفِكر ، وبحر عروضه من البحار التى لا تُعقد فيها الدُّرر .

من شعره

وعَلِق بحفظى مما أنشدنيه من شعره ، فلم أر إغفال ذكره ، قولُه :

[مجزوء الكامل]

وافَى كتابُك شارحًا ... مِن شَوقك الخَطْبَ الجليلَا

ولو انَّنى أَحفَى(١) بذا ... لرأيتُ ما تَشكو قليلا

وقوله :

١٠

[مجتث]

يا أحسنَ الناس وجهاً ... صِلْ أقبحَ الناس حالَا

قَـد مَـلَّه لائمـوه ... ولا تَمَـلّ المطالا

(١) ت : « أخفى » .

[62 A]

٥٢ — / أبو الوليد بن طيفور المارتلى

شىء عنه

رأيته فى إشبيلية[١] فى حوز الثلاثين وستمائة ، شاعرا متعلقا بالأدب ، وهو من بيت كانت لهم بمارتله أيامُ الحرب والحَرَب .

من شعره فى الهيثم

٥

ومما بقى فى حفظى مما أنشدنيه من شعره ، قولُه فى الحافظ الهيثم وقد غَمطه كثيرا من قدره[٢] :

[مجزوء الرمل]

إنما الهيثم سِفْرٌ من كلام الناسِ ضَخْمُ
لا تُطالبْه بفَهمٍ ليس للدِّيوان فَهم

شعر الهيثم فيه

وأنشدنى فيه الهيثم ، والبادى أظلم :

١٠

[مجزوء الرمل]

لأبن طَيفور قريضُ مثلُ ما طَنَّ البَعوضُ
عَدمتْ منه المعانِى والقَوافى والعَروض

نهايته

ولا خبر عندى بعد ذلك الوقت عن ابن طيفور ، هل هو من الأحياء أم صار من أهل القُبور .

---

(١) ت : « إشبيلية » . (٢) ب : « حقه » .

٥٣ — أبو سليمان داود الطرنتى

شيء عنه

من طرنتة ، حصن من عمل بلنسية . كان من جلساء والدى بإشبيلية ومذاكريه ، وممن شهر بالشعر والتعلق بالأدب ولم يكن فى الشهرة بالمحل النبيه . عهدى بالباجى المتنزى بإشبيلية قد خرج إلى باب القطائع وجلس على موضع مرتفع وجرت الغربان التى أنشأها للبين ، ٥ ودلّ تطيّر الناس بمبدأ أمرها على أن حان له الحين ؛ فلما جرى الغراب المسمى باسمه السعيد ، خرّ على وجهه فى الماء فصعق الناس حزنا من قريب وبعيد ؛ فارتجل الشعراء فيما يسلى عن هذا الطارئ الشنيع ، فكان أشد وأنكى فى التشنيع .

من شعره

فصنع الطرنتى فيمن صنع ، وانجل يلعثم منه لسان الجزع والطمع :

[سريع]

١٠ إن تنكروا فعل الغراب الذى مال على الماء بأعبائه

فإنّه فى فعله عالمٌ بالوضع فى أجمل أنحائه

كالطّفل إذ يولد لا بُدَّ أن يُغسل للتّطهير فى مائه

نهايته

وبلغنى أنه استقر بشريش ، وقد جبر صاحبها ما هيض له من الريش .

٥٤ — أبو النعيم رضوان بن خالد المالقى(*)

شىء عنه

مشهور فى الشعر والإحسان ، مخالط للكبراء والأعيان ، دَمث الأخلاق ، مفتون بالجمال بعد ما كان فتنةَ العُشّاق . لقيته بمالقة يهيم من الغرام فى كل وادٍ ، واغتنمت فى صحبته أياما كأنها جمع وأعياد .

٥ من شعره

ومما أنشدنيه من نظمه المُستحسن ، فما أبلاه من خاطرى تقادم الزمن ، قولُه : [مخلع البسيط]

وَجهٌ نضير لنا رياضٌ — فكلّنا ناظرٌ إليهِ
فالزهرُ فيه من زَهر فيه — والورُد توريدُ وجنتَيْه
والجيدُ جيدُ القَطيع حُسناً — والوجه تُفاحةٌ عليه

١٠ وله فى رثاء ابن حسون

وقوله فى رثاء(١) أبى عامر بن حسون صاحب مالقة : [طويل]

سكنتَ فحرَّكت الأسى والتفجُّعَا — ونِمْتَ وأيقظت البُكا والتوجُّعَا
ومِتَّ فأحييتَ المتاعب كُلَّها — وغِبْتَ فأَحضرت المَصائب أَجمعا

وله

وقوله : [سريع]

[62 B]

/ لمّا تبدَّى قلتُ ماذا بَشرْ — ولا حَوى حُسنَ حُلاه القَمَرْ
من أين للبدر الذى حازه — مِن ذلك الدَّل(٢) وذاك الخفر

١٥

وقامة الغُصن(٣) ورِدْف النَّقا — وناظرُ الظَّبى إذا ما نَظر
ونُكهة الرَّوض إذا ما سَرت — فيه الصَّبا غِبَّ نزُول المَطر
وهل له ثَغر بنَيل المُنى — مُبتسماً أو ناطقاً فى الدُّرر
هذا لعمرى بعضُ ما حازه — وما اختفى أحسنُ مما ظَهر
لام عليه عاذلٌ ظالماً — ولو رأى بعضَ حُلاه عذر

٢٠

وأَنكر المُحمَرَّ من أدمعى — وهو لنار فى ضُلوعى شَرَر

(*) ب : « المفاق »

(١) ت : « موريا ق » . (٢) ت : « من ذاك الدلال » . (٣) ت : « الحسن » .

وله

وقوله :

[بسيط]

أَهوى مُحادثة النَّدمان فى السَّحر ... ونَغمة الطائر المُصْغِى إلى الوَتر

وَقول ساقِى النَّدامى حان شُربكمُ ... على بَقايا شُعاع البَدر فى النَّهَر

٥ والصُّبح من خَلل الأشجار مُطَّلع ... وعِقد دُرِّ النَّدى فى أعيُن الزَّهَر

وقد غَدتْ رَنّة الدُّولاب مُوقظةً ... إلى الصَّبوح عُيوناً دِنَّ بالسَّهر

والكأسُ ضاحكةٌ فى كَفِّ شاربها ... كالبِكر تَمرح بين الأُنْس والخَفر

لا ضَيّعَ اللهُ إلاّ من يُضيِّع أو ... قات الأصائل للذّات والبُكر

ما ضر قائل هذا الشعر أن لم يَرْو من النِّيل والفرات ، ولم يُحسب فى الألى من
١٠ تلك الطبقات .

وفاته

وكانت وفاته ببلده سنة خمس وثلاثين وستمائة .

٥٥ — أحمد بن رضا المالقى

شئ عنه

شاعر ابن شاعر . لقيته بنارجة من عمل مالقة ، وكلانا مُسافر ، فأنشدنى لنفسه ولأبيه ، ماتؤخذ[1] ألفاظُ السِّحر ومعانيه ، من ألفاظه ومبانيه . وأبوه لم ألقه فذكرته فى كتاب « الغرة الطالعة فى حلى المائة السابعة »[2] .

٥ من شعره

ومما أنشدنيه لنفسه أبو جعفر المذكور ، لخل فى خزائن الصدور والسطور ، قوله يودِّع محبوباً له ، وقد حاز فى ذلك اللطف كله : [مجتث]

ودعتُـه فكأنّى مُودِّعٌ منـه رُوحِى

وللصِّبا فيه ما للصَّـبـا بغُصن مَرُوح

فى دَوحة قلتُ فيها للطـير بالله نُوحى

وللغُصون[3] نُواحٌ من بعد هذا النُّزوح ١٠

وله

وقوله فى حالة نَعَاها ، وحلف بعد السُّكر أنه جهلها : [طويل]

إذا قلتُ للساق أَدِرْها ولم يُدِرْ وأبدى حُمَيًّا[4] فى الخلاف على الخمرِ

فخلِّ حُمَيًّا الكأس وَيحك جانبـاً وقبِّله فوق الخدِّ والجيد والثغر

وجُل منه فى رَوض الشباب فإن لَحَوْا ولاموك جهلاً كان عُذرك فى السُّكر

١٥ [63 A] وله مرتجلا

/ وقوله ارتجالا ، فى المكان الذى جُلنا به فى المذاكرة مجالا : [كامل]

لله نارجةٌ وواديهـا الذى مالت عليه للغصون قُدودُ

ناءتْ عليه فى الهجير كأنهـا نُصبت رُواقا قد علَتْه[5] بُنود

الحُسن مقصور على جَنباته والظـلُّ فيه دائمٌ[6] ممدود

عِقـد الزَّبرجد فوقه مُتعاليا والدُّر ذائبُـه به موروود

إنِّى لأعجبُ من مُضيِّع كأسه فيه بحيثُ حمامُه غرِّيد ٢٠

---

(١) ت : « مما تواجد » . (٢) هو المعروف بالغصون اليانعة . وانظر مقدمة « الغصون »

(٣) ب : « تواجد » مكان « نواح » . (٤) ب : « مجونا » . (٥) ت : « علاه » .

(٦) ت : « دائما » .

هو وأبو الحجاج

وأخبرنى أبو الحجاج البيّاسى أنه كان مُدمنا للخمر كثير القول فيها. قال: وحضرت معه في مجلس من مجالسها فدخل شيخ ضخم الجُثة مستثقل، فقال أبو الحجاج :

[مجزوء الخفيف]

آسْقنى الكأس صاحِيهْ ودعِ الشيخَ ناحِيــهْ

٥ فقال ابن رضا :

[مجزوء الخفيف]

وفاته

إنْ تكن ساقيًا له ليس تُرويه ساقيهْ

وبلغنى موته سنة ثمان وعشرين وستمائة .

٥٦ — كثير الأديب

شيء عنه

من العَلياء بغرب الأندلس. رأيتُه بإشبيلية ومالقة وكنت أتجنّب مجالسته، لأنها تجلب مُشارّته، لحدّة كانت فيه، وشَكاسة إن خلّاها فما تُخلّيه.

من شعره

سمعتُه يوما ينشد لنفسه :

٥

[بسيط]

ليس المُدامة مما أَستريح به ولا مُجاوبة الأَوتار والنَّغـمِ

وإنما لذّتي كُتْب أطالعها وصارمِي أبداً في نُصرتي قَلمي

بيت اشتهر له

واشتهر له هذا البيت :

١٠

[كامل]

طار الغُـراب بَبْينهم فحسبتهُ إذ طار مُشتملاً[١] صميم فؤادِي

وآل أمره إلى أن جاز البحر إلى بجاية. فبلغ أبا محمد بن أبي حفص[٢] واليها، أنه ينال من عِرضه نَيلا، فأحلّ به من الضرب والتطويف والنفي ويلا ؛ واستقر بجزيرة مَنرقه عند كهف الغرباء، وملاذ كل طريد من الأدباء .

وفاته

وبلغتني وفاته سنة ست وثلاثين وستمائة .

---

(١) ت : « فحسبت إذ طار الغراب بهم »

(٢) ت : « بن أبي حفص هذا » .

٥٧ — أبو زكريا يحيي بن صفوان بن إدريس المرسى(*)

نُبَذ عنه

أبوه أبو بحر صاحب « زاد المسافر »، وابنه شاعر ابن شاعر. لقيته بمُرسية وهو يختال في بُرد الشباب ، ويتيه بالمال والمكان المتمكن على الجُلاس والأصحاب .

من شعره

وبقى فى خاطرى مما أنشد نيه من شعره ، هذان البيتان وهما عُنوان أمره :

٥

[مجزوء الرمل]

ليت شِعرى كيف أنتم | فأنا الصبُّ المُعنَّى
كُل شئ لم تكونوا | فيه لَفْظٌ دون معنى

وله في غلام

وأنشدنى له أحدُ معاشريه بتونس قولَه فى نَصرانى اقيه(١) فى يوم عيد، والحسن منه يُبدى ويُعيد :

١٠

[متقارب]

توحّد فى الحُسن مَن لم يزل | يُثلِّث والقلبُ من جُندِه
يشفّ لك الماء من كفّه | ويقتدح النارَ من خده
وفى وجهه عبسة مثل ما | أضاء لك البرق فى رعده
فياليت عيــدىَ فى نحره | وفطرى من مُجتنى نَهده

(*) المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار

(١) ت : « لقيته »

[63 B]

٥٨ — / محمد بن عبد الله القضاعى بن الأبار(*)

شىء عنه

كاتب مشهور ، وشاعر مذكور، كتب عن وُلاة بلنسية إلى أن كان آخر من كتب عنه منهم زيان بن أبى الحملات ، ووفد رسولا عنه إلى هـذه الحضرة العلية حين أخذ النصارى بمخنق تلك الجهات، واستصرخ مولانا الأمير المفدّى — سقى الله عهده — صوب العهاد ، بقصيدته التى سارت بها الركبان فى أقطار البلاد : ٥

[بسيط]

أَدرك بخيلك خيلَ الله أندلُسا إنّ السبيل إلى مَنجاتها درسَا

وعارضها كثيرٌ من الشعراء ما بين محظىّ ومحروم ، وأُغرى الناس بحفظها إغراء بَنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم ؛ واختار المُقام تحت الإحسان الأميرى فلم يقل بالإياب، وصار صاحب العلامة فى بيت الكُتّاب؛ إلا أنّ أخلاقه لم تُعنه على الوفاء بأسباب ١٠ الخدمة ، وقلّصت عنه ظِلّ تلك النعمة ؛ فأُخرج عن تلك العناية ، فارتحل تحت إحسان دار إلى بجاية ؛ وهو الآن بها عاطل من الرُّتب، خال من حُلى الأدب ؛ مشتغل بالتصنيف فى فنونه ، مُتقَل منه بواجبه ومسنونه .

هو وابن سعيد

ولى معه مُجالسات آنَق من خُلق الشباب ، وأبهج من الرَّوض غِبَّ نُزول السحاب؛ ولم أجتمع به إلا فى هذه الحَضرة العليّة ، وبقيتْ من فوائده فى النفس بقية . ١٥

من شعره

فما أنشدنيه من محرَّر نظامه ، فأطلعته فى هذا الكتاب كالزَّهر من كمامه[1] ، قولُه :

[مجزوء الوافر]

حديقةُ ياسمينٍ لا تَهيم بغَيرها الحَدَقُ
إذا جَفنُ الغَمام بكى تبسَّم ثغرُها[2] اليقَق
كأطراف الأهلّة سا ل فى أثنائها الشَّفق ٢٠

(*) أزهار الرياض (٣ : ٢٠٤) نفح الطيب (١ ، ٦٦٦ ، ٢ ، ٢٠٥ طبعة أوربه) عنوان الدراية (ص ١٨٧) فوات الوفيات (٢ : ٢٢٦) شذرات الذهب (٥ : ٢٧٥) .

(١) ب : «أكمامه» . (٢) اليقق : الأبيض .

وله يستهدى

وقوله :

[طويل]

لك الخيرُ أتحفنى بِخيرىّ رَوضة ... لأنفاسه عنـد الهُجوع هُبوبُ

أليس أديب النَّور يجعل ليله ... نهاراً فيذكو تحته ويطيب

٥ ويَطوى مع الإصباح مَنشورَ نَشره ... كما بان عن رَبع الحبيب حبيب

وله فى دولاب

وقوله :

[كامل]

يا حبّذا بحديقـــة دُولابُ ... سكنتْ إلى حَركاته الألبابُ

غنّى ولم يَطرب وسقّ وهو لم ... يَشربْ ومنه العُود والأكواب

١٠ او يدّعى لُطْف الهواء أو الهَوى ... ما كنتُ فى تَصديقه أرتاب

وكأنّه ممـا شدا مُستهتَر ... وكأنه ممـا بكى أوّاب

وكأنه بمِشاره ومَداره ... فَلَكٌ كواكبُه لها أذناب

وله فى مثله

وقوله :

[كامل]

١٥ أين المذَانب[1] لا تَزال تأسُّفا ... يَجرى عليها من دُموعى مِذْنبُ

من كُلِّ بسَّام الحَباب كأنه ... ثَغر الحَبيب ورِيقه المُستعذب

كالنَّصـل إلا أنه لا يُتَّقى ... كالصِّلّ[2] إلا أنه لا يُرهب

تَقتادنا أقدامُنـا وجيادنا ... لحَبابه وهو النَّضـير المُعجب

[64 A] / كلفاً بدُولاب يدور كأنه ... فَلك ولكن ما ٱرتقاه كوكب

٢٠ نصبْته فوق النّهر أيدٍ قدّرت ... تَزويحه الأرواح ساعةَ ينصب

فكأنّه وهو الطليق مُقيَّد ... وكأنه وهو الحَبيس مُسيَّب

للمـاء فيـــه تَصعُّد وتحدُّر ... كالمُزن تَستسق البحار وتَسكُب

(١) المذانب : جمع مذنب ، بالكسر ، وهو مسيل المـاء .

(٢) الصل ، بالكسر : الحية التى تقتل من ساعتها ، والسيف القاطع . وظاهر أن المراد ها الاول للمغايرة .

وله فى بستان الرصافة

وقوله :

[هزج]

أبُستانَ الرُّصافة لا هويتُ سواك بُستانَا
تخال الدّوح مُجتمعا به شِيباً وشُبّانا
وقد لبستْ مَفارقُه من الأَنداء تيجانا ٥
تجول به جداولُه وتَغشى النهرَ أزمانا
فتحسبُها إذا انسابت أراقمَ زُرْن ثُعبانا

وله فى بحيرة

وقوله :

[طويل]

تراءى له أُفق البُحيرة والبَحر فراح بماء القَلب مُختضب النَّحرِ ١٠
وقد مَنع التَّهويمَ أنّىَ هائم بعَيشٍ مضَى بين الرُّصافة والجِسْر
وجنَّة دُنيا لا نظيرَ لحُسنها تفجّرت الأنهار من تَحتها تجرى
إذا الناسُ حَنُّوا للرَّبيع وجدتَنا بها فى رَبيعٍ كُلَّ حين من الدَّهر
تَهُب نُعاماها[1] فتنُعم أنفُساً بأَنغامها المَلذوذة البَرْدَ فى الحَرّ
كأنّىَ من قابى[2] المتيّم قادحٌ عَفاراً لتَذكارى لكُثبانها[3] العُفر ١٥
وأيامىَ الزُّهر الوُجوه خلالها ولاخُلة[4] غير الحَديقة والنهر
فمِن بُكراتٍ أدبرت وأصائل جَنيت بها الإقبالَ فى غُرّة العُمر
عشايا كساها التِّبر فَضل شُفوفه ألا يالَها فضل الشُّفوف على التِّبر

وله فى غلام ٢٠

وقوله :

[كامل]

مَن عاذرى من بابلىٍّ طَرْفُه ولَعمره ما حَلّ يوما بابلَا
أعتدّه خُوطاً[5] لعيشىَ ناعما فيعود خَطّيا لقتلِىَ ذابِلا

(١) النعامى ، بالضم : ريح بين الجنوب والصبا . (٢) ت : « قلب » .
(٣) العفار : شجر يتخذ منه الزاد .
(٤) الخوط : الغض الناعم . والخطى الرمح ، نسبة الى الخط ، موضع باليمامة .
(٥) الخلة ، بالضم : الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع فى ذلك سواء .

وله فى محبوبة

وقوله .

[طويل]

لقد غضبتْ حتّى على السِّمط نخوةً فلم تتقلَّد غير مَبسمها سِمْطَا

وأَنكرتِ الشيبَ المُلِمّ بلِمّتى ومَن غرفَ الأيامَ لم يُنكر[1] الْوَخْطا

وله فى كسوف البدر

وقوله وقد نظر إلى البدر عند الكسوف :

٥

[متقارب]

نظرتُ إلى البدر عند الكُسوف وقد شِين منظرُه الأَزْيَنُ

كما سفَرت صفحةٌ للحبيـ ـب يحجُبها بُرقعٌ أَدكن

وله فى الخوف

وقوله :

١٠

[وافر]

عجِبتُ من الخُسوف وكيف أُودى ببَدر التِّمِّ لمّاع الضِّياءِ

كمرآةٍ جَلاها العقلُ حتى أَنارت ثم رُدَّت فى غِشاء

من نثره

ومن عنوان نثره قولُه فى رسالة أنشأها فى السقاية التى اخترعتها هذه الدولة القدسية ، أمام جامع الحضرة العلية :

١٥

الحمد لله حمدا لا نُقاله ، هذا الزمان الذى كُنّا نؤمّله ؛ بلدة طيبة ورب غفور ، ودولة مباركة محفوفة بالسرور والحُبور ؛ نهض بها آل أبى حفص فما آلوا ، ولاجالت النجوم حيث جالوا ، ولا نالت الملوك إلا بعض ما نالوا . ملُك يشمل الإقبال ، وعز يُقلقل الأجبال ؛ وكرم صريح الانتماء فى النماء ، وشرف سَمت ذَوائبه على السماء ؛ إلى عدل وإحسان ، هما قِوام نوع الإنسان / ؛ مع رفق وإسجاح ، ضَمِنَا كل فوز وإنجاح ؛ فقد آضت الظلمات أنوارا ، وفاضت البركات أنجادا وأغوارا ؛ أليس العامُ ربيعا ، والعالم جميعا ؛ والسعود طالعة ، والعصور طائعة ؛ بصالح الأعمال تحلّيها ، وعلى منصة الكمال تجلّيها ، فمن ذا أيها المولى يجاريك ، إلى هذا أو يباريك ؛ فى إقدام صادق ، وتُرى راياتك للأبصار[2] هدى ، وحياتك للكفّار ردى ؛ بسيرتك عدل الدهر فما جار ، ولولا غُرتك ما أنار :

[64 B]

٢٠

[وافر]

٢٥

لقد حَسُنت بك الأوقات حتى كأنك فى فَم الزّمن ابتسامُ

(١) الوخط : فشو الشيب فى الرأس . (٢) ت : « ولباتك » .

غلبهم على صفتى النّدى والباس، وسلبهم منقبتى حمزة والعباس ؛ فلا غرو أن أمّن ووقَى ، ثم لمـا كسا وأطعم سَقى ؛ إنها نُعمى وفتْ بالميعاد ، وحسنى مثلها يُعد للمَعاد. أتت بماء معين قد أصبح غَوْرا ، وملأت ما بين لابَتَيها[١] حنانا يَرِفُ ظلا ويَرِف نورا ؛ فيا بُشرى لتونس أخصب جَريبها[٢] ، وأحسن وصفَ الروض والغدير أديبها ؛ وطالما أطلعت صحراء بل رمضاء ، فكم للإمارة قبلها من يد بيضاء ؛ غُشِّيت حِبَر الحُبور والسرور ، وعُوِّضت بُرد الظل من وَهج الحَرور ؛ خمائل وجداول ، تزاول منها العين ما تزاول ؛ تلك تضل من أحصاها ، وهذه يَضل فيها[٣] حصاها ؛ ويا لقصرها السعيد نعمت أدواحه ، وهَبّت على خُضر الأغصان وزُرق الغدران أرواحه ؛ هذا وإن بات السماح المفاض يسقيه ، وبات الجود الفضفاض ينقع جُواده[٤] ويشفيه ؛ وهنيئـا للمسجد الجامع أن رويت جوانحه الصادية ، وجمعت فى شِرعته السارية والغادية ، فهاهو بادى الغُرر والأوضاح ، مُنبجس بالزُّلال القَراح ؛ وللجمهور بصفوه المُنساب ، لهج الغُيَّاب بالإياب ، وطرب الشيب بذكر الشباب ؛ أمسوا قد سوّغوا مآربهم ؛ وأضحوا وقد علم كُل أناس مشربهم ؛ فهم يَردون على العذب النَّمير ؛ ويجدون بركة الأمير مكرمة ذَخرها[٥] لسلطانه الزمان ، وكرامة هَنَّأه بها الإيمـان ؛ وسلمت ليمينه فيها الأيمـان ، وقضية إن حُجيت عن داود فما حُجبت عن سلمان .

[بسيط]

جمعت للناس بين الرِّى والشِّبع	فهم بأخصب مُصطاف ومُرتَبع
ولم تدع كَرمـا إلا أَتيت به	تُضيف مُبتدعا منـه لمُبتـدع
لمّـا وليتَ جعلت الخيرَ أجمعـه	عليهمُ فبـــدَوْا فى أَجمل الخِـلع
وحَسب مجدك ما أَولاه جُودك من	رَفـع الدُّعاء له فى كل مُجتمع
لله أيامُـك آستوفت محاسنُهـا	فـلا مزيّة للأعياد والجُمَـع
دامت مَساعيك والأقدارُ تُسعدها	تُولى المساجد أنصاباً من البيع

(١) اللابة : الحرة ، وهى الأرض فيها حجارة سود .

(٢) الجريب : مقدار معلوم من الأرض .

(٣) ت : « بها » .

(٤) الجواد : العطاش .

(٥) ت : « ذكرها » .

٥٩ — أبو القاسم عبد الرحمن العثمانى

[65 A] / لقيته بسبتة . وكان كثير الحُب فى سكناها، والملازمة للكتابة عمن تولّاها . وأخبرنى

شىء عنه

أن أصله من طُليطلة من عمل إشبيلية . وفارقته سنة سبع وعشرين والعمرُ قد أتى عليه .

وبلغتنى فى إثر ذلك وفاته من غير تعيين . وكان مشهورا بالرفاهية . له فى ذلك حكايات

٥ محفوظة ، وأمور كانت عند أهل سبتة مع الأيام ملحوظة ، منها أنه كانت له ثياب

النزاهة[1] ، وثياب الحمّام ، وثياب العرس، وما أشبه ذلك، لكل حالة ما يليق بها ، لا يُخلّ

بشىء منها . واحتاج يوما إلى شىء ضرورى فحضر السائس ولم يحضر المُتصرف ، فلم يقدر

على أن يصرف السائس . وكان يقول : لا سبيل إلى وضع شىء فى غير محله ، حتى كان

يُنسب فى ذلك للهوس ، و بالجملة فكان من الخواص فى جميع ما به تلبّس .

١٠ ومما كتبته عنه من شعره قولُه :

من شعره

[مجزوء الرجز]

حَظّى من الدّهر إذا نقّب فيـه من رَأَسْ

روضٌ بشـاطى جَدول قُرب الصَّباح والغَلس

والغـاية القُصوى إذا نامت وجُوه كالقَبس

١٥ أنا الذى تَعرفـه سـارقُ لذات الخُلس

لارَأى لى فى صَفحة السَّـــــيف ولا ظَهر الفَرس

ومنه وقوله :

[سريع]

إن الذىِ أهواه ما شانه الإعِذار دَبّ فى الخـدِّ

٢٠ وذلك الشـينُ له زينـة كالآس مُلتف على الورد

يا ليتهم لمـا آدّعوا عَيبه بالشّعر خَلّونى له وحدِى

---

(١) ت : « النزاهة » .

وقوله :

[مخلع البسيط]

أَفدى التى أقبلت إلينا   فى أَول اللَّيل بالصَباحِ

وَجهٌ هو الحُسن ظَلَّ يحوى   جميعَ ما كان فى(١) المِلَاح

ضاجعتُ منه رياضَ زَهرٍ   جالت لَدَيها يدُ الرياح   ٥

ومن نثره :

حرس الله يا أخى مكانك ، وأدام لإخوانك إمكانك ؛ فما أكرم عهدك ، وأخلص وُدك ؛ إن غبت حضر افتقادك واهتمامك ، وإن حضرت فاءت ظلال آدابك ولم يغب بِرّك وإكرامك . السيادة قلادة أنت دُرتها ، والرياسةُ جبهة أنت غُرتها .

فصل :   ١٠

العجب يا سيدى الذى لا أرى الدنيا ونَضرتها إلا بناظره ، ولا أَخطِر فى بُرود النِّعم ما لم أُجِل تمثّله فى خاطرى وتَمثلى فى خاطره ؛ إن تغب عن مجالس لا تتضاحك مسراته إلا من سرورك ، ولا تتألق صفحاته إلا من نُورك ، ولا ترتاح راحته إلا بحلولك ، ولا يتصل إيناسه إلا بوصولك .

وكان يَذكر أنه من ذرية عثمان بن عفان ، رحمة الله عليه .

(١) ت : « بالملاح » .

٦٠ — أبو عبد الله محمد بن عمر الإشبيلى

شىء عنه

المعروف بالمهيدر . لقيته بمرّاكش وقد زار والدى فظفرتُ منه ببعض الفوائد ، ثم عاد اجتماعى به بأحسن عائد ؛ وكان نبيل المنزع ، رشيق النَّظم والنثر / فى أنواع ما يَصنع ؛ وكان حينئذ يكتب عن الشيخ أبى زكريا بن الشهيد ، وزير تلك الدولة أيامَ الناسُ من سيف الفتنة بين قائم وحصيد .

[65 B]

٥

مقتله

ثم إنه خرج معه إلى قتال العرب وعسكوره ، فقُتل فى وقعة تالمست المشهورة . وذلك سنة خمس وعشرين وستمائة .

من شعره

ومما حفظته مما أنشدنيه من شعره ، قوله فى بربريّة رآها بنفّيس فأصبحت حديث سمره وجهره : [مخلع البسيط]

١٠

لله نِفِّيس من محلّ — حَلّ به مَن به اعتلاقُ
رُؤد[1] بها تمّ لى مُراد — لو لم يكن يَعجل الفِراق
من آل جالوت ذات دَلّ — العـذل فى حُبها نِفـاق
كلّمتُها فازدهته وقالت — ما شرحُه اللّثم والعِنـاق
إن كان فى لفظنا خلافٌ — فبيننا فى الهَوى اتفـاق

١٥

وله فى فاختة

وقوله فى فاختة[2] بعث بها إلى أبى العلاء : [وافر]

إلا خُذها إليك أبا العَلاء — حُلَى الأمداح ترفُل فى الثّناء
وهبْها قَينةً تُهدى عروسا — خضيب الكفّ قانية الرداء
لأجعلها محل جليس أنسى — وأغنى بالهديل عن الغناء

(١) الرؤد : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء . وفى ت : « رد » .

(٢) الفاختة : ضرب من الحمام .

وقوله فى أهل مَراكش عند اضطرام تلك الفتنة ، وما شملهم من اتصال المحنة :

وله فى أهل مراكش

[سريع]

يأهلَ مَرّاكشَ عهدى بكم وكُل ضُرّ بكُمُ يُدفَعُ
فالآن والهفى وواحسرتى قد أصبح الضر بكم أجمع
بعضكمُ يقتلُ بعضاً ولا يَرْوَى مدى الدهر ولا يَشبع ٥
والحضرة العَليا التى طالما ضاقت بمن حَلّ بها بلقَع
فقُل لمن يبغى لها عودةً يَجْبرُك الله عفا[١] المَهيَع

وقوله وقد وقع فى خارج باب الشريعة ما ذكره وأنكره :

وله فى شىء أنكره

[مجتث]

إنّا إلى الله حلّتْ بنا أُمور بَديعه ١٠
بابُ الشّريعة أَمسى تُزال فيه الشّريعه
سَلْب ونَهبٌ وقتل من الخُطوب الشّنيعه
وصاحبُ القَصر أمسى فيه كمِثل الرّديعه
وَحسبه أن يُرى حا فظاً هنالك رُوعه
خَرْق لعمرك ما يَرْ أب الزمانُ صُدوعه ١٥
وشتّ شملٌ أبى أن ترى بعين جميعَه

---

(١) المهيع : الطريق الواضح البين .

٦١ — أبو عمرو بن حكم القبطلى

شىءعنه وشعر له

وجه جزيرة قَبطل، من جُزر وادى إشبيلية . صحبتهُ حين تحركنا مع العادل إلى مَرّاكش . وكان كثيراً ما يساير والدى فى الرحيل، ويُكثر فى كُل فن من القال والقِيل ؛ فلا يقطع طريقه إلا بنوادر الضَّجر، وقوله يبين لك أنه لم يبق له مِطال من أمله مُصطبر :

٥

[مخلع البسيط]

كم أَقطعُ الدهرَ بالمِطال ساءت وحقِّ الإله حالي

يأسٌ مُريح فذاك أقصى آمال مثلى عنــد المـآل

رحلتُ أبغى بكم نجاحاً فلم تُفيـدوا ســوى ٱرتحال

[66 A] / وعدتمُ ألفَ ألفِ وعدٍ لكنّنى عدتُ بالمُحـال

١٠ وله

وقوله :

[مربع]

حاشى لإن أقلكم أن يخيبْ وإننى نحــو العدا مُستريبْ

هــذا وكم أقــرأ فى بِشْركم نصرٌ من الله وفتح قريب

ثم عاد بخُفَّى حُنين ، ولم يحصل له منهم سوى البَين .

٦٢ — أبو عمران موسى بن سالم القلعى

شىء عنه ووفاته

كان قد حلّ فى قلعة خولان[1] ، كما حل من الرمح السّنان ؛ بيده حلّها وعقدها ، و إليه صعب أمورها وسهلها . وكان بيته فى أعيان هسطورة ، فلما كانت فتنة ابن هود المشهورة ؛ أُخرج عن بلده ، وفُرق بينه و بين ماله وولده . فرأيته فى سبتة إثر ذلك وهو أعرى من الحُسام يوم القتال ، وأبكى من لَبيد على أَربد[2] وعلى حاله الذى حال ؛ ثم جاز إلى الجزيرة الخضراء رجوع المتوجع الحزين ، فبلغتنى وفاته سنة تسع وعشرين .

٥

من شعره

ومما أنشدنيه من شعره ، فلم أُخلّ بذكره ، قوله :

[سريع]

أُقسم لا جفّت له دمعهْ ... ما غِبتُ عنه وجفا رَبْعهْ

أظلمت الآفاقُ من بعدها ... كأنما كانت له شمعه

١٠

وله

وقوله :

[وافر]

طلعتْ علىّ والأحوالُ سُودٌ ... كما طلع الصّباحُ على الظلامِ

فقُل لى كيف لا أُوليك شُكرى ... وإخلاصَ التحية والسلام

(١) خولان (Jaulin) :

(٢) أربد ، هو ابن ربيعة ، أخو لبيد .

٦٣ — أبو عمران موسى بن على الطريانى (*)

شيء عنه وبعض شعره

ينسب إلى طريانة المنارة التى أمام إشبيلية على الجانب الغربى من ظهرها الأعظم .

شيخ نحوى ، أديب ظريف ، حسن المعاشرة والاستكثار من ممازجة الشباب ، وهو عفيف. قرأت عليه بقصر كتامة ، ونفضت عن خمرته فدامه (1)؛ بعد ما كان يظهر أنه لا يدين بالنسيب، ولا يقع له النظام إلا فى النادر والغريب، فكان مما رويته من نظمه البديع ، وطالما أنشدته فى محفل فسلم إلى حسنه الجميع؛ قوله فى المدينة التى يصنعها أهل المغرب فى النيروز، وهى مشهورة العمل فى ذلك الموسم ، وقد أتى فى وصفها بما يقصر عنه ذو المبسم :

[مجزوء الرجز]

مدينـــة مسوّرهْ   تحار فيهـا السَّحره

لم تبنهـا إلا يد   عذراء أو مخـدَّره

بدت عروساً تجتـلى   من درمك (2) مزعفره

وما لهـا مفـاتح   إلا البنان العشره

وله

وقوله :

[وافر]

شـكوتُ لهـا الغرامَ عسى رضاها   يريني بعـد شِـقوتى النجاحا

فقالت لى إذا ما الليـلُ أرخى   سـتائره فسـل عنّى الِطاحا

/ فيممت البطاح ولا دليـلٌ   سـوى عرف تضمنه الرياحا

[66 B]

فقالت نم فقلت أمثـلُ طرفى   ينـام وقـد رأى ذاك السّماحا

فقالت لى تناوم إنّ وجهى   إذا استيقظتُ يدْ ركك الصباحا

فتمسى طول ليلك فى عذابٍ   تُراع وما صـباح الرَّوع لاحا

وله

وقوله :

[بسيط]

يا من رآنى زاهـداً فى الصِّبا   ومقلعا عمّـا يروم التصـابى

أيقنتُ أنى فى حبال النَّوى   إذ طار من شعرى غُراب الشباب

وفاته

وبلغنى أنه مات سنة تسع وثلاثين وستمائة .

(*) المغرب (١ : ٢٩٤)

(1) الفدام : ما يشد على أفواه الأباريق عند السقى .   (2) الدرمك : فتات الزعفران وغيره .

٦٤ — ابو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي

شيء عنه

بيته مشهور بقرطبة ، لم يزل يتوارث فى العلم والجاه وعلو المرتبة . ونشأ أبو عبد الله حافظا لفنون الآداب ، إماما فى علم الحساب ؛ مع أنه كان أعمى مقعدا مشوَّه الخلقة ، ولكنه إذا نطق علم كُل منصف حقه . ومن عجائبه أنه سافر على هذه الحالة ، حتى غدت بغداد له دالة ؛ اجتمعتُ به غير ما مرة بحضرة تونس — كلأها الله — فرأيت منه بحرا زاخرا ، وروضا ناضرا ؛ إلا أنه حاطبُ ليْل، وصاحب طَول وذيل ؛ لا يبالى ما أورده ، ولا يلتفت إلى ما أنشده ؛ جامع بين الثمين والغَثّ ، وحافظ للمتين والرَّثّ ؛ وقد أقرأ الأدب فى مَرّاكش وفاس وحضرة تونس وغيرها من الأقطار ، وشاع ذكره حينما جالت به الأسفار .

من حكاياته

ومن مشهور حكاياته أنه لما قال أبو زيد الفَزارىّ فى أبى العلاء المُستنصر بالعرب على أهل مرّاكش قصيدته التى مطلعها :

[بسيط]

* الحزم والعزم منسوبان للعرب *

عارضها ابن الصفّار بقصيدة ذَمّ فيها أنصاره، ثم قال فيه وفى أخيه يحى بن الناصر ، الذى نازعه فى ذلك الأوان ، رداء السلطان :

[بسيط]

وإنْ يُنازعْك فى المَنصور ذو نَسبِ ... فَنجْل نُوح تَوى فى قسمة العَطَبِ

وإنْ يقُل أنا عَمٌّ فالجواب له ... عَمُّ النبىّ بلا شك أبو لَهَبِ

وشاعت القصيدة وبلغت أبا العلاء فحرّض على قَتله ، وبثّ العيون على خَتْله ؛ فلما هجم على مدينة فاس وبها ابن الناصر كان فى خدمته ابن الصفار ، فبقى فيها بعد فِرار مخدومه مختفيا فى خوص عند عجوز على قارعة الطريق ، وقامت بحاله لما رأته عليه من الأعذار الموجبة للصدقة والحنان ، وأمر أبو العلاء [1] [أن ينادى فى أقطار المدينة بالإحسان لمن دل عليه، والإساءة لمن أخفاه فسيّره [2] إليه؛ إلى أن سكنت بذلك النائرة،

(١) من هنا نقص فى ب .

(٢) ت : « فسيّره » .

ففر إلى هذه الحضرة العلية القاهرة ؛ فأقام تحت الإحسان الأميرى فى نعم سابغة، وموارد سائغة ، وكان يشرّفه بحضور مجلسه، ويخصه بمذاكرته وتأنّسه، إلى أن أصبح عبد الواحد الأعمى مخنوقا ، فأمسى ابن الصفار عند ذلك التقريب معوقا .

وذلك أنه وجدت فى كتب عبدالواحد ومسوداته أشعار جاوبه بها ابن الصفار فيما كان عليه من فساد النيات ، فى ذم المحسن والمسىء من الأحياء والأموات ؛ فقلبت عليه قلب مولانا الأمير ، وحلاّه عن مورد ذلك العذب النمير ؛ وبقى مطروحا خاملا بعد التقريب والتعيين ، إلى أن مات يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين .

وقد أثبت هنا من شعره ، ما أخذته قبل اطراحه وهجره . فمن ذلك قوله :

[سريع]

لا تحسب الناس سواء إذا ما اشتبهو فالناس أطوارْ

وانظر إلى الأحجار فى بعضها ماء وبعض ضمنه نار

وقوله :

[مجتث]

يا طالعا فى جُفونى وغائبا فى ضلوعى

بالغتَ فى السمع ظلما وما رحمت خضوعى

إذا نويت انقطاعا فاعمل حساب الرُّجوع

ومن نثره فى غبيّ استدعاه ليقرأ عليه :

أيها الغبى المتعثر فى ذيول جهله وجاهه، الأشوس الطرف من غير حول ، الرافع أنفه دون شمم، السارى إلى الهليه[1] . . . ، يظفر منه قاصده المخدوع بغير التعب والمين، وعض اليدين، من دلك على ذلك ، ومن هداك[1] . . . إلى ربعك، وتكلفت من البخل إلى غور العلماء ضد ما فى طبعك. وما العجب منك حين كنت[1] . . . فى تلطيخ بطيب، إنما العجب

(١) بياض فى ت .

ممن ركن فى طيب بخاء يلطخ بكنيب[1]. وكنى بك فى منزلك[2]... الغامر من الفضل والإحسان، وقد قبعت فى بهوه، ونفجت[3] شخصك الضئيل فى زهوه؛ ذو اللحية الطويلة، والجثة الضئيلة ؛ الوسخ الأثواب ، العرىّ من الآداب ؛ المرسل لسانه فى عرض، الآخذ فى كل قبيح بالطول والعرض .

ومنها :

٥

ثم قلت لى : ابدأ بمذهب أبى حنيفة أو شعر امرئ القيس . فكدت أضرط ضحكا، ولا أخاف فى تبعة الأديب دركا ؛ فاتق الله فى نفسك ، ولا تكن فى غد أجهل منك فى أمسك .

---

(١) الكنيب : شجر شبيه بالقتاد لا رائحة له .   (٢) بياض فى ت .

(٣) نفجت شخصك : عظمته .

٦٥ — أبو الوليد بن الجنان الشاطبى

شىء عنه

محمد بن الشريف أبى عمرو ، ابن الكاتب أبى بكر ، ابن العالم الجليل أبى العلاء بن الجنان الكنانى . من بيت توارثوا بشاطبة ، مراتب تحسدها النجوم الثاقبة ؛ وصاحبنا أبو الوليد أشهرهم ، وبه تجدد فى أقطار شرق الأندلس مُعجزهم ؛ وهو معروف فى المشرق بفخرالدين ، ومصدّر فى أئمة النحويين ، ومرتّب فى شعراء الملك الناصر صاحب ٥ الشام ، ومقطعاته الغرامية قلائد أهل الغرام .

[67 B]
من شعره

[١] صحبته/ بمصر ودمشق وحلب ، وجريت معه طلق الجموح فى ميادين الأدب ؛ وهو ممن تُفرغ الدنيا عليه فيُلقيها ، وتدعوه دواعى التجرد والتزهد فيلبّيها ، وما أُحصى كم لقيته بأدواح الغوطة الدمشقية راقصا مع أغصانها ، ومترنحا فى فنونه بين أفنانها ؛ وهنالك ١٠ أنشدنى قوله :

[رمل]

أنا مِن سكر هواهم ثَمِل ... لا أُبالى هجروا أم وصلوا

فبشعرى وحديثى فيهم ... زمزم الحادى وسار المَثل

إنّ عُشّاق الحِمى تعرفنى ... والحِمى يعرفنى والطَّلل

١٥ فإذا ما جئتُ ليلًا أرضهم ... لم يقُل : ما يبتغيه الرجل

رحلوا عن ربع عينى فلذا ... أدمعى عن مُقلتى ترتحل

مالها قد فارقت أوطانها ... وهى ليست لحِماهم تصل

لا تظنّوا[٢] أننى أسلو فما ... مذهبى عن جدكم[١] ينتقل

---

(١) إلى هنا ينتهى النقص فى ب . (٢) ت : « لا تقولوا » .

(١) ب : « حبكم يشتغل » .

وقوله :

[كامل]

خَبَرٌ بأَنفاس الرِّياح مُعطَّرُ ... وافَى شذاه فظَلْتُ منه أَسكَرُ

لله ما أَحلى شمـائلَه التى ... جاء النَّسـيم بعَرفها يتَبختر

وافَى وما فى القَوم مَن يدرى به ... إلا فتًى فى حُبِّـه متنكِّر

تُتلى أَحاديثُ الغَـرام بقَلبه ... ولسانهُ عمَّـا به يَستخبر

حتَّى إذا غنَّى له الحادى بهم ... وسَرى له من نَشر[1] لَيلى العَنبر

هَزَّ المعاطفَ ثم راح مُولَّهـا ... نَشوانَ فى ذَيل الصبابة يعثُرُ

مُتهتِّكا فى العاشقين كما ترَى ... يُبدى الذى يُخفيه منه ويُضمر

وقوله :

[بسيط]

بالله يا بانةَ الوادى إذا خطَرت ... تلك المعاطفُ حيث الشِّيح والغارُ

فعانِقيها عن الصبِّ الكئيب فما ... على مُعانقة الأَغصـان إنكار

وعرِّفيها بأنِّى فيـك مُكتئب ... فبعضُ هذا لهـا بالحُب إخبار

وأنتمُ جيرةُ[2] الجَرعاء من[3] إِضَم ... لى فى حِماكم أَحاديث وأسرار

وكُل معنًى لـكم فى الناس أَشهده ... وكُل لفظ بكم فى الحىّ أسمار

وأنـتمُ أنـتمُ فى كُل آونةٍ ... وإنما حُسنكم فى الكَون أَطوار

ويا نسيماً سَرَى[4] تحدو ركائبه ... نحو الغُوير[5] أُباناتٌ وأوطار

سحبتَ ذيلاً على بانٍ[6] بكاظمةٍ ... وما دَرى بك حُرّاس وسُمَّـار

وما قَنعت بما حُمِّلت من خَبر ... حتى آنثنيت وعرْف القوم إخبار

(١) ت : «الأغبر» مكان «العنبر» .

(٢) ت : « وأنت ياجيرة » .

(٣) الجرعاء : الأرض لاتنبت و إضم : واد بجبال تهامة .

(٤) ب : « صبا » .

(٥) الغوير : ماء بين العقبة ، والقاع فى طريق مكة .

(٦) كاظمة : بينها وبين البصرة مرحلتان .

وله وحضرت معه بجنة على نهر ثورا[1] من أنهار جلّق[2] ، وقد انثنت معاطف النهر وسال النسيم بالدوح ، فقال أسرع من البارق المتألق :

[خفيف]

يا رَعى الله أُنسَنا بين رَوض ... حيث ماءُ السرور فيه يجولُ

٥ تَحسب النهر عنده يَتثنّى ... وتخال الغُصون فيه تَميل

وهذا هو الطراز العالى[3] ، والعِلْق الثمين الغالى .

وله ومن جواهره الثمينة ، وفرائده التى جلبتها للزِّينة ، قوله :

[بسيط]

هاتِ المُدامَ وقد ناح الحمامُ على ... هذا الظلام وجيشُ الصبح فى الطَّلَبِ[4]

١٠ وأَعين الزَّهر من طُول البكا رَمدت ... فكَحَّلتها يمينُ الشمس بالذَّهب

لا أَستفيق من اللَّذات آونةً ... ما آهتزَّت القُضب فى مُخضَرَّة العَذب[5]

والكأس حُلّتها حمراء مُذهبة ... لكن أزرّتها من لؤلؤ الحَبب

كم قلتُ للأُفق لما أَن بدا صافياً ... بشمسه عندما لاحت من الحُجُب

إن تُهْتَ بالشمس يا أُفق السماء فلِى ... شمسان : وجهُ نديمى وآبنةُ العنب

١٥ قُمْ سَقِّنيها وثغرُ الصبح مُبتسمٌ ... والليلُ تبكيه عينُ البدر بالشُّهُب

والسُّحْب قد لَبست سُود الثياب وقد ... قامت لترثيَه الأَطيار فى القُضب

ومحاسنه فى هذا الباب جَمّة ، وبدائعه موقوفة على الغراميات التى هو فيها الآن أُمة .

وله من غرامياته ومما أنشدنيه منها[6] قوله :

٢٠ [سريع]

عليك من ذاك الحِمى يارسولْ ... بُشرى علامات الرِّضى والقَبولْ

جئتَ وفى عِطفيك منهم شَذًى ... يَسكر من خمرِ هواه العَذول

يَكفيك تشريفا رسولَ الرِّضى ... أنك للعشّاق منهم رسول

(١) ثورا ، بالفتح : نهر عظيم بدمشق .

(٢) جلق : هى دمشق .

(٣) ب : « التعالى » .

(٤) ب : « فى علب » مكان « فى الطلب » .

(٥) العذب : الأغصان ، الواحد : عذبة .

(٦) أى من غرامياته .

بالله حدّثنى بأخبار مَن   حَدّثت عنه، يانديمى[1] شمول
فهاتها أشربها قهوةً   تمرح[2] فى وصف سناها العقول
لله ما ألطفها سكرةً   تجرُّ فى تلك المغانى الذيول
أحبابنا ودمّعتمُ ناظرى   وأنتمُ بين ضلوعى نزول
حلاتمُ قلبى وهوَ الذى   يقول فى دِين الهوى بالحُلول
ولى على ذكركمُ أنّةٌ   فيها حديثٌ للجوَى والنُّحول
أنا الذى حدَّث عنّى الهوى   بأنّنى عن حُبكم لا أحول
فَلْيُبدِ[3] ذا العاذل فى عَذله   وَلْيقُلِ الواشى لكم ما يقول

وقوله :

[وافر]

أُهيلَ الحىّ هل عَلم الغريقُ   بأنّى فيكمُ صبٌّ مَشُوقُ
نَعم عَلموا وذاك بأنّ دَمعى   غداةَ البَيْن سال به[4] الطَّريق
وإن لم يُبصِروا للحُب منّى   دليلاً دلّ حسنُهمُ الأنيق
أحبّتنا وشأنُ الحُب شأنى   وصبرى عن هواكم لا يَليق
تؤُمّون الحجاز وما علمتمُ   بأنّ القلبَ بيتُكمُ العتيق
وألفاظى العُذيب وفى ضُلوعى الـ   ـحمى ودموع مُقلتى[5] العَقيق

(١) الشمول : الخمر .

(٢) ت : « تمزج » .

(٣) ب : « فليرد » .

(٤) ب : « طريق » مكان الطريق » .

(٥) العذيب : ماء لبنى تميم على مرحلة من الكوفة . والحمى، هنا : حمى المدينة . والعقيق : عقيق المدينة ، وفيه عيون ونخيل .

٥

وله

١٥

٦٦ — عبد الواحد الواعظ الأعمى الإشبيلي

شيء عنه

رحل إلى المشرق . واشتهر بحسن الصوت فى التحريك والنشيد ، ودخل نمط المريدين وهو شيطان مريد ؛ ومازال بين مصادر وموارد ، ومعاناة راحات وشدائد ، إلى أن تعلق بالخدمة الأميرية ، فى هذه الحضرة العلية ؛ ثم شاعت عنه خلوات قضت بإبعاده ، ٥ ثم اشتهر عنه ما بوأه لحده من كفره و إلحاده ، فأصبح مخنوقا فى سنة سبع وثلاثين . ولم يدر من ألقى عليه رداء الردى ، خلا أنه من المخلصين لله المنتصرين .

وأمرت أن أتصفح ما فى بيته من المسودات والبطائق ، فوقفنا من ذلك على ما قضى ببعده من المخلوق والخالق ؛ وأكثرها مجاوبات بينه و بين قرينه الأعمى ابن الصفار ، ولم يزل بعد كائنته فى إبعاد و إقتار ، إلى أن لحق به فى المنية ، وكلاهما كان فى النعمة خبيث النية .

١٠ من شعره

فمما علق بخاطرى من تلك المجاوبات ، قوله يخاطب ذلك الغوى الثانى وقد نازعه ملاءة المذمات :

[مجتث]

إن كنت تشكو ببرد وقلة فى البرود
فادفأ بلعن كثير لكل من فى الوجود

١٥ وبعد هذا ما أخذ بزمامه ، إلى مهيع حمامه ؛ وكنت ربما سايته فى بعض الأحيان ، فأستنشده عن نفسه وعن فلان وفلان ؛ فأجده غير خال من الآداب ، إلا أنه متعلق فى النظم بالأهداب ؛ وكم أنشدنى لنفسه فلم ألتفت عليه ، ولم يبق بخاطرى من ذلك إلا أبيات من قصيدة مدح بها الأمير أبا يحيى ووجهها إليه ، وهى :

[سريع]

٢٠ هذا هو النجل الذى قدسا بجاية أضحت به تونسا
أرأس من شب على ظهرها لذاك أمسى فوقها قد[1] رسا

(١) ت : « أن » .

٦٧ — ابو المعالى أحمد بن أبى البركات القيجاطى

رأيته يساير والدى فى طريقنا إلى مَرّا كش مع العادل ، وسمعتُه ينشده فى أثناء السير قوله فى بلده ، وقد تركه عُبّاد الصليب أقفر من جَوْف العَير :

[سريع]

أبكَى جُفونى بدمٍ مَنظرٌ ... لم يكُ أهلاً لاجتلاب[١] النَّعيمْ

صبَّحتُه بعد الرزايا فما ... لجانبى[٢] فى ربعه من حَميم

فظَلْتُ أقرو[٣] موضعاً موضعاً ... بمُقلةٍ عَبْرى وخدّا لطيم

وقلتُ يامَربع أين الذى ... أحببتُه فيك وأين النّديم

فقال عِقْدٌ قد غدا شَمْله ... كمثل ما ينْثر دُرٌّ نَظيم

[69 A] وكانت قيجاطة جنة من جنات الأندلس، وهى من عمل جيّان، فاستولى عليها العدو[٤] فى فتنة البيّاسى فلم يعد إليها من المسلمين بعد ذلك اثنان. وعهدى بهذا أبى المعالى. وكان يلقب بالقَلطّى لقصره واجتماع خِلقته ، يصعد عندما يركب الناس للرحيل ويبادر إلى قرب كُدية له فيقف عليها وهو راكب ، إلى أن تطلع الشمس ، فإذا طلعت قال بفرحة من صميم فؤاده : اللهم العن كل من طلعت عليه . لم يزل ذلك دأبه إلى أن حللنا المدينة ، وتركنا ونية[٥] المسكينة . ولم ندر بعد سنة ثلاث وعشرين هل أو بقته البوائق ، أم بقى للعنة الخلائق .

---

(١) ب : « لحلاب » . (٢) ب : « اجابنى » . (٣) أقرو : أتتبع .
(٣) ت : « النصارى » .) ب : « أونية » .

٦٨ — أبو المحامد القرطبي

شيء عنه من شعره

[1]لقيته بالقاهرة ، وكأنه لا خبر عنده من الآخرة . شيخ قد طال عمره في أكل الأعراض ، ووجد في تلك البلاد التغافل فانتهض في صنعته الذميمة أي انتهاض . فما بقي في سمعي من شعره ولينه لم يبق فيه ، قوله الذي يدل على مُعتقده الكريه :

٥

[خفيف]

رحم الله من لعنتُ قديماً ... فلقد كان بي رءوفا رحيماً

أتمنّى لقاء حُر وقد أعـ ... ـوز بَخْتى كما عدِمت[2] الكريما

وله

وقوله :

[سريع]

١٠ والله ما آسفُ إن بِنتمُ ... عنّي ولا إن بِنتُ عن داركم

وكلما غبتُ فلا تسئلوا ... عنّي ولا أُعنَى بأخباركم

وعهدي به على مائدة جمال الدين به يغمور ، وقد حرك أبا الفضل التيفاشي وقال له : ما أفاق هذا العليل ! فلم يسمعه لثقل كان في سمعه[3] ، وسمعه من ذكر[4] ذلك لجمال الدين بن يغمور ، فقال : لعنه الله ، ما ينفع فيه إحسان لأن الأذاية فيه طبع . وإنما عنى أن

١٥ الصحاف تأتي كل ليلة دون لحم كالمزوّرات[5] .

وكان يلقب بأبي بغل . ولقب أيضا بجسر بلبيس ، لأنه أقام فيها زمانا يُكْرِى كُلّ من جاء من الشام أو من سافر إليها . ومات بالقاهرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

---

(١) ب : « نوع منه آخر لقبة » .

(٢) ب : « كما عرفت » .

(٣) ت : « في أذنه » .

(٤) ت : « حكى » .

(٥) ت : « كالمرورات » .

٦٩ — على بن أحمد الكنى القادسى

شىء عنه

لقيتة بالبيت[1] المقدس على زى الفقراء، وقد صدر من الحج، وهو فى الرحلة على نهج؛ فلم أر فى ضيق الخلق مثله، يكاد يخاصم من صخرة ظلّه .

من شعره

و بالجهد حصلت من نظمه على هذه الأبيات، وندمت بعد ذلك على مافات :

٥

[مجتث]

ذاك العِذار المُطلّ ... دَمِى عليه يُطَلّ

كأنما الخدُّ ماء ... وقد جرى فيه ظِلّ

عُقود صَبرى عليه ... مُذ مَلّ فيه تُحَلّ

جَرت دموعى عليه ... فقلت آسٌ وطَل

نهايته

١٠ [65 B]

وكان اجتماعى به فى سنة ثلاث وأربعين، ولم أسمع له خبرا منذ ذلك الحين .

---

(١) ت : «من بيت» .

٧٠ — أبو إسحاق بن لبون المرسى

شئ عنه

من بيت مشهور بمُرسية ، ينتسبون إلى بنى لبون المذكورين فى القلائد[١]، الذين كانت لهم الرياسة أيام ملوك الطوائف بلورقة[٢] ومُرْبيطر[٣] ، ولم يخل قاصدهم[٤] من الفوائد . لقيت أبا إسحاق بهذه الحضرة العلية، وكانت لى معه محاضرات ومطايبات لم تخل من فوائد أدبية ؛ ولم يعلق بخاطرى مما أنشدنى لنفسه إلا قوله :

[مجزوء الرمل]

أنا سكرانٌ ولكن ... مِن هوى ذاك[٥] الفُلانِى

كلما رُمتُ سُلُوًّا ... لم يزل يَثْنِى عِنانى

له

وقوله :

[وافر]

حبيبى ما لصبك من مُراد ... سوى ألّا تدوم على البِعادِ

فإن كان ابتعادك بعد هذا ... مُقيماً فالسلام على فؤادى[٦]

وفاته

وكان إذا غنى هذه الأشعار اللطيفة على الأوتار ، لم يبق لسامعه عند الهموم من ثار ؛ مع أخلاق كريمة ، وآداب كانسكاب الديمة . وعاد إلى بلده ثم رحلت إلى المشرق ، فبلغنى أنه ثنى إلى تونس العنان ، فأدركته بها منيته وهو سكران .

---

(١) أى قلائد العقيان .

(٢) لورقة : من بلاد تدمير .

(٣) مربيطر : حصن بالأندلس ، قريب من — طرطوشة .

(٤) ت : « قصادهم » .

(٥) ت : « العلانى » مكان « الفلانى » .

(٦) وجاء فى ت بعد هذين البيتين . انتهى بحمد الله تعالى وحسن توفيقه .

٧١ — أبو عبد الله بن العطار القرطبي

شيء عنه

حلو المنازع ، ظريف المطالع والمقاطع ، مطبوع النوادر ، موصوف بالأديب الشاعر . ما زجته بالإسكندرية ، وبهذه الحضرة العاية ، وهو الآن مرتب تحت إحسانها ، مخصوص بافتقادها وحنانها ، وما زال يؤمن بالانفراد ، والتجول فى البلاد ، حتى قضى مناه ، وألق بهذه المدينة العظيمة عصاه ، لا يخطر الهمّ له ببال ، ولا يبيت إلا على وعد من وِصال ، وأظنه لخلوه من الحبال ، لا يطرقه طيف خيال . ٥

من شعره

ومما أنشدنيه لنفسه فارتضيته وكتبته ، قوله رافعا للحضرة العالية الأميرية ، سقى الله عهدها قطر السماء ، يعرّض بطلب الغداء ، بألطف الإيماء :

[سريع]

الشكر فى نُعماكُم يقصُر والمدح فى قدركمُ يصغُر ١٠

جللتَ يا مولاى عن ذا وذا فحسبنا الصمتُ ولا أكثر

نُدِل مولانا بإحسانكم فنطُلق القولَ ولا نحذر

ولو جَسرنا لطلبنا الغدا ولكننا مولاى لا نجسر

ولما سمع ما ارتجلتهُ فى السكين بالإسكندرية ، حين داعبنى باختلاسها زين القضاة ابن القاضى الريفى ، وقال : ما إليها سبيل ، حتى يحضر لك فيها معنى نبيل : ١٥ [70 A]

[طويل]

/ أيا سارقا سِكينا مَصُونا ولم يجب على يده قطع وفيه نصابُ

ستندبه الأقلامُ عند عثارها ويبكيه إن بعد الصواب كِتابُ

زاد فيه فاستحق ، وإن كان مسبوقا فقد سبق :

[طويل] ٢٠

أُحاجيك ما شيء إذا ما سرقته وفيه نصابٌ ليس يلزمك القطعُ

على أنّ فيه القطعَ والحدّ ثابت ولا حدّ فيه هكذا حَكَمَ الشرع

من شعره

وارتجل بمحضرى على خليج الإسكندرية :

[هزج]

ألا يا ساقِىَ الخمرِ   أدِر صفراءَ كالتِّبرِ
وقُم يابدر فاَجْلُ الشمـ   ـسَ بين الأنجُمِ الزُّهرِ
فإنّ الصبح قد أَبدى   لنا عن صَفْحة البِشر
وقد أيقظتِ الأندا   ءُ فيه أعينَ الزُّهر
ودُرّ الطَّل منظوم   بجيد الغُصُن النَّضر

٥

٧٢ — أبو عبد الله محمد بن عمار البرجى

شىء عنه

لما وصلت مع والدى إلى غرناطة، سمعت من شعره ما شوقنى إلى رؤيته، والاقتباس من أدبه ومجالسته ؛ ثم إن مخدومه محمد بن هود وصل إلى المدينة المذكورة ، فانفصل ابن عمار الى برجة التى هى بكل قلب لما حازته من البهجة مزورة ؛ فخاطبته برسالة أخطب فيها وداده ، وأطلبه أن يجعلنى من جملة من أفاده . ٥

من رسالته

ومن الرسالة المذكورة :

إنى أيها السيد الجليل، والذى أسأل إليه أن يكون لى منه نعم الخليل ؛ وإن لم أرك ، ولا أعطيت من التمتع بك إلا خبرك ، لذو قلب دائم على أفقك، وذو ظمأ لا يزال شاخص النظر إلى طرفك ؛ لأقتبس من فوائدك السائرة ، وألتقط من فرائدك الفاخرة . ثم ختمتها بهذه الأبيات : [مجزوء الرمل] ١٠

يابن عمار لقد أحييت لى ذاك السميا
فى حلى نظم ونثر علقا من مسمعيا
ولقد حزت مكانا من ذرى الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن عش بنعماك هنيا

فكان جوابه : ١٥

أيها السيد الجليل المحسن ، من فتح باب المخاطبة قبل أن يقدر اللقاء ويمكن ؛ وإنه لما خطب ودى ذلك الخطاب، احتجبت هيبة فلم أمد أطناب الإطناب ، وقلت لعل ورودى يكون الجواب . فهناك أغرف من بحر زخار ، وأعرف قدر ما عمره أبو عمران من بيت عمار : [مجزوء الرمل]

يا بن موسى دم عليا وتقدم مشرفيا ٢٠
/ واتخذ سعدك حصناً واصحب العيش هنيا [70 B]
إن مرآك لأسمى منظر فى ناظريا

وكذا لفظك أحلى منطق فى مِسْمعيّا
جِيدُ عُليّاك أَراه فلك الفضل عليّا
وأبَى مجدك إلّا موضعاً حيث الثُّريّا

وفاته

ثم وصل إلى غرناطة عن قريب، فلم يتفق اجتماع به حتى سُمع من داره العويل والنّحيب.
٥ وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وستمائة .

من شعره

وكان كاتبَ العسكر لمحمد بن هود ، ومما اشتهر من شعره ، قوله الذى كُتب على ما سلبه الله النصر من تلك البنود :

[مجزوء الرمل]

قُل لمن يشهد حرفا تحت رايات ابن هودِ
١٠ ثم لا يُقدم فيها مثل إقدام الأُسود
يُحرَم الحظ من الد نيا ومن دار الخُلود

وله

وقوله فى وادى بوجة :

[متقارب]

أيا نهرُ عُذرا فكم لى بما حوتْ جانباك بحيث النَّعيمْ
١٥ أَميل كأغصانك الناعمات وأغدو إليك غُدُوّ النَّسيم[1]

كمل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(١) الى هنا آخر السقط من ت .

دليل فهرست

اختصار القدح المعلى

صفحة

فهرست أول للتراجم

وفق ورودها فى الكتاب

صفحة

فهرست ثان للتراجم

مرتب على حروف الهجاء

صفحة

فهرست الأعلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

فهرست القبائل

فهرست الشعراء

فهرست الأماكن

فهرست الكتب

فهرست القوافى

فهرست الأنصاف والموشحات

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ٢١ رمضان سنة ١٣٧٨ الموافق (٣٠ مارس سنة ١٩٥٩) .

محمد الفاتح عمر
عضو مجلس الإدارة المنتدب

المطبعة الأميرية ٤٥٨٨ / ١٩٥٨ — ١٠٠٠

